

مشاهدة الناس عند الموت

عبد الرحمن خليف

مشاهد الناس عند الموت

تأليف

الشيخ عبد الرحمن خليف

عينت بطابعته : مكتبة مديبولي الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد - العزيز

تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ - ٣٤٤٢٢٥٠

ميدان سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥

رقم الإيداع ٩٧/٨٩٠٨

الترقيم الدولي 7 - 028 - 286 - 977

الطبعة الأولى : ١٩٩٧م

طبع على نفقة أحد المحسنين

تصميم الغلاف

والأشراف الفني

عاطف منصور

السندباد للكمبيوتر

مشاهد الناس عند الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله المباركات على سيدنا

محمد خاتم النبيين المرسلين ، وعلى آله وصحابه أجمعين

أما بعد فإنه ما من إنسان إلا له ميل إلى المعرفة ، والمعرفة المتاحة في الحياة متكاثرة الأنواع ، ولا يمكن للإنسان أن يستوعبها كلها ، لأن قدرته المحدودة ، لا تتسع إلى الإحاطة بها جميعاً ، فكان لزاماً عليه أن يقتصر على بعضها .

وليس من العيب ولا من ضالة المعرفة ألا يحيط الطبيب بعلم الفلك ، ولا المهندس بعلم الأدب ، ولا الطيار بعلم الفلاحة ، إلى آخر مجالات الاختصاص في ما لا يكاد يحصى من أنواع المعارف المتوفرة في الحياة ، فكان كل امرئ يختار ما يرتضى من دائرة المعارف الإنسانية وإنها لدائرة فسيحة الأبعاد ، متفتحة الأبواب أمام كل راغب .

غير أن باباً واحداً منها لا يكثرث به ولا بمعرفته كثير من الناس ، مع أنه لا بد أن يدخله كل إنسان جبراً وقسراً ، سواء أراد معرفة ما وراءه أم لم يردّها ، إنه باب الرحلة إلى العالم الآخر .

لقد أسدل كثير من الناس على هذا الباب ستاراً سميكاً يعلن عن عدم اكتراثهم بمعرفة ما وراءه ، فكان الواحد منهم لا يلاحظه بأدنى التفاتة إلى أن يدخله على حين غفلة منه .

وإذ كانت الرحلة إلى العالم الآخر قضاء لازماً وقدرأ محتوماً ، فإن الحكمة تدعو إلى معرفة ما يتصل بهذه الحقيقة الأزلية الأبدية ، حتى لا يكون الإنسان مخادعاً لنفسه إذا كان يعلم - علم اليقين - أنه سيفاجأ حتماً بإذراجه في رحلة لا علم له بما سيلقى في بدايتها ولا في أنوائها .

إنها رحلة مليئة بالمفاجآت ، وليست كأي رحلة عرفها الإنسان ولا تشبهها من أي وجه ، وحسب المرء أن يستحضر في ذهنه ما تمتاز به عن رحلات الدنيا من فوارق لا يجهلها أحد من الناس .

أفلا يعرف الناس :

- أن رحلات الدنيا يتحدّد العلم بوقتها ، أما هي فلا أعظم مباغته للمرء منها .

- أن رحلات الدنيا يمكن للإنسان أن يلغّيها متى أراد ، أما هي فلا تلغى بحال من

الأحوال .

- أن كل رحلة لا يرى الإنسان فيها إلا وجوها آدمية أينما توجه ، أمّا هي فسيرى فيها من لم يشهد لهم مثيلاً طيلة ما عاش فى الدنيا .

- أن كل رحلة يمكن للإنسان أن يرجع منها إلى موطنه ، أمّا هي فلا عودة منها ، ولا رجوع .

- أن كل رحلة يستطيع المرء فيها أن يخاطب من فارقهم بأى وسيلة ممكنة ، أمّا هي فلا تتوفر فيها وسائل الاتصال بمن يريد .

- أن كل رحلة تحتاج إلى زاد يناسبها ، أمّا هي فتقتضى زاداً أعظم من كل زاد .

- أن كل رحلة تكون فيها مغامرات الإنسان وخسائره محدودتين ، أمّا هي فمغامرات وخسائرها لا حدود لهما ، ولا يحيط بهما الوصف والبيان .

- أن رحلات الحياة قد تقصر وقد تطول ، ولا بدّ لطول كل رحلة من نهاية ، أمّا هي فطولها لا نهاية له أبداً .

وليست الفوارق منحصرة فى تلك الثمانية ، ولكن التقصى يكشف عن فوارق أخرى أعجب وأكثر .

أفلا تكون تلك الرحلة الحتمية العجيبة جدية بأن يعرف المرء ما يتعلق بها ، ولو بقدر محدود من المعرفة المتاحة للإنسان ؟

إن اكتساب الإنسان للمعرفة قد يكون نظرياً ، وقد يكون عملياً ، وأوفى المعرفة بالاطمئنان والارتياح ما كان منها عملياً ، ولما كان مألّ جميع النفوس إلى الموت لقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (١)

فإن المعرفة الحاصلة بالموت بعد مذاقه لا يتمكن صاحبها من تدارك ما فاتته بما استفاد من الموت كمدخل لبداية الرحلة إلى العالم الآخر .

أمّا نحن معاشر الأحياء فلا أقلّ من أن نطلع على أحوال من سبقونا إلى مصارعة الموت لهم .

وما أعظم ما نستفيد من معرفة (مشاهد الناس عند الموت) ما دام كلّ حى منا مستهدفاً للممات .

إن (مشاهد الناس عند الموت) لمن أعجب العبر ، وما أنفعها من عبر يشاهدها المرء فى اللحظات التى يطوى فيها الموت حياة الناس ، وفى صور لا تكاد تُحدّ أشكالها وألوانها ، ولعمر الله إن السعيد لمن اتّعظ بغيره .

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

إنّ مئات المشاهد المجموعة في هذا الكتاب قد انتقيتها من أجزاء عديدة لعشرات الكتب بما كان قد أُلّفَ في مختلف الأعصار والأمصار .

وسأُهد لتلك الشاهد بشيء من البيان المناسب ، وكثيرا ما أعرض - في هذا البيان - طائفة من النصوص الواردة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
وسأُتبعُ المشاهد بما يتيسر لى من (أضواء) البيان محاولا - بتلك الأضواء - أن أكشف الصلة بين المشاهد وبين تعاليم الإسلام ، إلا فيما يكون غنيا عن ذلك البيان .
وسأُضمّ - إلى كلّ ذلك - ما ينبغى أن يقوم به الأحياء من شئون إخوانهم عند الاحتضار وبعده .

ويتضح من كلّ ما تقدّم أنّ ما جمعه هذا الكتاب يمكن أن يساعد الناشئ في مجال الدعوة ، وأن يستمدّ منه الواعظ ما يشاء ، وقد لا يستغنى عنه أحد ممّن سيدركه الموت لا محالة .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به من يقرؤه وأن يُثيب من يُنبّه إلى قراءته إخوانه ، إنّه سبحانه سميع قريب مجيب ، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القيروان في : ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ

٢٨ أكتوبر ١٩٩٤ م



الموت نهاية حياتنا الأولى

الحياة هبة من صنع الله ﴿الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ - السجدة - ٧ - ٨ - ٩ .

وانقضاء الحياة الأولى بالموت لا يكون إلا بإذنه سبحانه ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ - آل عمران - ١٤٥ .

فإذا تعطلت - بإرادة الله - بنية الحياة الجسدية وانقطع ما كان بين الروح والجسد من صلات ، فإن الوفاة تحدث وتُنقل الروح بالموت إلى مقرّ الأرواح ، ثم تتلاشى أجزاء الجسد فى الأرض إلى أن ينشئها الله النشأة الأخرى ، فيخرجها من الأرض بالبعث للحساب ، تبعاً للمراحل المقررة فى سابق علمه ، والمحددة فى قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه - ٥٥ .

ولما كان الموت قضاء حتمياً ، ومرحلة من مراحل الوجود الإنسانى ، حسن أن يهتم المرء بمعرفة هذه السبيل التى لا بد أن يعبرها ، وحسن أن يطلع على ما لاقى بعض الناس من الموت ، ليعتبر بأحوالهم ويستعد لملاقاة ما لاقى كل البشر من قبله ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الجمعة ٨ .

ولقيمة الموت عند الله ذكرت فى القرآن العظيم كلمة الموت وما اشتق منها أكثر من مائة وسبعين مرة .

أما الأحاديث النبوية فقد استوعبت بالبيان كل ما ينبغى أن يعلمه الإنسان عن الموت وعما بعد الموت ، وسترى الكثير مفصلاً أثناء فصول الكتاب إن شاء الله .

الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالإكثار من ذكر الموت

روى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

« أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ »

وروى ابن ماجه وابن أبى الدنيا عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: أتيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم عَاشِرَ عَشْرَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَنْ أَكْبَسَ النَّاسَ
وَأَكْرَمَ النَّاسَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

« أَكْثَرَهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَشَدَّهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ »

وروى الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي شَيْبَةَ في الْمُصَنَّفِ عن ابن سابط أنه قال:
ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، فأثنى عليه، فقال صلى الله عليه
وسلم: « كَيْفَ ذِكْرُهُ لِلْمَوْتِ؟ » فلم يذكر ذلك منه، فقال صلى الله عليه وسلم: « مَا
هُوَ كَمَا تَذْكُرُونَ ».

وكان ثابت البناني يقول: ما أكثر أحد ذكر الموت إلا روى ذلك في عمله.

من (الحلية ج ٢ ص ٣٢٥)

الاستعداد للموت

روى الطبراني عن طارق المحاربي رضى الله عنه أنه قال: قال لى رسول الله صلى
الله عليه وسلم: « اسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِ الْمَوْتِ ».

قال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: ما أحد يُنزل الموت حق منزلته إلا عدَّ غداً
ليس من أجله، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملُه، وكم راج غدا لا يبلغه، لو تنظرون
الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره، وقال إن من كانوا قبلنا كانوا يجعلون للدنيا ما
فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

وقيل لأبى الفضل يوسف بن مسرور: فلان يتكلم فيك.

فقال: إنما مثلى ومثله كمثل رجل حُمِلَ لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق، فقال
لنفسه: أنت تُحْمَلُ للقتل، تسألُ عمن يقذفك؟

وأنا سائر إلى الموت لا أدري متى يأتيني، أسألُ عمن يتكلم في؟ فى الموت ما
يشغلنى عن ذلك.

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ١٤٥)

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته: أما بعد فإنك إن استشعرت ذكر
الموت بغض إليك كل فان، وحبب إليك كل باق.

لما توفي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الجبنيانى وجدت رقعة - بعد موته - تحت
حصير مكتوبة بخطه: (رجل وقف به هاتف، فقال له: حَسَنَ عَمَلِكَ فَقَدْ دَنَا أَجْلُكَ).

قال ولده عبدالرحمن: أنه كان إذا قصر فى العمل أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع
إلى جده.

توفى - رحمه الله - يوم الأحد السابع من محرم سنة تسع وستين وثلاثمائة.
 من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٤٦)
 ودخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإبناسى يعوده، وكان تجاههما
 نعش، فنظر السبكي إلى النعش ثم قال للإبناسى: يا شيخ برهان الدين، أتدرى ما يقول
 هذا النعش؟

فقال إنه يقول:

أُنْظِرْ إِلَى بَعْقَلِكْ أَنَا الْمَعْدُ لِحَمْلِكْ
 أَنَا سَرِيرُ الْمَنَايَا كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكْ

من (كتاب المنهل الصافى ج ١ ص ٤١٣)

وكان من دعاء يزيد بن ميسرة قوله: اللهم اجعل مخافتك فى قلوبنا، وأدم على
 قلوبنا ذكر الموت.

ما يعين على ذكر الموت

لما كان ذكر الموت مأموراً به شرعاً، فإن مما يساعد على ذلك هو الاطلاع على أخبار
 الموتى وأحوالهم بعد الموت، والتدبر فيما آل إليه أمرهم، وفيما يتوقع لهم بعد الموت.
 روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
 «زوروا القبور، فإنها تذكركم الموت».

وروى أبو عبد الله الحاكم عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم
 قال: «زر القبور تذكركم بها الآخرة، واغسل الموتى، فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة،
 وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين فى ظل الله يتعرض لكل خير».

من مشاهد الذاكرين لحتمية الموت

الإمام البخارى:

كان رحمه الله ينشد:

اغْتَنَمَ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةً
 كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةً

محمد بن دمام:

قال السيوطى: محمد بن عبد الله بن دمام المالىقى الأندلسى كان شيخاً جليلاً شاعراً
 أديباً من أهل الفضل والدين، ومن شعره:

كَيْفَ أَرْجُو مِنَ الْمَنَايَا خَلَاصاً وَأَرَى كُلَّ مَنْ صَحِبْتُ دُفِيناً

فَأَرَى النَّاسَ يُنْقَلُونَ سَرَعًا كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِمْ مُرْدَفِينًا
قَدْ أَصَابَتْهُمْ سِهَامُ الْمَنَآيَا وَسَتَرَنِي السَّهَامُ لَا بَدَّ فِينَا

من (بغية الوعاة في طبقات النحاة ص ٥٢)

أبو الوليد الباجي:

كان رحمه الله ينشد:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ؟

الموت مخوف ومكروه

أكثر الناس يكرهون الموت ويخافونه، وما كرهه الناس إلا لعدة أسباب، و تلك الأسباب تختلف من شخص إلى آخر، ومن بينها الثمانية التالية:

السبب الأول: الحياء من الله حياء كحياء أم هارون.

قال أحمد أبي الحواري: قلت لأم هارون العابدة الدمشقية:

أتحبين الموت؟

قالت: لا.

قلت: ولم؟

قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٠٤)

السبب الثاني: الخشية الحادة من أن ينزل المرء منزلة تضره ولا تسره.

قال بعض أصحاب هذه الخشية:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدرِ في أي المحلين تنزل؟

قال سعيد بن أبي عطية:

لما حضر أبا عطية الموت جزع منه، فقالوا له:

اتجزع من الموت؟

فقال: مالي لا أجزع، وإنما هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي؟

من (الحلية ج ٥ ص ١٥٤)

لما حضرت أحمد بن خضرويه الوفاة، سئل عن مسألة فدمعت عيناه، وقال:

يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة، هو ذا يفتح الساعة لي، لا أدري أيفتح

بالسعادة، أو الشقاوة، فأني لى أوان الجواب؟

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦٢)

السبب الثالث: ضعف التزود من العمل الصالح، حتى فات زمن التدارك، وقامت العوائق، والله سبحانه قد قال فيمن هذا شأنهم: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» - المنافقون - ١٠ - ١١ .
وتحسر بعض الناس عند الموت، فقليل له: ما بك؟

فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفراً طويلاً بلا زاد، ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس، ويقدم على حكم عدل بلا حجة.

من (الكشكول للعاملی ج ١ ص ٢٩٠)

السبب الرابع: الإسراف على النفس والغفلة عن محاسبتها، لأن الغفلة عن المحاسبة، والتسويق بالمتاب يفضيان إلى تراكم السيئات، حتى يذهل من تراكمها من ينتبه إليها.

كان الشيخ توبة بن الصِّمَّة من الطيبين، وكان محاسباً لنفسه في أكثر أوقات ليله ونهاره، فحسب يوماً ما مضى من عمره، فإذا هو ستون سنة، فحسب أيامها، فكانت إحدى وعشرين ألف يوم، وخمسمائة يوم فقال:
يا ويلتا، ألقى مالكي بإحدى وعشرين ألف ذنب ثم صقع صعقة كانت فيها وفاته.
(وهذا بحساب ذنب واحد فقط في اليوم الواحد).

من (الكشكول للعاملی ج ٢ ص ٣٣٧)

السبب الخامس: تعلق المرء بالدنيا أو بشيء معين منها تعلقاً شديداً مع تيقنه أن الموت سيحول - حتماً - بينه وبين التمتع بما تعلق به شديد التعلق.

روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء القاري النحوي أنه قال:

بينما أنا ذات يوم - أحسبه قال في ضيعتي - سمعت قائلاً يقول:

وإنَّ امرءاً دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمْ يَسْتَمْسِكْ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ

فكتبت هذا البيت على فص خاتمي فكان نقشه هذا.

من (كتاب طبقات النحويين واللغويين)

السبب السادس: الشك في إحياء الموتى وبعث الخلق للحساب والجزاء.

فمن الناس من يكون أحدهم شاكاً في البعث، فيرى أن الموت ربما يكون عدماً محضاً، وربما يكون البعث بعد الموت حقيقة، ومن هنا يكون كارهاً للموت على كل حال.

إن هذا المتردد فى الإيمان باليوم الآخر لا يكون من المؤمنين، إذ أنه ليس على يقين من لقاء ربه، وفى هذا الصنف من الناس يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ، وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ - الجاثية - ٣٢ - ٣٣ .

ومن الناس من يكون ضعيف الإيمان جداً، فيتصرف تصرف الشاك المستبعد للقاء ربه، فإذا قام بعمل صالح يقوم به على ما تقتضيه العادة، أو على وجه المفارقة أو حب الثناء عليه من الناس، أو نحو هذه المقاصد ولا يريد وجه الله بما يصدر عنه من عمل صالح، فإذا حل به الموت واجه الحقيقة وأغتم لتفريطه.

السبب السابع:

يقين بعض الناس يقيناً جازماً بأن الموت عدم تام، فلا بعث للخلق بعد الموت، وأن كل المتع ستفوته بالموت، فيحرم منها نهائياً، فهذا لا يحيا إلا على كره دائم للموت، ويعيش مذعوراً من كل سبب يفضى إلى الموت، خصوصاً إذا كان من المنغمسين فى إحدى ملذات الحياة، أو فى العديد منها.

السبب الثامن: رؤية بعض الناس لمن حضرهم الموت وهم فى حال نزع شديد، فيشاهدونهم يعالجون سكرات الموت معالجة أعظم من أن توصف، فيشتد فزع المشاهدين للمحتضرين، ويتمكن منهم الخوف والكره لمصير محتوم، ويا ليتهم يأخذون منه العبرة، فيستعدون له بالعمل الصالح أحسن استعداد.

تلك هى أكثر الأسباب التى من أجلها يكره الناس الموت، غير أن من الناس من ينظرون إلى الموت نظرة لا تتسم بالكره، فقد قال بعض السلف:

ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة، لأنه إن كان محسناً فالله يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ - الشورى - ٣٦ . وإن كان مسيئاً فالموت يحجزه عن الاسترسال فى المعاصى، والله سبحانه يقول: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الجاثية - ٢٩ .

روى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«اثنان يكرههما ابن آدم : يكره الموت ، والموت خير له من الفتننة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب .» .

وقال بعض الشعراء :

جَزَىٰ اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرَ جَزَائِهِ أَبْرَبْنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفَ
يَعَجِّلُ تَخْلِيصَ النَّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وقيل لبعضهم :

أطال الله بقاءك . فقال :

بل عَجَّلَ الله بى إلى رحمته .

ولعل من الناس من يظن أن كره الموت هو كره للقاء الله، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الظن من أذهان أمته حين قال : (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ - قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا نكره الموت يا رسول الله - قال صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

رواه البخارى عن عبادة بن الصامت وغيره

ما أعجب عشق الروح للجسد

صفات التنافر بين الروح والجسد أكثر من صفات التوافق بينهما، ولذلك لا تدخل الروح فى الجسد إلا بعسر وضغط عليها، ولكن استقرارها فى الجسد مدة العمر جعلها تأنس به، وتود ألا تفارقه، ولقد قيل : لولا الألفة العارضة بين الروح والجسد لم تستقر فيه طرفة عين لأن بينهما بونا بعيدا .

قال أحمد بن محمد الطوسى أخو الإمام أبى حامد الغزالى :

(ذكرت - فى يوم من الأيام - آدم عليه السلام وأنه وهب لابنه داود عمرا ثم جعده حين جاء ملك الموت آدم فَمَتَّعَ، وكان لسان الحال خاطب الروح قائلاً : أنت نُحْتُ على نفسك لما أمرت بالدخول فى هذا السجد وقلت : بيت مظلم، مستقذر، فما الذى يصنع عليك من الخروج منه. فكانها أجابت بلسان الحال :

نَزَلْنَا كَارِهِينَ لَهَا فَلَمَّا أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا مُكْرَهِينَ

وَمَا حَبَّ الدِّيارِ بِنَا وَلَكِنْ أَمَرَ الْعَيْشِ فُرْقَةُ مِنْ هَوَيْنَا

من (الوافى بالوفيات ج ٨ ص ١١٥)

إن هبة آدم لابنه داود سنين من عمره، وجحوده لتلك الهبة وزدت في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه قال :

لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدِّينِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَجَعَلَ يَغْرَضُهُمْ عَلَيْهِ ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ ، فَقَالَ أَيْ رَبِّ أَيْ بُنَى هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ دَاوُدَ ، قَالَ أَيْ رَبِّ كَمْ عُمُرُهُ ؟ قَالَ : سِتُونَ سَنَةً قَالَ : أَيْ رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تَزِيدَهُ أَنْتَ مِنْ عَمْرِكَ ، فَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ ، فَوَهَبَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فَكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ كِتَابًا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، فَلَمَّا حُضِرَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لَتَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ أَجَلِي ، قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ، فَقَالُوا إِنَّكَ وَهَبْتَهَا لابْنِكَ دَاوُدَ ، قَالَ مَا فَعَلْتَ ، وَلَا وَهَبْتَ لَهُ شَيْئًا . وَأَبْرَزَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ)

زاد في رواية أخرى عن ابن عباس أيضا :

(فَأَتَمَّتْهَا لِدَاوُدَ مِائَةً سَنَةً ، وَأَنْتُمْ لَادَمَ عُمُرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)
وكل ذلك من فضل الله وكرمه .

مشهد عنف النزاع للأرواح

روى البخارى فى باب سكرات الموت من كتاب الرقاق عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه (أى فى مرض موته) رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فيها ماء (الشك من ذكوان الذى روى عن عائشة) فجعل صلى الله عليه وسلم يدخل يديه فى الماء ، فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات .
وفى رواية للبخارى عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يمسح وجهه بالماء ويقول : اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ .
ثم نصب يده فجعل يقول : فى الرفيق الأعلى حتى قبض ، ومالت يده صلى الله عليه وسلم .

وقوله فى الرفيق الأعلى سأل أن يدخله الله فى الملاء الأعلى من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وروى البخارى أن فاطمة رضى الله عنها كانت تقول :

وَكَرَبَاهُ لَكَرْبِكَ يَا أَبَتَاهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ) .

قال الإمام القسطلاني :

الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأشنع.
من (إرشاد الساري ج ٩ ص ٢٩٧)

وقال القرطبي :

في تشديد الموت على الأنبياء فائدتان :

إحداهما : تكميل فضائلهم، ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصا ولا عذابا بل هو
كما جاء في الحديث (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ) .

والثانية : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على
بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه، فيظن سهولة أمر
الموت، ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون شدة ألمه مع كرامتهم على
الله قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقا، لإخبار الصادقين عنه، ما خلا
الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث .

وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُوجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي الْكَظِّ ^(١) عِنْدَ الْمَوْتِ)

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول :

(لَا أَكْرَهَ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

تعنى بعد الذى رأت من موت الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الله قد
خص رسوله بأكمل الحالات، وأكرمها عنده، مع أنها روت عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال فى موت الفجاءة : (هُوَ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَسْفٌ عَلَى الْفَاجِرِ) .

رواه الإمام أحمد عنها

وروى الطبراني عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يَتَعَوَّذُ مِنْ مَوْتِ الْفَجَاءَةِ، وَكَانَ يَعْجِبُهُ أَنْ يَمْرُضَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ .

وروى ابن سعد عن عوانة بن الحكم أنه قال :

(١) الكظ : الغم الشديد .

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول :
عَجَبًا لِمَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَعَقْلُهُ مَعَهُ كَيْفَ لَا يَصِفُهُ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ :
يَا أَبَتُ إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ : عَجَبًا لِمَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَعَقْلُهُ مَعَهُ كَيْفَ لَا يَصِفُهُ؟ فَصَفَ
لَنَا الْمَوْتَ، فَقَالَ :

يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْمَوْتَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوَصَّفَ، وَلَكِنْ سَأَصِفُ لَكَ مِنْهُ شَيْئًا، أَجَدْنِي كَأَنَّ
عَلَى عُنُقِي جِبَالَ رَضْوَى، وَأَجَدْنِي كَأَنَّ فِي جَوْفِي شَوْكَ السَّلَا، وَأَجَدْنِي كَأَنَّ نَفْسِي
يَخْرُجُ مِنْ ثَقَبِ إِبْرَةٍ.
قال أبو حامد الغزالي :

إِنَّمَا يَسْتَغِيثُ الْمَضْرُوبُ وَيَصِيحُ لِبَقَاءِ قُوَّتِهِ فِي قَلْبِهِ وَفِي لِسَانِهِ، وَإِنَّمَا انْقَطَعَ صَوْتُ
الْمَيِّتِ وَصِيَاخُهُ مَعَ شِدَّةِ أَلَمِهِ، لِأَنَّ الْكَرْبَ قَدْ بَالِغَ فِيهِ، وَتَصَاعَدَ عَلَى قَلْبِهِ، وَبَلَغَ كُلَّ
مَوْضِعٍ مِنْهُ، فَهَدَّ كُلَّ قُوَّةٍ، وَضَعَّفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ قُوَّةَ الْاسْتِغَاثَةِ .
أما العقل فقد غَشِيَهُ وَشَوَّشَهُ، وأما اللسان فقد أَبْكَمَهُ، وأما الأطراف فقد ضَعَفَهَا،
وَيَوَدُّ لَوْ قَدَّرَ عَلَى الْاسْتِرَاحَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصِّبَاخِ وَالْاسْتِغَاثَةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ،
فَإِنْ بَقِيَتْ فِيهِ قُوَّةٌ سُمِعَتْ لَهُ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ وَجَذْبِهَا خَوَارًا، وَغَرُغْرَةً مِنْ حَلْقِهِ
وَصَدْرِهِ.

من (الإحياء ج ٤ ص ٣٩٢)

روى أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال :
مَا أَحَبُّ أَنْ يُهَوَّنَ عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يُؤْجَرُ بِهِ الْمُسْلِمُ .
كما روى عن واثلة بن الأسقع أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(والذي نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف والذي نفسى
بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله) .
قال الحسن البصرى :

لو علم ابن آدم أن له فى الموت راحةً وَفَرَجًا لَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ
فِظَاعَتِهِ وَشِدَّتِهِ وَهَوْلِهِ .

وقال إبراهيم النخعي :
كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ شِدَّةَ النَّزْعِ .

مشهد من شدة نزع الروح

قال أبو داود الطيالسي شهدت جنازة داود الطائي، وحضرته عند الموت فما رأيت أشد نزعاً منه .

أتيناه من العشي ونحن نسمع نزعه قبل أن ندخل، ثم غدونا عليه وهو في النزع، فلم نبرح حتى مات .

وفي رواية أخرى عن الطيالسي أنه قال :

حَضَرْتُ بِالْكُوفَةِ مَوْتَ دَاوُدَ الطَّائِيِّ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ مَوْتًا مِنْهُ، كُنْتُ أَسْمَعُ خَوَارُهُ كَأَنَّهُ خَوَارُ ثَوْرٍ، تُوْفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سِتَّةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةً .

من (الحلية ج ٧ ص ٣٤١ وصفة الصفوة ج ٣ ص ١٤٣)

إن داود هذا الذي اشتد نزع روحه كان رحمه الله من الأخيار، قال إسحاق بن منصور:

لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ شَيَّعَ النَّاسُ جَنَازَتَهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَ ابْنُ السَّمَّاكِ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ: يَا دَاوُدُ، كُنْتَ تَسْهَرُ لَيْلَكَ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، فَقَالَ الْقَوْمُ جَمِيعًا: صَدَقْتَ، وَكُنْتَ تَسْلِمُ إِذِ النَّاسُ يَخْوَضُونَ، فَقَالَ النَّاسُ جَمِيعًا: صَدَقْتَ، وَكُنْتَ تَرْبِحُ إِذِ النَّاسُ يَخْسِرُونَ، فَقَالَ النَّاسُ جَمِيعًا: صَدَقْتَ، حَتَّى عَدَّدَ فُضَائِلَهُ كُلَّهَا .

فَلَمَّا فَرَّغَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ النَّهْشَلِيُّ فَحَمْدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ :

يَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ قَدْ قَالُوا مَا عِنْدَهُمْ، وَمَبْلَغَ مَا عِلِمُوا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، بِرَحْمَتِكَ، وَلَا تَكِلْهُ إِلَى عَمَلِهِ .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ١٤٦)

مَنْ الَّذِي يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ؟

لما ذكر الله وفاة الأنفس في القرآن الكريم قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ - الزمر ٤٢ . كما بين أن ملك الموت يتوفاها فقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ السجدة ١١ . وبين أيضاً أن الملائكة يتوفون الإنسان فقال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ الأنعام ٦١ .

أما الآية التي تضمنت أن الله يتوفى الأنفس، فإنه تعالى هو الذي يأذن بذلك، فقد قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ آل عمران ١٤٥ . فكانت

نسبة الوفاة إليه سبحانه بهذا الاعتبار، وأما نسبتها إلى ملك الموت، فلأنه هو الذى يتولى قبض الروح من الجسد، وأما نسبتها إلى الملائكة فلأنهم أعوان ملك الموت يأخذونها من يده عندما يقبضها، ثم يصعدون بها، على ما ورد فى الحديث التالى :

روى أبو داود، وأحمد، وابن أبى شيبة، والحاكم، وابن جرير، وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال :

(اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) مرتين أو ثلاثا ثم قال :

(إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ ^(١) مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ : أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ.

قال فُتَخَّرَجَ تَسِيلَ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ فِي السَّقَاءِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ تَفْحَةً مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيُصْعِدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ : فَتَعَادَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ... وَذَكَرَ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَجَوَابَهُ لَهَا ثُمَّ قَالَ :

وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيئ ملك الموت حتى

(١) الحنوط : هو ما يخلط من الطيب لأجسام الموتى وأكفانهم خاصة .

يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده فيتزعجها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأن تن ربح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسل الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ فيقول الله عز وجل : (اكتبوا كتابه في سجين السفلى) فتنطح روحه طرْحاً ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ . - الحج ٣١ .

فَعَادَ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَان .. الى آخر الحديث (١)

مشاهد الناس قبل نزول الموت

أكثر الناس لا يعز عليهم شيء مثل ما تعز عليهم حياتهم ولا يجزعون أشد الجزع مثل ما يجزعون من شعورهم بدنو آجالهم واقتراب خروجه من الدنيا .
ومع إدراك الناس لعزة الحياة فإن منهم من يعمر حياته بالعمل الصالح، ومنهم من تستحوذ عليه الغفلات، فيطوى عمره على فراغ، أو يعمره بالموبقات حتى إذا فاجأه الموت دعر من المفاجأة، وغمرته حسرة يتضاءل دونها الوصف والبيان . وبقدر ما امتدت به أيام العمر بقدر ما يتعاضد به ألم الحسرة والندامة .
روى أحمد والترمذي وأبو عبد الله الحاكم عن أبي بكره رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(خَيْرَ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرَّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ).

قال ابن خلكان :

ذكر أبو البركات ابن المستن في تاريخ (إربل) أنه وجد في كتاب ذكره الإمام أبو حامد الغزالي في مخاطبة السلطان محمد بن ملكشاه ما نصه :
(اعلم يا سلطان العالم أن بني آدم طائفتان : - طائفة غفلاء، نظروا إلى مشاهد

(١) انظر سؤال الملكين للميت وجوابه لهما بصفحة ٣١٩

حال الدنيا، وتمسكوا بتأميل العمر الطويل، ولم يتفكروا فى النفس الأخير .
- وطائفة عقلاء، جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم، لينظروا إلى ماذا يكون مصيرهم، وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم ، وما الذى ينزل من الدنيا فى قبورهم، وما الذى يتركون لأعاديهم من بعدهم، ويبقى عليهم وباله ونكاله (١) .

والناس يتفاوتون فى تقديرهم لقيمة العمر تفاوتاً عجبياً، فمنهم من ينظر إلى عمره ببصيرة، فيستثمره بحكمة، ومنهم من يبعثه بين استفاقة وغفلة، ومنهم من يبده كله بدون اكتراث، وباستهانة مذهلة .

وبين كل أولئك عرفتنا الحياة أن من الناس من يدأب على أداء كل واجباته حتى إذا بلغ من العمر سناً معينة تخلى عن أكثر مشاغل الحياة، فاعتزل الخلق، وتفرغ فيما بقى من أيام عمره إلى سرد أنواع خاصة من الطاعات كالصلاة والصيام، والتلاوة للقرآن، والذكر بأنواعه، حتى يأتيه أجله، وهو على صلة دائمة بربه .

لقد كان المغتصمون لأواخر أعمارهم على هذا النحو رجالاً كثيرين، من بينهم إياس بن قتادة المجاشعى التميمي .

رأى - رحمه الله شبيهة - فى لحيته فقال : أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته، يارب أعوذ بك من فُجَاءَات الأمور .

ثم قال : يا بنى سعد إني قد وهبت لكم شبابى فهبوا لى شبيبتي ولزم بيتي . فقال له أهله : تموت هزلاً .

فقال : لأن أموت مؤمناً هازلاً أحب إلى من أن أموت منافقاً سميناً .

وروى أنه قال : لا أرانى حُميراً لحاجات بنى تميم، والموت يطلبنى .

فنزل الشبيكة (من منازل البصرة) فاتخذها مسجداً، فلم يزل يعبد الله حتى مات رحمه الله (٢) .

ومن الشيوخ المغتصمين لما بقى من أعمارهم القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخى .

لما تقدمت السن بأبى جعفر صرف عن القضاء ثم أريد للعمل فأبى، وأحب أن يتأهب للموت فقال :

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٧٢ .

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ج ٢ ص ٤٤٠ .

أحب أن يكون بين الصرف عن القضاء والقبر فرجة، ولا أنزل عن القلنسوة إلى الحفرة وقال :

تركت القضاء لأهل القضا ء، وأقبلت أسمو إلى الآخرة
فإن يك فخراً جليل الثنا ء، فقد نلت منه يداً فاخرة
وإن كان وزراً فأبعد به فلا خير في إمرة وأزره (١)

ومن استنكر على نفسه طول الأمل مع قصر العمر أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هرودس الأنصاري الاندلسي فقد قال:

إبراهيم إن الموت آت وأنت من الغواية في سبات
رجاؤك مثل ظل الرمح طولاً وعمرك مثل إنهم القطاة
ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً يزحف فقال له : يا شيخ
إيسرك أن تموت ؟

قال : لا

قال : ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟

قال : ذهب الشباب وشهره، وبقي الكبر وخيره، إذا أنا قعدت ذكرت الله، وإذا
قمت حمدت الله، فأحب أن تدوم لى هاتان الخصلتان (٢).

ومن الناس من يتبرمون بطول أعمارهم، إما خوفاً من تفاقم ضعفهم بمرور الزمان،
وإما إشفاقاً من استفحال أمراضهم، وإما إحساساً بالوحشة من افتقارهم لمن عرفوا في
مراحل الحياة.

تلك هي أسباب التبرم بالحياة بصفة عامة، وقد يحدث ذلك لسبب خاص، كما
روى مالك في الموطأ أن عمر رضى الله عنه كان يدعو فيقول : اللَّهُمَّ كَبِّرْ تُسْنِي،
وَضَعْفُ قُوَّتِي، وانتشرت رِعِيَّتِي، فأقبضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْرَطٍ وَلَا مُضَيِّعٍ. (٣)
إن طول العمر هبة عظيمة من الله، ومظهر من إسعاد الله لعبده إذا رزقه فيه الإنابة
فاغتنم لحظاته الثمينة الغالية .

روى أبو عبد الله الحاكم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال :

(إِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ)

(١) الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٢) ربيع الأبرار ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٣) فتاوى عمر وأقضيته ص ٧٨ .

وإن من المعمرين من كانوا قد أشرفوا على المائة عام، فستموا الحياة لما جرّعتهم من الألامها في تلك المسيرة الطويلة كأبي مسلم الهراء، فإنه مات له أولاد، وأولاد أولاد، وهو حيّ باق، حتى قال :

ما يَرْتَجِي فِي الْعِيشِ مَنْ قَدْ طَوَى
أَفْنَى بَنِيهِ وَبَنِيهِمْ فَقَدْ
لَا بَدَّ أَنْ يَشْرَبَ مِنْ حَوْضِهِمْ
مَنْ عُمِرَ الذَّاهِبُ تَسْعِينَا
جَرَّعَهُ الدَّهْرُ الْأَمْرِينَا
وَلِنْ تَرَاحَى عُمُرِهِ حِينَا

قال ابن خلكان :

كان أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى الكوفى مشهوراً بالعمر الطويل : وحكى بعض كتاب أبى مسلم أنه قال : صحبت معاذ بن مسلم زمناً، فسأله رجل ذات يوم : كم سنّك؟ فقال : ثلاث وستون، قال : ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله : كم سنّك؟ فقال : ثلاث وستون .

فقلت : أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة، وكلّما سألك أحد: كم سنّك تقول ثلاث وستون.

فقال : لو كنت معى إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا .

قال ابن خلكان :

وقال فيه سهل بن أبى غالب الخزرجى :

إِنْ مَعَاذَ بَنِ مُسْلِمٍ رَجُلٌ
قَدْ شَابَ رَأْسَ الزَّمَانِ وَانْتَهَلَ
قَلِّ لِمَعَاذِ إِنْ مَرَرْتَ بِهِ
يَا بَكَرَ حَوَاءَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ
قَدْ أَصْبَحْتَ دَارَ آدَمَ خَرِيَّةً
تَسْأَلُ غُرْبَانَهَا إِذَا نَعَبَتْ
مَصْحَحًا كَالظَّلِيمِ تَرْفُلُ فِي
صَاحِبَتِ نَوْحًا وَرَضْتَ بَغْلَةً ذِي
فَارْحَلْ وَدَعْنَا لَأَنَّ غَايَتَكَ الْمَوْتُ
لَيْسَ لِمِيقَاتِ عُمُرِهِ أَمَدٌ
أَنْثَوَابَ عُمُرِهِ جُدَدٌ
قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمُرِكَ الْأَبَدُ
تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبَدُ (١)
وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّكَ الْوَتَدُ
كَيْفَ يَكُونُ الصَّدَاعُ وَالرَّمَدُ
بُرْدِيكَ مِثْلَ السَّعِيرِ تَتَّقِدُ
الْقَرْنَيْنِ شَيْخًا لَوْلَدُكَ الْوَلَدُ
تُ وَإِنْ شَدَّ رُكْنُكَ الْجَلَدُ

توفى رحمه الله سنة سبع وثمانين ومائة عن سنّ تفوق المائة عام. (٢)

(١) من أساطير الجاهلية أن لبدا آخر نسور لقمان بن عاد. وهو النسر السابع، والسنة التى قبله عاش كل منها ٨٠ سنة، فلما مات لبدا مات لقمان .

(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١٨ .

ومن عمرو فأعرب عن توديع الحياة عند بلوغه سن الثمانين بلبل الصفار حيث قال:

إِذَا مَا أَتَتْ لِلْمَرْءِ سَبْعُونَ وَالتَّقَتْ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُوَدَّعَ مَا مَضَى
وما صاحب السبعين والعشر بعدها
وَلَكِنْ أَمَالًا يُؤْمَلُّهَا الْفَتَى
عليه مع السبعين عشر كَوَامِل
وَيَعْتَدُ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ نَازِل
بِأَقْرَبَ مِمَّنْ حَنَّكَتْهُ الْقَوَائِلُ
وَفِيهِنَّ لِلرَّاجِينَ حَقٌّ وَبَاطِلُ

وقال أبو علي بشر بن موسى الأسدي البغدادي وقد جاوز الثمانين :

ضَعُفْتُ وَمَنْ جَاَزَ الثَّمَانِينَ يَضْعُفُ
وَيَمْشِي رَوِيْدًا كَالْأَسِيرِ مَقِيْدًا
وَيُنْكِرُ مِنْهُ كُلَّ مَا كَانَ يُعْرِفُ
تَدَانِي خُطَاهُ فِي الْحَدِيدِ وَرِسْفُ^(١)

ولما سئل القاضي أبو المكارم شرف الدين الصفراوي الإسكندري الشافعي عن سنه أجاب ارتجالاً :

يَا سَائِلِي عَنْ قُوَى جِسْمِي وَمَا فَعَلْتُ
ثَاءُ الثَّلَاثِينَ أَحْسَسْتُ الْفَتُورَ بِهَا
فِيهِ السَّنُونَ أَلَا فَاعْلَمْهُ تَبَيَّنَا
فَكَيْفَ حَالِي عَنْ ثَاءِ الثَّمَانِينَ^(٢)
ومن الناس من كان في شبابه يتمنى أن يطول عمره، فلما تحققت أميته في الحياة، ساء ما جلبت إليه من معاناة، كأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي فقد قال :

أَرَى الْمَرْءَ يَهْوَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ
تَمَنَّيْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ أَنْنِي
وَفِي طُولِهَا إِرْهَاقٌ ذُلٌّ وَإِرْهَاقٌ
أَعْمَرُ وَالْأَعْمَارُ - لَا شَكَّ - أَرْزَاقُ
فَلَمَّا أَتَانِي مَا تَمَنَّيْتُ سَاءَ نِي
مِنْ الْعَمْرِ مَا قَدْ كُنْتُ أَهْوَى وَأَشْتَاقُ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَهَا أَنَا فِي إِحْدَى وَتِسْعِينَ حِجَّةً
يَقُولُونَ تَرِيَّاقٌ لِمَثْلِكَ نَافِعٌ
لَهَا فِي إِرْعَادٍ مَخُوفٌ وَإِرْهَاقُ
وَمَالِي إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ تَرِيَّاقُ

ومن المتبرمين من طول الحياة محمد بن محمد بن طرخان الفارابي فقد قال :

مَلَّتْ - وَأَيَّمُ اللَّهِ - نَفْسِي نَفْسِي
أَوَّلُ سَعْدِي وَزَوَالُ نَحْسِي
يَا حَبِّدًا يَوْمَ حُلُولِي رَمْسِي^(٣)
إِذْ كُلَّ جِنْسٍ لَاحِقٍ بِالْجِنْسِ

(١) طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣٥٢ .

(٣) الرمس هو القبر .

ومن الناس من يرتاع مما أسلف في عمره الطويل كأبي بكر أحمد بن أبي عقيل
الحريري فقد قال :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَأَعْوَامَهَا مَرَّاحِلُ تُدْنِي إِلَى الْآخِرَةِ
أُرَاعُ إِنَّ عَدَدَتْ أَيَّامَهَا مِنْ زَلَّةٍ أَوْ قَدَمِ عَائِرَةٍ
ومن الناس من يحس بأن أكثر عمره انقضى، فيفزع من تضاؤل باقيه، بالقياس على
ما تصرم منه، ومن أن القليل الباقي سيكون مليئا بالمنغصات
ومن هؤلاء الشيخ إسماعيل بن علي الأزجي الفقيه الحنبلي شيخ ابن تيمية
رحمهما الله، فقد قال لما بلغ الستين من عمره :

عَدَدْتُ سِتِّينَ عَامًا لَوْ أَكُونُ عَلَى تَيَقُّنٍ أَنَّهَا الثَّلَاثَانُ مِنْ عُمْرِي
لَسَاءَنِي أَنْ بَاقِيَ الْعُمُرِ أَيْسَرُهُ وَآخِرُ الْكَأْسِ لَا يَخْلُو مِنَ الْكَدْرِ
وقد يفزع بعض الناس من انصرام أيام العمر، حتى إذا كان يتوقع أن يعيش أمثالها،
فقد قال أحد هؤلاء :

لَهْفِي عَلَى خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ كَأَنْتَ أَمَامِي ثُمَّ خَلَفْتُنَا
لَوْ أَنَّ عُمْرِي مِائَةٌ هَدَنِي تَذَكَّرِي أَتَيْ نَاصَفْتُنَا

الحقيقة المنسية :

إن التأمل في حياة الناس يتبين أن كل إنسان يعلم أن لحياته نهاية، كما يتبين أن
أكثر الناس لا يشعرون باقتراب تلك النهاية، ولو في بداية الاحتضار ...
غير أن ذوى القلوب النيرة يدركون اقترابها حق الإدراك، إما مما يحيط بحياتهم
الخاصة، وإما بالهام إلهي في اليقظة (١) أو المنام .
فمن الفريق الأول من قال :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا وَبَلَّيْتُ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادُهَا
وَأَصْبَحَتْ أَمْرَاضُهَا تَعْتَادَهَا تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

ومن قال :

وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَطَعُوا إِلَيْكَ مَسَافَةَ الْأَجَالِ
وَصَلَ الْبَنُونَ إِلَى مَحَلِّ أَبِيهِمْ وَتَجَهَّزَ الْأَبَاءُ لِلتَّرْحَالِ

(١) انظر مشاهد من ألهمهم الله بأحوال مماتهم في ص ٤٣

ومن قال :

لَقَدْ نَشَأَ ابْنِي فَكَانَ مِثْلِي يَلْبَسُ مَا قَدْ نَزَعْتَ عَنِّي
فَسَرَّنِي مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَسَاءَنِي مَا رَأَيْتُ مِنِّي

ومن الفريق الثاني أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن القيسي الوادي آشي، فقد نقل السيوطي عن ابن الزبير أن أبا إسحاق كان من أهل الفقه والأدب، وله تأليف حسان، وقال في تاريخ غرناطة أنه مات في حدود السبعمئة والخمسين، ورأى قبل موته هاتفا ينشده في النوم :

يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى شَبَابِي كُنْتُ أَلِيفًا فَصِرْتُ لَمَّا (١)
فذيل رحمه الله هذا البيت بقوله :

قَدْ ذَهَبَ الْأَطْيَانُ مِنِّي وَأَنْصَرَمْتُ لَذَّتِي أَنْصَرَمَا
وَرَقَّ جِلْدِي وَدَقَّ عَظْمِي وَأَشْبَهْتُ لَمَّتِي الثَّغَامَا
وَقَلَّ نَوْمِي فَلَيْتَ أَنِّي بُدِّلْتُ مِنْ عَيْشِي الْحَمَامَا
فليس لي في الحياة خير وَلَسْتُ أَرْجُو لَهُ دَوَامَا
فكيف ألهو بها وسقمي قَدْ خَالَطَ الْجِسْمَ وَالْعِظَامَا
وَنَظَرِي مَا يُحَقُّ مَرَأَى وَمَسْمَعِي مَا يَبْعِي كَلَامَا
وَقُوَّتِي قَدْ وَهَتْ فَمَا إِنْ أَطِيقُ مَشْيًا وَلَا قِيَامَا
يُبْدِلُ مَنْ عَاشَ مِنْ قِيَامٍ حَنَى، وَمَنْ صَحَّةً سَقَامَا
وَلَيْسَ ذَا مَنْكَرًا عَلَى مَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ سَبْعُونَ عَامَا
وَعَنْ قَرِيبٍ أَحَلَّ قَبْرًا أَطِيلُ فِي قَعْرِهِ الْمَقَامَا
فَبَلِّغُوا مَنْ لَقِيْتُمُوهُ بَعْدِي يَا إِخْوَتِي السَّلَامَا (٢)

مشاهد أحوال المرضى

المرض حالة عارضة يكرهها الناس، لأنه يغير الطبيعة، ويشل النشاط ويفسد أخلاق كثير من الناس، ولأنه قد تعقبه مفارقة الحياة، فيبدو للمريض كأنه إنذار باقترابه من أمر محتوم وخطير .

(١) يعني كان مستقيم القائمة كالآلف، فصار مائلا كاللام .

(٢) بغية الوعاة ص ١٨٢ .

إن الله سبحانه لو شاء لجعل الناس لا يمرضون أبدا كما سيكونون في الجنة، ولكنه لم يشأ ذلك لنا في هذه الدنيا، كما أنه سبحانه لم يجعل كل مرض يفضي إلى الموت، فكانت أكثر الأمراض تعقبها المعافاة، وكانت المعافاة هي الأمد الطويل في حياة الإنسان.

ولقد أشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيمة المعافاة حين قال فيما رواه الترمذي عن عبد الله بن محصن :

(مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّيهِ ^(١) مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِهَا).

والمرض عرض لازم لكل حي، وهو مما يستلئ الله بشدته أمائل خلقه وفضلاءهم، فيضاعف لهم الجزاء عليه.

روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُوعَكُ، فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت يا رسول الله ما أشدها عليك، فقال : (إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ) قلت : يا رسول الله أى الناس أشدُّ بلاء ؟

قال : (الأنبياء). قلت : يا رسول الله ثم من ؟ قال : (ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُتَلَّى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّهَا ^(٢)) وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ).

ومع كراهة أكثر الناس للمرض فإن عواقب المسلمين المبتلين به جد حميدة .
منها تكفير ذنوب المريض المسلم، فقد روى أبو داود عن أم العلاء رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(يَا أُمَّ الْعَلَاءِ أَبْشِرِي، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ، كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)

وروى البيهقي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(سَاعَاتُ الْأَمْرَاضِ، يُذْهِبْنَ سَاعَاتِ الْخَطَايَا)

(١) في نفسه .

(٢) يثقبها ليدخل رأسه فيها فيلبسها .

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ اللَّهَ يَتَلَي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالسَّكَمِ حَتَّى يُكْفَرَ عَنْهُ كُلَّ ذَنْبٍ) .

وروى البخارى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى
الشُّوْكَهُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) .

وروى الطبرانى عن أسد بن كرز رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(الْمَرِيضُ تَحَاتُّ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ)

ومنها نجاته مما قد يعاقب به فى الآخرة ، روى الترمذى وأبو عبد الله الحاكم عن
عبد الله بن مُغَفَّل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ
عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

ومنها تهيبته لبلوغ منزلة عالية فى الآخرة ، فقد روى البخارى فى التاريخ عن ابن
داسة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ لَمْ يَنْلُهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءَ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، ثُمَّ
صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَنَالَ الْمَنَزَلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) .

ومنها أن الله يفضل على الرجل الصالح فى مرضه فيثيبه على أعمال لم يقم بها
عند مرضه ، روى البخارى فى الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى
الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا مِنْ أَحَدٍ يَمْرُضُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ) .

ومنها أن الله يكرم أصحاب الأسقام والأوجاع والبلوى إكراما يتميزون به عن
سواهم من أهل الجنة ، روى تاج الدين عبد الوهاب السبكي بسنده إلى أنس بن مالك
رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعَرَفًا لَيْسَ لَهَا مَعَالِيْقُ مِنْ فَوْقِهَا ، وَلَا أَعْمَادُ مِنْ تَحْتِهَا) .

قيل : يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها ؟

قال صلى الله عليه وسلم :

(يَدْخُلُونَهَا أَشْبَاهَ الطَّيْرِ)

قيل : يا رسول الله لمن هى ؟

قال : (لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى)^(١)

وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يودُّ أهلُ العافية يومَ القيامةِ لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ فى الدنيا بالمقاريضِ)
لكن من الناس من يخطئ فى تعريض نفسه للبلاء أو أن يطلب من الله أن يستليه
ببلاء يؤجره عليه ، وهذا التصرف لم يستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد
روى البخارى فى الأدب المفرد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رجل
عند النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم لم تعطني مالا فأصدق به فأبتلنى ببلاء يكون
فيه أجر ، فقال صلى الله عليه وسلم :
(سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تَطِيقُهُ ، أَلَا قُلْتَ : اللَّهُمَّ آتِنَا فى الدنيا حسنةً ، وفى الآخرة حسنةً ،
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

ومن الناس من يغلب على ظنه اليأس من المعافاة ، وأن لا شفاء له مما أصابه ، فيعلن
عن ذلك الإحساس فى حزن ومرارة لا يليقان بمؤمن يرجو الله ويتوكل عليه ، روى
البخارى فى الجامع والأدب المفرد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله
عليه وسلم دخل على مريض يعود ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض
يعوده قال :

(لا بأسَ طهورٍ إن شاء الله) .

فقال الرجل : طهور ؟ كلا بل هى حمى تفور ، على شيخ كبير ، تزيه القبور ، قال
النبى صلى الله عليه وسلم :
(فَنَعَمْ إِذَا)

الإنسان مطالب بأن لا يتوقع لنفسه المكاره ، بل يتشبث بفضل الله ومعافاته ويحذر
سوء الظن ، ولا يقول الا التى هى أحسن ، فقد روى أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَبْدٌ وَلْيَنْظُرْ مَا يَقُولُ)

ومن الناس من يتحمل ألم المرض ويتجمل له بالصبر أعظم التجمل ، فقد روى
محمد بن طفيل عن أبيه أنه قال : دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده ، فقال له أبو

(١) طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٨٠ .

كعب شفاك الله، فقال طلحة : أستخير الله، وعن ليث أنه قال : حدثت طلحة في مرضه الذى مات فيه أن طاووسا كان يكره الأنين، فما سمع طلحة يثن فى مرضه حتى مات . توفي رحمه الله سنة اثنتى عشرة ومائة (١)

ومن الناس من يستغرق فى محبة الله، فيحمده ونفسه تُنزع من بين جنبيه، كما قال سبحانه فى الحديث القدسى "إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزَعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنَّتَيْهِ" وهكذا يستسلم لما يختار له مولاه، كما قال القائل لمن يحبه: وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلَ عِنْدِي وَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
فالأمر الكريه لا يستسيغه من غير محبوبه، لكنه يستعذبه إذا صدر من المحبوب، إذ كل ما يفعل المحبوب محبوب .

ومن المرضى من يضجر من شدة المرض، ومن طول أمده، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل المصرى لما اشتد به المرض قال :

لَمْ تَجِدْ هَمِّي وَلَا حَزَنِي أُمُّ مَفْقُودٍ، لَهَا وَلَهُ (٢)
مَا بَقَاءُ الرُّوحِ فِي جَسَدِي غَيْرُ تَغْذِيبٍ لَهَا وَلَهُ (٣)

ومنهم القاضى أبو عبد الله المقرئ التلمسانى أحد قضاة فاس، كان آية من آيات الله فى غزارة العلم، وقلما تقع مسألة إلا ويأتى بجميع ما للناس فيها من أقوال ، ويرجع ويعلل، قال أبو الحسن النباهى سألته عن حاله، فأنشدنى بيتى أبى عمران بن عبد الرحمن وهما :

حالى مع الدهر فى تقلبه كَطَائِرٍ ضَمَّهُ شَرَكُ
هَمَّتْهُ فَي فَكَاكٍ مَهْجَتُهُ يروم تَخْلِيصَهَا فَتَشْتَبِكُ
وتوفى على إثر ذلك (٤)

ومنهم أبو المعالى الملقب بالملك الكامل الأيوبي :

قال ابن خلكان : لم يزل أبو المعالى فى علو شأنه، وعظيم سلطانه إلى أن مرض وكان ينشد فى مرضه كثيراً :

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٩٧ .

(٢) الوله : شدة الحزن .

(٣) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ١٨ .

(٤) المرقبة العليا صفحتا ١٦٩ و ١٧٠ .

يا خليلي خبراني بصدق كيف طعم الكرى فَإِنِّي عَلِيلٌ (١)
ولم يزل كذلك حتى توفي يوم الأربعاء بعد العصر، ودفن بالقلعة بمدينة دمشق يوم
الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمئة (٢)
ومنهم أبو الحسن بن الرومي .
ذكر السيوطي أن أبا بكر بن السراج قال : عدنا أبا الحسن بن الرومي في مرضه
الذي مات فيه، فأنشدنا لنفسه :

ولقد سَمِنتُ مَا رِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثٌ
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبْدَأُ حَدِيثُ
ومن المرضى من يمن الله عليهم بالمعافاة، فيعيشون دهرا بعد وفاة من كانوا
يعودونهم حتى قيل : (كَمْ مُعَافَى يَمُوتُ قَبْلَ الْمَرِيضِ) .
قال أبو العنبر الصيمري :

كم مريضٍ قد عاشَ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ
بَعْدَ مَوْتِ الطَّيِّبِ وَالْعُودِ
قَدْ يُصَادَ الْقَطَا فَيَنْجُو سَلِيمًا
وَيَحِلُّ الْبَلَاءُ بِالصَّيَادِ

(١) الكرى : النوم .
(٢) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٨٣ .

مشاهد عيادة المرضى

عيادة المريض سنة من سنن الإسلام ، فقد قال البراء فيما رواه مسلم عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع الجنائز وعيادة المريض .

كما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
إن الله تعالى يقول يوم القيامة : **يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**، قال يا ربَّ كَيْفَ
أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قال **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ** .

هكذا سيعاتب الله عبده، لأنه ما قام بعيادة عبده، وهكذا تجلب العناية الإلهية بكل من العائد والمعوذ، فوردت في صورة جمع فيها المولى سبحانه بين العتاب وبين عظيم كرمه الذى تفضل به على من ألزمه فراش المرض، تنبيها على شرف المؤمن ومكانته عند ربه، وعلى ضمان الثواب العظيم لمن يعودون المرضى .

ومع أن الله سبحانه منزه عن أن يلحقه المرض، إذ **﴿ ليس كمثله شيء ﴾** فقد نسب المرض لذاته على معنى أنك لو عدت المريض لوجدت عنده ثوابى الجزيل وعطائى الجميل مما سأدخره لك عندى .

وبالإضافة إلى هذا الفضل العظيم وردت أحاديث أخرى تبين مواهب الله لمن يعود المريض .

روى أبو داود والحاكم عن على رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ آتَاهُ مَضِيحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ .)
وروى أحمد عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أَيُّمَا رَجُلٍ عَادَ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ) .

وروى مسلم عن ثوبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ) .

فأشار صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى أن العائد - فى ممشاه - كأنه يجمع من فواكه بساتين الجنة، وهو وعد صادق بأن للعائد خيرا مدخرا سيناله بفضل الله عند دخوله الجنة .

ومما يؤجر به العائد أيضا ما رواه مسلم أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ صَائِمًا ؟) قال أبو بكر: أنا . قال : (مَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟) قال أبو بكر: أنا . قال : (مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟) قال أبو بكر: أنا . قال : (مَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟) قال أبو بكر: أنا .

قال مروان بن معاوية (أحد رجال سند الحديث) بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) .

ومما ورد من عيادات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه البخارى ومسلم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن أباهما قال : اشتكيت بمكة شكوى شديدة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودنى إلى أن قال : ثم وضع يده على جبهتى ، ثم مسح وجهى وبطنى ، ثم قال : (اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتِمَّ لَهُ هِجْرَتَهُ) فما زلت أجد برد يده على كبدى فيما يُخَالُ إِلَى حَتَّى السَّاعَةِ .

كما روى مسلم فى صحيحه والبخارى فى الأدب المفرد عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب وهى تزفرف فقال لها (مَا لَكَ ؟) قالت : الحمى أخزأها الله . فقال صلى الله عليه وسلم :

(مَهْ (١) لَا تَسِيْهَا ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطِيَايَا الْمُؤْمِنِ كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ خُبَثَ الْحَدِيدِ) . وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه أنه قال : مرضت مرضا ، فأتانى النبي صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغشى على ، فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صب وضوءه على ، فأفقت ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله كيف أصنع فى مالى ؟ فلم يجبنى بشيء حتى نزلت آية الميراث .

وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعده عند رأسه ، فقال : (أَسْلَمَ) فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه ، فقال له : أطع أبا القاسم . فأسلم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) .

(١) يعنى كفى عن هذا القول .

آداب العيادة :

من آداب العيادة ألا يتقيد العائد بأن تمضى على المريض ثلاثة أيام من ابتداء المرض، لأن التقيد بذلك ورد فى حديث شديد الضعف، وجمهور العلماء على خلافه. والعيادة يمكن أن تكون فى الليل كما يمكن أن تكون فى النهار، ولكن بصورة لا تخرج أهل المريض كالصباح المبكر والليل المتأخر .

ومن عادات أهل القيروان أنهم إلى عهد قريب يتبعون أهل المدينة المنورة فيما جرت به العادة عندهم من ترك عيادة المريض فى ليلتين من لىالى الأسبوع، وهما ليلة الأربعاء وليلة الجمعة، وذلك لتمكين أهل المريض من التفرغ لشئونهم الخاصة فى تينك الليلتين متأكدين من أنهم لا يفاجئهم فيها أحد من العائدين .

ومن الآداب أن يضع العائد يده على جبهته أو على يده، ويسأله كيف هو .

روى أحمد والطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (.... مِنْ تَمَامِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَيَسْأَلَهُ كَيْفَ هُوَ) .

ومن الآداب أن يتلطف فى إشعاره بقرب سلامته من المرض، وبِمَا سيعقب ذلك من عيش سعيد ، فى عمر مديد .

روى الترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفْسُوا لَهُ فِي الْأَجْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يُطِيبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ) .

ومن الآداب أن يدعو الله بأن يجمع له بين الأجر والمعافاة.

وقد روى البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضاً جلس عند رأسه، ثم قال سبع مرار :

(أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ)

فإن كان فى أجله تأخير عوفى من وجعه .

وفى الأدب المفرد أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان إذا دخل على مريض يسأله كيف هو، فإذا قام من عنده قال : خَارَ اللَّهُ لَكَ ^(١) ولم يزد عليه .

(١) يعنى: أسأل الله أن يختار لك ما هو أنفع لك وأصلح .

وفى الأدب المفرد أيضا أن الربيع بن عبد الله قال : ذهبت مع الحسن إلى أبي قتادة نعوذه، فقعده عند رأسه، ثم دعا له فقال : اللَّهُمَّ أَشْفِ قَلْبَهُ، وَاشْفِ سَقَمَهُ.
وكان سفيان الثوري رضى الله عنه إذا عاد رجلاً قال : عَافَكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ .
ومن الآداب أن يرغب العائد من المريض أن يدعو له .

روى ابن ماجه عن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ فَمُرْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ، فَإِنْ دُعَاةَ كُدَّعَاءَ الْمَلَائِكَةِ)
ومما يتبع العيادة أن من أراد الزيادة فى الأجر، وتخفيف ألم المصاب أن يتمهده
ويتفقد أحواله خصوصا إذا كان المريض فى حاجة إلى ذلك، فإن القيام بما هو فى
حاجة إليه قد يكون سببا مساعدا على انتعاش قواه وتخفيف آلامه.

مما ينبغى اجتنابه فى العيادة:

أولا: ينبغى ألا يتوسع فى استفساره عن إصابته، إذا كانت إصابته فى حادث سيارة
أو سقوط من شاهق أو نحو ذلك، لأن بعض العائدين قد يُفرطون فى أسئلته عن
تفاصيل ما حدث حتى يلجئوه إلى استحضار صورة الحادث فيجتهد فى إجابته عنها
بكل التفاصيل، ثم يخرج ذلك الفوج فيأتى آخرون ويسألونه عما حدث، ثم يأتى
آخرون وآخرون، كل فرد من العائدين يسأل المريض عن تفاصيل ما حدث تعبيرا عن
المودة، وإعرابا عن التفجع، والمريض المسكين يتكلف الإجابة لكل واحد حتى لا يجد
كل عائد فى نفسه أن المريض لم يكثر به ولم يقدّر تفضله عليه بالعيادة.

والمريض فى كل ذلك قد يكون متعباً من الأرق أو من الألم، أو مما يوجه إليه بعض
المغفلين من لومه على تورطه فيما حدث له، وكل ذلك مما يزيد فى ألمه خصوصا فى
بعض الحوادث التى يكون التذكير بها مجدداً للألم وقد قيل : (إِنَّ التَّذْكَيرَ بِالمُصِيبَةِ
مُصِيبَةٌ ثَانِيَةٌ). ولو أن من يرهقون المريض بالأسئلة قد تكون نواياهم حسنة، غير أن
تلك النوايا لا تبرّر الإساءة إلى المريض بمثل ذلك التصرف، كما قيل : (وَمِنَ البَرِّ مَا
يَكُونُ عَقُوقًا) فالواجب أن يكون المؤمن كَيِّسًا فَطَنًا فى كل تصرفاته.

وقد حدث أن بعض المرضى أخرجهم العائدون بأسئلتهم عن تفاصيل الحادث الذى
أصيب فيه، فعمد إلى ورقة كتب فيها كل ما حدث له بالتفصيل، ووضعها بجانبه، فإذا
سأله أحد العائدين عن الحادث يدفع إليه الورقة ويقول له : (اقرأ).

قال سلمة بن عاصم: دخلت على الفرّاء أعوده، فألححت عليه فى السؤال، فقال
لى: ادن، فدنوت فأنشدنى بيتين وهما:

حقَّ العيادة يوم بعد يومين ولحظة مثل لحظ الطرف بالعين
لا تُبرَّ من مريضاً في مُساءلة يكفيك من رده رَدَّ بِحَرْقَيْنِ
ثانياً: ينبغي ألا يطول الجلوس عند المريض، فقد روى الديلمي عن جابر رضى الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أفضلُ العيادة أجراً سرعة القيام من عند المريض) لأن المريض قد تطرأ عليه حاجة
يستحي أن يذكرها أمام جلسائه.

قال أبو الحسن سرى بن المغلس السقطي : اعتلت بطرسوس بعلة القيام، فعادني
ناس من القراء، فأطالوا الجلوس، فقلت : ابسطوا أيديكم حتى ندعو، فقلت : (اللهم
علّمنا كيف نعوذُ المرضى).

فعلّموا أنهم قد أطالوا فقاموا (١).
ثالثاً: ينبغي ألا يكثر ترددُ العائدين على المريض، خصوصاً إذا كانوا يعلمون أن
المريض لم يكن لديه بالمنزل أناس مستعدون لاستقبال العائدين بالليل والنهار، فيتحرّج
من مَواساة تصحبها مشقة.

كان أبو علي الحسن بن سعد العسقلاني المعروف بالمكربل لما كثر عوّاده ضجر من
ذلك، فكتب على باب داره:

لا تزوروني فمالي أَحَدٌ يَفْتَحُ بَاباً
عَظَّمَ اللهَ لِمَنْ خَفَّ أَجْراً وَثَوَاباً (٢)

النهى عن تقنى الموت

الموت سبيل لا بدّ أن يغبره كلّ حي، سئل رجل عن أخيه فقال : مات، قيل له : وما
سبب موته؟ قال : حياته.

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يتمنى الإنسان الموت، أو أن
يدعو به على نفسه، ولو لضرّ نزل به، وذلك لأن ما ينكشف للمرء بموته أمر شديد،
فلماذا يستعجله؟ ولأن امتداد الحياة لا يزيد المؤمن الصالح إلا الإكثار من العمل
الصالح، ولأن المسرف عن نفسه قد يرجع إلى الله بالمتاب.

وبين صلى الله عليه وسلم أن المرء إذا كان داعياً ولا بدّ فليفوّض ذلك إلى الله،
وليقبل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ١٦٣ .

(٢) الوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٣٠ .

وإليك بعض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمنى الموت:
روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
(لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ
عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عَمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا)

وروى البخارى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ، وَإِمَّا
مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ) يعنى يقلع عن الإساءة.

وروى أحمد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم قال:
(لَا تَمْنُوا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنْ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عَمْرُ الْمَرْءِ
حَتَّى يَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ) والمطلع هو مكان الإطلاع من موضع عال، والمراد ما يُشرفُ
عليه الإنسان من أمر الآخرة إثر موته.

وروى أحمد والترمذى عن أبى بكرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله،
أى النَّاسِ خيرٌ؟ قال : (مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ . قال : فأى النَّاسِ شرٌّ؟ قال مَنْ
طَالَ عَمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ)

وروى أحمد والبخارى عن طلحة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ)
وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
: (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ نَزَلِهِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مَتَمْنِيَا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا
كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي).

وروى مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال.
(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَهُ)
وروى مالك عن ثوبان رضى الله عنه أن من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتُ
بِالنَّاسِ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ).

وروى مالك عن عمر رضى الله عنه أنه دعا قائلا : (اللَّهُمَّ قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي
وَكَبُرَتْ سِنِّي، وَأَنْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضْطَعِبٍ وَلَا مُقْصِرٍ)
فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض.

مشاهد من سئمو الحياة

من الناس من سئمو الحياة أمّا من شدة ألم المرض وإمّا عزوفا عن كل ما فى الحياة، وإمّا تبرّما بما صار عليه الناس، وإمّا رغبة فيما عند الله.

كان العرباض بن سارية رضى الله عنه يقول وقد كبرت سنه :
اللَّهُمَّ كَبَّرْتُ سِنِي، وَوَهَنَ عَظْمِي فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ.

من (الحلية ج ٢ ص ١٤)

وقال حارثة بن مضرب دخلنا على خَبَّاب وقد اكتوى فى بطنه سبع كِيَّات. فقال :
ما أعلم أحدا لقي من البلاء ما لقيت، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ) لتمنيته.

من (الحلية ج ١ ص ١٤٤).

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن أنه لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
(قد نزل من الأمر ما ترون، وأن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدبر معروفها،
وأنشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، إلا خسيس عيش كالمرعى الويل. ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن فى لقاء الله، وإنى لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا جُرْما).

من (الحلية ج ٢ ص ٣٩)

وروى أبو نعيم بسنده إلى عبد الرزاق أنه قال :

كان سفيان الثوري إذا اغتمّ رمى نفسه عند وهيب بن الورد، فقال له: يا أبا أمية ترى أحدا يتمنى الموت؟ فقال وهيبُ: أمّا أنا فلا، قال سفيان: أمّا أنا فوددتُ أنى واللّه ميت.

من (الحلية ج ٨ ص ١٥٩)

وقال المغيرة بن حبيب اشتكى مالك بن دينار بطنه، فقيل له : لو عُمِل لك قَلِيَّةٌ فإنّها تحبس البطن؟ فقال : دعونى من طلبكم، اللهم إنك تعلم أنّى لا أريدُ البقاء فى الدنيا لبطنى ولا لفرجى، فلا تبقنى فى الدنيا.

من (الحلية ج ٢ ص ٣٦١)

ومن الناس من تمنى موت من أحب من ذريته محبة شديدة، حتى لا يشغل قلبه أحد مع الله.

قال بعض أصحاب البهلول بن راشد: دخلت عليه وبين يديه ابنته طفلة، وعليها ثياب مصبوغة، فقال لى: ما أحببت شيئا حبي لها، وإنى لأحب لو قدّمته لربى. قال: فانصرفت عنه، ثم رجعت إليه، فأصبت الناس مجتمعين على بابه، فسألت: فقيل لى: ماتت ابنته، فدخلت عليه وعزيت.

فلما وليت لحقنى وقال: بالله لا تذكر ما كان منى - يعنى أمنيته - ما دمت حيا. من (الحلل السندسية ص ٧١٩)

لاموت إلا عند حلول الأجل

لقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإنسان حين يكون فى بطن أمه يأمر الله سبحانه الملك بكتابة أجله الذى حدده له فى هذه الدنيا «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» - المنافقون - ١١.

وقد يحدث أن بعض الناس تظهر عليهم علامات الموت، فلا يشك فى وفاتهم، فيجهزون تجهيز الأموات، وقد يدفنون، ثم يتبين أنهم ما يزالون أحياء، فيعيشون بعد ذلك زمنا قد يمتد بهم فيتزوجون، ويولد لهم الأبناء، ثم يموتون عند حلول أجلهم، وإليك بعض المشاهد من تلك الأحداث.

كان الأمير العباسى إبراهيم بن صالح قد ولى إمارة دمشق للخليفة المهدي ولما توفى حضر الرشيد لجنازته، فحلف الطبيب ابن بهلة أنه لم يمّت ونخسه بإبرة تحت ظفره فحرك يده ثم أمر بنزع الكفن عنه، ودعا بمنفخة وكندس، فنفخ فى أنفه، فعطس، وفتح عينيه، فسأله الرشيد كيف أنت؟ فقال:

كنت فى الدّ نومة، فعضنى كلب.

وقال ابن أبى أصيبعة:

(رأى فى منامه كلباً أهوى إليه فتوقاه بيده، فعض إبهام يده اليسرى عضه).

ثم إنه عوفى، وتزوج عباساً أخت الرشيد وتولى إمارة مصر بعد ذلك وبها مات.

من (الوافى بالوفيات ج ٦ ص ٢١)

وقال أحمد بن على بن ثابت البغدادى:

بلغنى أن محمد بن يحيى البغدادى المعروف بحامل كفته، توفى وغسل وكفن وصلى عليه، ودفن. فلما كان أول الليل جاءه نباش، فنبش عليه، فلما حل أكفانه

ليأخذها استوى قاعدا، فخرج النباش هاربا منه، فقام وحمل كفته وخرج من القبر، وجاء إلى منزله وأهله ييكون، فمدق الباب عليهم، فقالوا من أنت؟ فقال: أنا فلان.

فقالوا له :

لا يحلُّ لك أن تزيدنا على ما بنا.

فقال: يا قوم افتحوا، فأنا والله فلان.

فعرفوا صوته، ففتحو له الباب، وعاد حزنهم فرحا، وسمي من يومه (حامل كفته) توفي - رحمه الله - في حدود الثلاثمائة.

من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ١٨٩)

وكان أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى الزيدى العلوى قد بنى دارا بالكوفة، وكان فيها حائط عال، فسقط من الحائط بناء، وقام سالما، فعجب الناس، وعاد البناء ليصلح الحائط، فقال له الشريف أبو الحسن:

قد بلغ أهلك سقوطك، وهم لا يصدقون بسلامتك، وكأنى بالنوائح وقد أتين إلى بابي، فاذهب إليهم ليطمئنوا، ويصدقوا أنك في عافية.

فخرج البناء إلى أهله مسرعا، فلما بلغ عتبة الباب عثر، فوقع ميتا.

من (الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٢٤٤)

كان أبو محمد عبد الله بن محمد بن زهر طبيا مفرط الذكاء، وكان أباه معروفين بالطب.

قال أبو مروان الباجي:

قال لي أبو محمد يوما: رأيت البارحة أختي - وكانت أخته قد ماتت قبله - وكأنني قلت لها: بالله يا أختي عرفيني كم يكون عمري؟ فقالت لي: طابيتين ونصفا.

والطابية هي خشبة للبناء معروفة بهذا الاسم، وطولها عشرة أشبار.

فقلت لها: أنا أقول لك جذا، وأنت تجيبينني بالهزل؟ فقالت: لا، والله ما أجبتك إلا بالجد، وإنما أنت ما فهمت، أليس أن الطابية عشرة أشبار؟ والطابتان والنصف خمسة وعشرون شبرا، يكون عمرك خمسا وعشرين سنة.

قال أبو مروان: فلما قصّ علىّ هذه الرؤيا، قلت له: لا تتوهم من هذا، فلعلّه أضغاث أحلام، قال: ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات، وكان عمره كما قيل خمسا وعشرين سنة، لا أقل ولا أكثر.

قيل: وقد مات مسموما - رحمه الله.

من (الوافي بالوفيات ج ١٧ ص ٥٧٦)

مشهد من مات من غمة القبر

قال ابن خلكان :

توفي أبو الفضل أحمد بن الحسين (بديع الزمان الهمذاني) بهراً يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما .

ثم قال :

وجدت فى آخر رسائله التى جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله :

هذه آخر الرسائل، وتوفى رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

قال الحاكم المذكور : وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة، وعُجِّلَ دفنه، فأفاق فى قبره، وسمع صوته بالليل، وأنه نُبِشَ عنه، فوجدوه قد قبض على لحيته، ومات من هول القبر - رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٩)

مشاهد من ألهمهم الله بأحوال مماتهم

من أفضل ما يكرم الله به عبده أن يلهمه إلى معرفة زمن وفاته تحديدا أو تقريبا، ليتأهب للقاء الله .

وأن من الناس من تصفو نفوسهم، فلا تلوثها كدورات المخالفات والآثام، فيمنّ الله عليهم ويكشفهم بأوقات وفياتهم، وبشيء من أحوالها .

قد يحدث ذلك بسماع بعضهم لهاتف يهتف بهم فى البقطة، وقد يكون فى رؤيا يراها الشخص أو يراها له بعض الناس .

روى الطبرانى فى المعجم الكبير عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ، فَلَا نُبُوَّةَ بَعْدِي، إِلَّا الْمَبَشِّرَاتُ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ) .

وروى ابن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ هِيَ الْبُشْرَى، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ) .

وروى الطبرانى فى المعجم الكبير والضياء المقدسى فى المختارة عن عبادة بن

الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كَلَامٌ يُكَلِّمُ به الْعَبْدَ رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ).

وليس معنى تلك المكاشفات أن الإنسان يرى فى المنام أنه قد مات ، لأن موت الإنسان فى المنام يعبر فى علم (تعبير الرؤيا) بمعان كثيرة، وهى تختلف باختلاف ما يحيط برؤيا الموت من أشياء كالبكاء، والغسل، والكفن، والنعش، والدفن، والخروج من القبر، والعيش بعد الموت

فمن رأى أنه قد مات فقد تدل رؤياه على نقص فى دينه، وقد تدل على انتقاله بالسفر، وقد تدل على فقره بعد الغنى ، وقد تدل على زواجه، وقد تدل على نجاته من الهموم الخ وهكذا يختلف تعبير رؤيا الوفاة باختلاف ما يحيط بها .

أما الدلائل على مدى عمر الإنسان فهى كثيرة، ومن بينها أن يرى الإنسان - فى منامه - شيئاً خاصاً، له دلالة على معنى معين يتصل باقتراب النهاية، فتدل رؤياه لذلك الشيء على قرب نهايته، كأن يرى شخصاً أعطاه ورداً ، فيكون تعبيره قرب وفاته، لارتباط ذلك بمدة بقاء الورد وهى مدة قصيرة، كما قال الشاعر :

أَنْتَ وَرَدٌ وَبَقَاءُ الْـ وَرْدٍ شَهْرٌ لَا شَهْرٌ

وَهُوَ فَوْقَ الْأَسْرِ وَالْأَسْرِ عَلَى الدَّهْرِ صَبُورٌ

إن مكاشفات الناس بأحوال وفياتهم وأوقاتها مكاشفات كثيرة فى الحياة ومتنوعة . فمن الناس من يكشفه الله بالسنة التى سيموت فيها، بل قد يكشف بالشهر، أو اليوم، أو بوقت محدد من يوم معين، مثل عقب صلاة الجمعة، أو قبل صلاة العشاء من آخر شعبان .

ومنهم من يكشف بمن سيُصلّى عليه من خُصمائه فيكون الأمر كذلك، ومنهم من يكشف بالمكان الذى سيُقبر فيه، ولو كان بعيداً عنه فيقبر فيه كما رأى . ومنهم من يكشف بأنه سيُقبر بمكان، ثم يقع تحويله منه، فيتم ذلك حسب ما كوشف به، ويحوّل من قبره الأول بعد سنين .

ومنهم من يكشف بأن عمره سيكون مساوياً لعمر أبيه مثلاً فيعيش كذلك . إن كل تلك الأحوال هى من الغيب الذى استأثر الله وحده بعلمه، ما فى هذا الأمر شك ، ولكن الله سبحانه قد يكشف بها خواص عباده، إما بوحي منه، وهذه المرتبة خاصة بالأنبياء، وإما بإلهام صادق لعبد صالح، وإما برؤيا حسنة يراها المؤمن أو تُرى

له، فقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الرَّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجْلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ). وكل ذلك من مواهب الله تعالى ورحمته: ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ البقرة - ١٠٥ .

مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوحى الله إليه بقرب وفاته

قال الشيخ صفى الرحمن المباركفورى فى (الرحيق المختوم) لما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صلى الله عليه وسلم، وتتضح بعباراته وأفعاله.

أنه اعتكف فى رمضان من السنة العاشرة عشرين يوما، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين .

وقال فى حجة الوداع: إني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً. وقال وهو عند جمرة العقبة : خذوا عني مناسككم، فلعللى لا أحج بعد عامى هذا. وأنزلت عليه سورة النصر فى أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، وأنه نعت إليه نفسه .

وفى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد فصلكى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: (إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضى الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشرکوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) (١)

وفى الأيام الأخيرة من مرض وفاته الذى استغرق أربعة عشر يوما أحسَّ بخفة يوم الأربعاء قبل وفاته بخمسة أيام فدخل المسجد وهو معصوب الرأس حتى جلس على المنبر والناس مجتمعون حوله فقال : قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا تتخذوا قبرى وثناً يعبد .

(١) وروى البخارى هذه الخطبة عن عقبة بن عامر، وقال : فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعرض صلى الله عليه وسلم نفسه للقصاص قائلا : من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فَلْيَسْتَقْدُ، ومن كنت شتمت له عرضاً، فهذا عرضي فَلْيَسْتَقْدُ منه.....

ثم قال : (إن عبداً خيّر الله أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختر ما عنده).

قال أبو سعيد الخدري : فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال فديناك بأبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول : فديناك بأبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر رضى الله عنه أعلمنا.

من (الرحيق المختوم ص ٥٢٢ - ٥٢٤)

وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : اجتمعن نساء النبی صلى الله عليه وسلم فلم تغادر متهن امرأة، فجاءت فاطمة رضى الله عنها كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (مرحبا بابنتی) ثم أجلسها عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً، فبكت فاطمة رضى الله عنها ثم إنه سارها فضحكت أيضاً، فقلت : لها ما يبكيك؟ قالت ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت : أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث دوننا ثم تبكين؟ وسألته عما قال . فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا قُبِضَ سألته عما قال، فقالت : إنه كان يحدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة ، وأنه عارضه به العام مرتين (ولا أراني إلا قد حضر أجلى وأنتك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك) فبكت، ثم إنه سارني فقال : (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك).

وروى ابن ماجه أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أن النبی صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نبی يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة) فلما كان مرضه الذي قُبِضَ فيه أخذته بحةٌ، فسمعتة يقول : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ النساء - ٦٩ قالت رضى الله عنها فعلمت أنه خير.

مشهد من اشتد مرضه، فأخبر أنه

سيعافى ثم يموت فى مرضة ثانية

ذكر أبو إسحاق السبائي أن أبا محمد عبد الله التاهرتي اعتل علة شديدة حتى يشسوا منه، فقال للذى يخدمه:

إنى لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها إن شاء الله تعالى، فإذا كانت المرضة الثانية بعدها توقعوا موتى .

قال أبو إسحاق السبائي ما أراه إلا دعا الله عز وجل فأخبر بذلك فى منامه. وقال أبو مالك سعد بن مالك الدباغ :

شهدته وقد احتضر وحوله جماعة، فتذاكروا الموت وسكراته، وشدته وغمراته، ثم قال :

ادخل يا ملك الموت، وأقبل يتسم وينظر عن يمينه، وشممت رائحة طيبة.

من (رياض النفوس ج ٢ ص ٨٢)

مشهد من أخبر أن رجلا سيموت فى

ذلك اليوم وقد عنى نفسه فمات

كان أبو صالح أيوب بن سليمان المعافى الجيانى يهمس أحيانا بأشياء من علم الحدثن، وقد ذكر أنه وقف يوما بباب داره مع جيرانه على عادته، فقال لهم :

سيموت اليوم رجل من العرب يعز فقده، ودخل داره، فما خرج عن داره، وتوفى رحمه الله مساء يومه، وذلك يوم الخميس لسبع بقين لمحرّم سنة اثنتين وقيل إحدى وثلاثمائة.

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ١٥٣)

مشهدان عجيبان من ميت وغاسل

قال خادم أبى بكر الشبلى الصوفى :

وجد الشبلى يوم الجمعة آخر ذى الحجة خفة من وجع كان به، فقال لى :

تنشط غمضى للجوامع ؟

فقلت : نعم .

واتكأ على حتى انتهينا إلى الوراقين، فتلقانا رجل، فقال الشبلى :

غدا يكون لى مع هذا الشيخ شأن من الشأن.

وصلينا ثم عدنا، فتناقل، ومات من الليل، فقيل لى فى موضع كذا شيخ صالح

يغسل الموتى، فدلونى عليه سحراً، فنقرت الباب خفيفاً، وقلت سلام عليكم.

فقال :

مات الشبلى؟

قلت : نعم .

فخرج إلى، فإذا هو الشيخ الذى لقيناه أمس .

قلت : لا إله إلا الله (تعجباً) ثم قلت :

بحق معبودك من أين لك أن الشبلى مات ؟ (فقال لى : يا ابنه، من أين للشبلى أن

يكون لى معه شأن من الشأن اليوم ؟

توفى رحمه الله يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ٤٧)

مشهد من قال لمن عاده : غدا تعالين

الكثير من عفو الله

ذكر القاضى عياض أن بكر بن سليمان الصواف قال :

دخلنا على الإمام مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله

كيف تجدك؟

فقال :

ما أدرى كيف أقول، إلا أنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما لم يكن فى حساب. ثم ما برحنا حتى أغمضناه .

قال عياض : وقيل أنه تشهد ثم قال : لله الأمر من قبل ومن بعد.

وقال : مرض مالك اثنين وعشرين يوماً وتوفى يوم الأحد لعشر مضين من ربيع

الأول سنة تسع وسبعين ومائة .

من (ترتيب المدارك ج ٢ ص ١٤٦)

مشهد من عبث سقوط باب داره بموته

ذكر أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى رُمى فى مجلسه تحت فكرةٍ

وكأبة، فسئل عن سبب هذا فقال :

رأيت باب دارى سقط، وقد قال فيه الكرمانى : إنه يدل على موت صاحب الدار.

فقليل لأبى محمد :

هل الكرمانى مالك فى علمه؟
فقال : نعم هو فى علمه مثل مالك فى علمه .
فلم يقيم الشيخ أبو محمد إلا يسيراً حتى مات رحمه الله سنة ست وثمانين
وثلاثمائة .

(من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٢٢)

مشهد من ألهم أنه سيموت قبل

الفجر من يوم الأحد

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي فى الطبقات الوسطى أن أبا العباس النسوى
قال :

لما اعتل أبو العباس أحمد بن محمد الديلى علته التى توفى فيها ، وتوليت خدمته ،
شهدت منه فى علته أحوالاً سنية ، وقال لى : إنه يموت ليلة الأحد .
وقال لى :

تنحّ فإني أريد أن أجمع بين صلاتين (يعنى صلاة المغرب وصلاة العشاء) .
وركع وأوتر ، ثم أخذ فى السياق ، وهو حاضر معنا إلى نصف الليل ، فقامت
وطرحت نفسى ساعة ، ثم رجعت إليه ، فلما رآنى قال :

أى وقت هذا ؟

قلت : قَرَبَ الصُّبْحِ .

فقال : حَوَّلُونِي إِلَى الْقَبْلَةِ .

فأخذ يقرأ ، فقرأ مقدار خمسين آية ، ثم خرجت روحه ، مات رحمه الله سنة ثلاث
وسبعين وثلاثمائة .

(من (هامش الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٥٥)

مشهد من سمع هاتفا يقول

ستمثد حياته ثلاثين سنة

دخل محمد بن الحسين الأجرى الفقيه الشافعى مكة المكرمة ، فأعجبته الإقامة بها
فقال :

اللهم ارزقنى الإقامة بها سنة . فسمع هاتفا يقول : بل ثلاثين سنة ، فعاش بعد ذلك
ثلاثين سنة ومات رحمه الله بمكة سنة ستين وثلاثمائة .

(من (الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٣٧٣)

مشهد من سمع هاتفا يخبره بوقت وفاته

نقل المالكي في الرياض عن محمد ولد أبي على الحسن بن نصر السويسي أن أباه قال له :

يا بُنَيَّ اربطْ لى حَبْلًا فى السقف، لعلّى أقدرِ أصَلِّي قائما، وكان ذلك فى علته التى مات فيها.

قال : فربطت له الحبل، وحملناه حتى وقف على نفسه وأمسك الحبل فغلب ولم يستطع القيام كما كان، فبكى وقال :

وَأَعُوذُكَ، يَا لِلَّهِ، حَيْلَ بَيْنِي وَبَيْنَ طَاعَةِ رَبِّي، فقلت له :

يا أبى صَلِّ جَالِسًا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَضَ يَصَلِّي مِنْ جُلُوسٍ مَعَ الضَّرُورَةِ، فَكَيْفَ النَّفْلُ؟

فقال لى :

يا بُنَيَّ الْعَمْرُ قَصِيرٌ، وَالْعَمَلُ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا أُرِدْتُ أَنْ أَعْمَلَ أَكْثَرَ تَمَّا عَمَلْتُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا قَضَى وَقَدَّرَ.

قال ابنه محمد :

ولما طالت بأبى العلة قال لوالدته :

يا عائشة طالت علتى، وتوليت منى خيرا، وتعبت معى تعباً كثيراً . وأنت فى ذلك مثوبة مأجورة، لا تملى ولا تزهدى فى خدمتى، واصبرى فإننى ما أشك فى أن أجلى قد قُرب، فيذهب أجرك بقلّة الصبر، سمعتُ هاتفا يقول لى من هذا الطاق :

يا حسن، غدا صلاة الظهر يُفرج عنك، فما أشك فى أنى بالغداة أموت . فكان كذلك رحمه الله تعالى .

من (رياض النفوس ج ٢ ص ٣٩٣)

مشهد من نعى فى منامه بالشعر

كان أبو عمر أحمد بن محمد الماعفرى الأندلسى الطَّلَمَنكى ذا عناية تامة بالأثر، وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قال ابن بشكوال : أخبرنى أبو القاسم إسماعيل بن عيسى بن محمد الحجارى عن أبيه أنه قال :

خرج علينا أبو عمر الطَّلَمَنكى يوماً ونحن نقرأ عليه فقال :

اقرأوا، وأكثرُوا، فإننى لا أجتاوز هذا العام، فقلنا له :

ولم - يرحمك الله؟

قال : رأيت البارحة فى منامى من يُشدنى :

اغْتَنِمُوا الْبِرَّ بِشَيْخِ نَوَى تَرَحَّمَهُ السُّوقَةُ وَالصَّيْدُ
قَدْ خَتَمَ الْعُمَرَ بِعَيْدٍ مَضَى لَيْسَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ عِيدٌ
فتوفى رحمه الله فى ذلك العام فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة .
من (الوافى بالوفيات ج ٨ ص ٣٣)

مشهد من زار مدفنه قبل موته بيوم أو يومين

لما مرض الشيخ برهان الدين إبراهيم بن معضاد مرض موته، أمر أن يُخرج به حيا
إلى مكان مدفنه ظاهر القاهرة بالحسنية، فلما وصل إليه قال له :
قُبِيرَ، جاءك دُبِيرُ .
وتوفى بعد ذلك بيوم أو يومين سنة سبع وثمانين وستمائة، وقد جاوز الثمانين
بسنوات .
من (الوافى بالوفيات ج ٦ ص ١٤٨)

مشهد من شعر بقرب دخول ملائكة الوفاة عليه

روى الشعبى عمن حدثه أن بَقيرة امرأة سلمان الفارسى رضى الله عنه قالت :
لما حضر سلمان الموت دعانى وهو فى عُلْيَةٍ لها أربعة أبواب، فقال :
افتحى هذه الأبواب يا بَقيرة فإن لى اليوم زوارا لا أدرى من أى هذه الأبواب
يدخلون علىّ .
قالت : ثم دعا بمسك له فقال : أذيقه فى تور ، ففعلت، ثم قال انضحيه حول
فراشى ، ثم انزلى، فامكثى ، فسوف تطلعين فترينى على فراشى .
قالت : فاطلعتُ، فإذا هو قد أخذتُ روحه، فكأنه نائم على فراشه .
من (الحلية ج ١ ص ٢٠٨)

مشهد من قال : لا يكون موتى بالأوجاع

قال أبو نعيم :
سمعت أبى يقول وعنده أصحاب علىّ بن سهل أن علىّ بن سهل كان يقول :
ليس موتى كموتكم بالأللال والأسقام، إنما هو دعاء وإجابة أدعى فأجيب .
فكان كما قال : كان يوما قاعدا فى جماعة فقال : لبيك ووقع ميتا رحمة الله عليه
وعلينا وعلى أموات المسلمين .
من (الحلية ج ١٠ ص ٤٠٥)

وروى ابن الجوزى هذا المشهد بعد أن قدّم له بقوله :
كان أبو الحسن علىّ بن سهل بن الأزهر الأصبهاني من المترفين فتزهّد، وكان يبقى

الأيام الكثيرة لا يأكل، وقال استولى على الشوق فألهانى عن الأكل.
وكان يقول : المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق، والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية.

قال أبو حامد أحمد بن عبد الله بن رُسْتَه، وكان من أصحاب عليّ بن سهل : أنه كان يقول :

ليس موتى كموتكم بأعلال وأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أَدْعَى فأجيب، فكان كما قال، كان يوما قاعدا في جماعة فقال : لبيك، ووقع ميتًا رحمه الله توفى سنة سبع وثلاثمائة.

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٨٦)

مشهد من رجا ألا يتألم بسكرات الموت

كان الصحابي الجليل أبو ثعلبة الحُثَنِي رضى الله عنه يقول :
إني لأرجو ألا يَخْنُقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ كما أراكم تُخْنَقُونَ عند الموت .
فَينما هو يصلى فى جوف الليل قُبْض وهو ساجد .
ورأت ابنته فى نومها أن أباهما قد مات فاستيقظت فزعة، فنادت أمها :
أين أبى ؟
قالت : فى مصلاه .

فنادته، فلم يجبها، فوجدته ساجدا فحركته فوقع لجنبه ميتًا.

من (الحلية ج ٢ ص ٣١)

مشهد من ألهم أنه سيعيش كعمر أبيه

نقل ابن خلكان عن أبي إسحاق بن حفص أن أبا وائلة إياس بن معاوية المزنى القاضى قال - فى العام الذى توفى فيه - رأيت فى النوم كأبى وأبى على فرسين فجريا معا ، فلم أسبقه ولم يسبقنى، وعاش أبى ستا وسبعين سنة وأنا فيها.
قال أبو إسحاق :

فلما كان آخر ليالى إياس قال : أتدرى أى ليلة هذه؟ هذه ليلة أستكمل فيها عمر أبى، ونام إياس فأصبح ميتًا.

وقال أبو إسحاق :

رأى إياس أنه لا يدرك عيد النحر فخرج إلى ضيعة له بعبدَسِي (قرية بين البصرة وخوزستان) فتوفى بها سنة اثنتين وعشرين ومائة .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٠)

مشهد من قيل له سيكون عمره كعمر جده

نقل تاج الدين السبكي عن أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک أنه قال :
سمعت أبا الوليد حسان النيسابوري في مرضه الذي مات فيه يقول :
قالت لي والدتي : كنت حاملا بك وكان للعباس بن حمزة مجلس، فاستأذنت أباك
أن أحضر مجلسه في أيام العشر، فأذن لي، فلما كان في آخر المجلس قال العباس بن
حمزة قوموا، فقاموا وقمت معهم، فأخذ العباس يدعو فقلت :
اللهم هب لي ابنا عالما .

فرجعت إلى المنزل فبت تلك الليلة، فرأيت فيما يرى النائم كأن رجلا أتاني فقال:
أبشرى فإن الله قد استجاب دعوتك، ووهب لك ولدا ذكرا وجعله عالما، ويعيش كما
عاش أبوك، قالت وكان أبي عاش اثنين وسبعين سنة .

قال أبو الوليد : وهذه قد تمت لي اثنتان وسبعون سنة، قال الحاكم: فعاش بعد هذه
الحكاية أربعة أيام، وكان إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد من رأيت من العلماء
وأعبدهم وأكثرهم تقشفا ولزوما لمدرسته وبيته ، توفي رحمه الله تعالى بنيسابور ليلة
الجمعة خامس عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

من (طبقات الشافعية لابن السبكي ج ٣ ص ٢٢٧)

مشهد من ألهم أن أجله كأجل ثلاثة سبقوه

كان أبو بكر عبد العزيز المعروف بـغلام الخلال قد قال في علته التي مات فيها :
أنا عندكم إلى يوم الجمعة .
فقيل له :

يعافيك الله أو كلاما هذا معناه فقال :

سمعت أبا بكر الخلال يقول : سمعت أبا بكر المروزي يقول :
عاش أحمد بن حنبل ثمانيا وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة .
وعاش أبو بكر المروزي ثمانيا وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة .
وعاش أبو بكر الخلال ثمانيا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة .
وأنا عندكم إلى يوم الجمعة، ولي ثمان وسبعون سنة، فلما كان يوم الجمعة مات،
ودفن بعد الصلاة رحمه الله .

من (طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٢٦)

مشهد من رأى أنه بنى سبعين درجة ثم تدهورت فعاش مثلها

نقل ابن خلكان عن ابن سعد من الطبقات أن خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى قال :

رأيت فى المنام كأنى بنيت سبعين درجة فلما فرغت منها تدهورت، وهذه السنة لى سبعون سنة قد أكملتها .

قال ابن سعد : فمات فيها رحمه الله .

توفى خارجة بالمدينة سنة تسع وتسعين وقيل سنة مائة .

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٣)

مشهد من قال أنه لا يصوم رمضان المقبل فمات آخر شعبان

كان الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثمانى من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولما دخل شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة قال لتلاميذه :

إنى لا أصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل، وهو - يومئذ - صحيح ليس به ألم، فعجبوا من مقالته، ولم يبق إلا ثلاثة أيام من شعبان، فمات فى آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه .

ولما كان اليوم الذى توفى فيه تطهر وتوضأ وتطيب، وقال لخدمته :

لم يبق لكم من خدمتى إلا اليوم، ثم دخل إلى بيته فصلى ركعتين ونام على فراشه. فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتا رحمه الله ورضى عنه.

من (الأنيس المطرب ص ٢٦٥)

مشهد رجل صحيح أخبر أنه لن يستكمل يومه

قال قريش بن أنس :

قدم معاوية بن قررة من سفر، فدخل على ابنه إياس بن معاوية فقال :
إن هذا اليوم ما ينبغى أن أكون فيه حياً، إنى رأيت فى النوم كأنى وأبى نستبق إلى غاية، فأدركنها معا، وقد بلغت اليوم سن أبى .

قال :

فما أخرج إلا ميتاً .

من (الحلية ج ٢ ص ٣٠٠)

مشهد من ألهم أنه لا يستكمل ستين سنة

قال محمود بن حماد الحموى كاتب السر للسلطان أبى الفداء إسماعيل بن على صاحب حماه :

من الغريب أن السلطان كان يقول : ما أظن أنى أستكمل من العمر ستين سنة ، فما فى أهلى - يعنى بيت تقى الدين - من استكملها ، وكان فى أوائل الستين من عمره ، فمات فى بقية السنة ، رحمه الله .

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ١٧٨)

مشهد من قال لا يصلى عليه إلا

من أقسم أنه لا يصلى عليه

كان المولى أبو السعود العمادى صاحب التفسير قد وقع خلاف بينه وبين الشيخ حسن بن أحمد الرومى الخلوئى المشهور بسنان زاده القسطنطينى فحنق المولى أبو السعود ، وحلف أنه إن مات الشيخ سنان قبله لا يحضر للصلاة عليه ، فقال له : خفّض عليك لا يصلى على إماماً إلا أنت ، وليس لك محيد عن ذلك .

فاتفق أنه يوم موت الشيخ سنان توفيت ابنة السلطان سليمان ، وأحضرت الجنازة فى الجامع ، ودعى أبو السعود للصلاة عليهما ، وكان لم يبلغه نبأ وفاة الشيخ ، فقدم للصلاة على الجنازتين .

ولما أتم الصلاة سأل ، ف قيل له هذا الشيخ سنان فكفر عن يمينه ، وكان بعد ذلك إذا طراً ذكره يعظمه ويذكر أحواله .

من (خلاصة الأثر ج ٢ ص ٢٠)

مشهد من أخبر بوفاته ووفاته

أصحابه على ترتيب مجدد

كان الشيخ محمد بن أحمد بن عقبة بن الهادى قد زاره ثلاثة من أصحابه يوماً فى سنة وفاته ، فتذكروا الموت ، فقال لهم على سبيل المداعبة :

قد قربت وفاتى جداً ، وأنت يا فلان تلحقنى بسرعة ، ثم فلان ، ثم فلان . فصاحوا عليه ، وقالوا : ما كان لنا حاجة بهذا الكلام .

فقال :

لا بد من ذلك .

فما مضت أيام قليلة حتى مات، ولحقه المذكورون كما ذكر واحدا بعد واحد. وكانت وفاته بمكة المكرمة المشرفة سنة ثلاث وثمانين وألف للهجرة، ودفن بيته الذي كان يسكنه ملاصقا لقبر أبيه وجده لأمه بقرب جبل شظا على طريق الذهاب للمعلاة.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ٢٠٢)

مشهد من توجه مستعجلا إلى اليمن وأحضر كفنه فمات

قال الشيخ الغزى أخبرنا الشيخ محمد ابن الشيخ سعد الدين أن الشيخ أبا بكر اليمنى نزىل مكة لما قربت وفاته زار قبر النبی صلی الله علیه وسلم مستعجلا، ثم عاد إلى مكة، وتوجه منها مستعجلا إلى اليمن، فلما حضر إلى البحر لقي سفينة فركبها، فلما دخل اليمن أمر بعض جماعته ليحضر له جهازه (يعنى كفنه) ثم مات عقب ذلك فى سنة خمس وثمانين وتسعمائة .

من (جامع الكرامات ج ١)

مشهد من رد زواجا وقال سيتزوج بعد خمسة أيام فمات بعدها

قال الشيخ محبى الدين بن عربى فى كتابه (روح القدس) :
كان أبو على الشكاز الإشيلى مولعا بالنكاح جدا لا يستغنى عنه، فأراد شيخنا السبريلى أن يأخذه لابنة أخيه، فمشت إليه أم الزهراء فقالت : يا أبا على إن أبا الحجاج يحب أن يعطيك بنت أخيه، وكان هذا يوم الأحد، فقال :
أنا كنت من أحب الناس فى مصاهرته، ولكن قد تزوجت وبعد خمسة أيام من يومنا هذا أدخل بزوجتى عروسا.

فقالت :

بنت من تزوجت ؟

فقال :

سترين ذلك الوقت .

وانصرف إلى منزله، ولازم فراشه حتى انقضت خمسة أيام، فمات رحمه الله.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ٢٨٢)

مشهد من قال : إن منيتي قريت ولغير هذا المكان قدرت

لما فشأ ذكر أبى مدين فى البلاد، وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال له :

إننا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبيها بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد .
فوقع فى قلبه، وأهمه شأنه، فبعث إليه فى القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب
بجاية بالوصية به والاعتناء وأن يحمل خير محمل .

فلما أخذ فى السفر شق على أصحابه، وتحيروا وتكلموا فسكتهم وقال لهم :
إن منيتي قريت، ولغير هذا المكان قدرت، وأنا شيخ كبير ضعيف، لا قدرة لى على
الحركة، فبعث الله تعالى من يحملنى إليه برفق، ويسوقنى إليه أحسن سوق، وأنا لا
أرى السلطان ولا يرانى .

فطابت نفوسهم، وذهب بؤسهم، وعلموا أن ذلك من كراماته.
فارتحلوا به على أحسن حال، حتى وطئوا به حوز تلمسان فبدت له رابطة العباد،
فقال لأصحابه : ما أصلحه للرقاد، فمرض مرض موته، فلما وصل وادى يسر اشتد به
المرض ونزلوا به هنالك فكان آخر كلامه : الله الحق .
توفى رحمه الله سنة أربع وتسعين وخمسمائة

من (نفع الطيب ج ٩ ص ٣٤٩)

مشهد قاض بحلب رأى عمره يتم بقضائها فدعى إلى قضاء دمشق فمات فى الطريق

طلب السلطان الشيخ أبا المعالى محمد بن على كمال الزملكانى، طلبه من حلب
ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضى القضاة جلال الدين القزوينى إلى قضاء الديار
المصرية.

حكى لى شهاب الدين بن فضل الله عن عبد الرحمن تقى الدين بن كمال الدين
الزملكانى أن والده الشيخ كمال الدين قال له :

يا ولدى والله أنا ميت ، وما أتولى لا مصر ولا دمشق، وما بقى بعد حلب ولاية
أخرى ، لأنه فى الوقت الفلانى حضر إلى الجامع فلان الصالح ، فترددت إليه،
وخدمته ، وطلبت منه التسليك، فأمرنى بالصوم مدة، ثم أمرنى بصيام ثلاثة أيام - أظنه
قال - أفطر فيها على الماء واللبان الذكر ، وكان آخر ليلة من الثلاث ليلة النصف من
شعبان، فقال لى :

الليلة نحيي إلى الجامع تتفرج، أو تخلو بنفسك ؟
فقلت : أخلو بنفسى .

فقال : جيّد، ولا تزال تصلى حتى أجيئ إليك .
قال : فخلوت بنفسى أصلى كما وقّفتني ساعة جيدة، فلما كنت فى الصلاة إذا به
قد أقبل، فلم أبطل الصلاة، ثم إننى خيل لي قبة عظيمة بين السماء والأرض، وظاهرها
معارض ومراق، والناس يصعدون فيها من الأرض إلى السماء، فصعدت معهم، فكنت
أرى على كل مرقاة مكتوباً نظراً الخزانة، وعلى أخرى وكالة بيت المال، والمدرسة
الفلانية ثم قضاء حلب.

فلما وصلت إلى هذه المرقاة استفتت من تلك الحالة ورجعت إلى حسى، وبت
ليلتى، فلما اجتمعت بالشيخ قال :

كيف كانت ليلتك ؟ جئت إليك وما قصرت، لأنك ما اشتغلت بى، والقبة التى
رأيتها هى الدنيا، والمراقى هى المراتب والوظائف والأرزاق، وهذا الذى رأيته كله تناله .
والله يا عبد الرحمن، وكل شىء رأيته قد نلته ، وكان آخر الكل قضاء حلب، وقد
قرب الأجل أو كما قال ثم مرض فى الطريق، وأدركه الأجل فى سادس عشر شهر
رمضان سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

من (الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢١٦)

مشهد من جمع أصحابه ليلة وفاته،

وأعلمهم بساعة انتقاله

كان السيد محمد بن عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب،
وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة
انتقاله، وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة الإخلاص، ولم يزل يكررها
إلى أن فاضت روحه عند آخرها - رحمه الله، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين
وثمانمائة.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ٢٦٠)

مشهد من نظر إلى مقبرة وقال :

إن لنا هنا حبسة طويلة

قال الشيخ على بن عبد الرحمن الصالحى :

كنت مع الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحيم الزعبي قبل أن يموت بسنة فى

الصالحية، حتى إذا وصلنا إلى الزقاق الذى يذهب منه إلى ضريح الشيخ أبى بكر بن قرام غربى الصالحية قال :

لا إله إلا الله ، إن لنا هنا حبة طويلة، وأشار إلى المقبرة التى بالسفح فى الجهة المذكورة.

قال الشيخ على :

فمازلت متفكرا فى مقالته تلك حتى توفى ودفن هناك، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وتسعمائة .

من (جامع الكرامات ج ١ ص ١٨٤)

مشهد من قال سأموت بعد يومين

كان أبو بكر الشعيى الولى الزاهد من قرية الشعيية وهى من قرى ميفارقين . قال سعد الدين الجوينى : كان الشعيى من صلحاء الأبدال، صاحب علم وعمل ، رياضات ومجاهدات .

وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر، وكان كثيرا ما يقول عقب كلامه :
اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا .

فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد فزفر زفرة ثم أنشد :

وَمَا كُلُّ أَسْرَارِ النَّفُوسِ مَذَاعَةٌ وَلَا كُلُّ مَا حَلَّ الْفُؤَادَ يَقَالُ
خرج إلى قريته الشعيية، وقال لأولاده:
احْفَرُوا لى قَبْرًا، فَأَنَا أَمُوتُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ .

فحفروا له، ثم مات فى اليوم الذى عينه سنة إحدى وأربعين وتسعمائة - رحمه الله .
من (الوافى بالوفيات ج ١٠ ص ٢٦٩)

مشهد من ألهم أنه بقى من أجله شهران

قال نجم الدين الغزى كان الشيخ يحيى بن العمادى شيخنا فى تعليم القرآن، ولقد حدثنى قريب موته قائلا :

إن من أولياء الله من كرامته أن يُخبر بوقت موته قبل موته ليتأهب للقاء الله تعالى، وهى أفضل الكرامات.

قال لنجم الدين الغزى :

وأخبرنى - رحمه الله - قبل موته أنه بقى من أجله شهران، وكان - عندئذ - فى غاية الصحة، فمريض بعد ذلك، ومات عند تمام الشهرين سنة تسع وثمانين وتسعمائة ودفن بباب الصغير بدمشق .

من (جامع الكرامات ج ٢ ص ٢٨٨)

مشهد من قال سمعا وطاعة واستقبل القبلة ومات

نقل تاج الدين السبكي عن ابن الجوزي أنه قال :
ذكر الشيخ أحمد أخو الإمام أبي حامد الغزالي أنه لما كان يوم الاثنين وقت صلاة
الصبح توضأ أبو حامد وصلى وقال : على بالكفن .
فأخذه وقبَّله ، ووضعَه على عَيْنَيْهِ ، وقال :
سمعا وطاعة للدخول على الملك .
ثم مد رجله ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار .
توفى - رحمه الله - بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس
وخمسمائة .

من (طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٠١)

مشهد من ألهم أنه سيقبر في موضع محدد

حدث محمد بن أبي رجاء ومحمد بن عينة أو أحدهما فقال :
إن محمد بن يوسف خرج في جنازة بالمصيصة ، فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري
ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر فقال :
لو أن رجلا مات فدفن بينهما .
فما أنت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها حتى دفن في ذلك الموضع الذي أشار إليه .
من (الحلية ج ٨ ص ١٢٩)

مشهد من استنبط وفاته من آية لها صلة برؤيا

نقل تاج الدين السبكي عن التنوخي عن بعض أصحاب ابن سريج أنه قال :
إن ابن سريج قال لنا يوما :
أحسب أن المنية قربت ، فقلنا : وكيف ؟
قال : رأيت البارحة كأن القيامة قامت والناس قد حشروا ، وكأن مناديا ينادي :
بم أجيتم المرسلين ؟
فقلت : بالإيمان والتصدق .
فقال : ما سئلتكم عن الأقوال ، بل سئلتكم عن الأعمال ، فقلت :
أما الكبائر فقد اجتنبناها ، وأما الصغائر فعولنا فيها على عفو الله ورحمته .
فقلنا لابن سريج : ما في هذا ما يقتضى سرعة الموت .

فقال : أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الأنبياء - ١ -
قال : فمات بعد ثمانية عشر يوما .

وكان ممن سمع هذا الكلام من ابن سريج أبو بكر الفارسي .
توفى ابن سريج - رحمه الله - سنة ست وثلاثمائة .

من (طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٣)

مشهد من سأل الله عمرا فوق السبعين فلم يجبه لذلك

نقل ابن خلكان من تاريخ ابن الأثير أنه قال :

حكى محمد بن منصور الكندري وزير أبي طالب الملقب ركن الدولة طغربك أول
ملوك السلجوقية، حكى عن طغربك أنه قال :

رأيت - وأنا بخراسان - في المنام كأنني رفعت إلى السماء وأنا في ضباب لا أبصر
معه شيئا غير أنني أشم رائحة طيبة، وإذا بمناد ينادي :

أنت قريب من الباري جلّت قدرته، فاسأل حاجتك لتقضى .

فقلت في نفسي أسأل طول العمر، فقبل :

لك سبعون سنة .

فقلت : يا رب لا تكفيني .

فقبل : لك سبعون سنة .

فقلت : يا رب لا تكفيني .

فقبل : لك سبعون سنة .

قال ابن خلكان : ولما حضرته الوفاة قال : إن مثلي مثل شاة تشد قوائمها لجز
الصوف، فتظن أنها تذيب، فتضطرب حتى إذا أطلقت تفرح، ثم تشد للذبح، فتظن أنه
لجز الصوف فتسكن فتذبح .

وهذا المرض الذي أنا فيه هو شد القوائم للذبح، فمات من ذلك المرض - رحمه
الله - يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة وعمره سبعون
سنة .

من (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٦٧)

مشهد من ألهم أنه سينقل من قبره

كان الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي البالسى زاهدا عابدا قانتا لله، عديم النظير،
كثير المحاسن، وافر النصيب من العلم والعمل، صاحب أحوال وكرامات. أوصى ولده
أن يدفن في تابوت، وقال له :

يا بنى، لا بد أن أنقل إلى الأرض المقدسة، فنقل بعد اثنتى عشرة سنة إلى دمشق سنة سبعين وستمائة، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة - رحمه الله .

من (الوافى بالوفيات ج ١٠ ص ٢٤٦)

مشهد من قيل له فى رؤيا قد فرغنا من بناء دارك

قال أبو المرضى سَلَمُ بن زرعة بن حماد :

كان بعبادان شيخ له عبادة وفضل، فقال لى يوما:

رأيت فيما يرى النائم كأن رجلا يقول لى : قد فرغنا من بناء دارك، لو رأيتها قرت عينك، وقد أمرنا بنجدها (أى تزيينها) والفراغ منها إلى سبعة أيام، واسمها السرور، فأبشر بخير .

فلما كان اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء، فنزل فى النهر وقد مدَّ (يعنى زاد ماؤه وارتفع) فزلق فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة فدفناه .

قال أبو المرضى : فرأيت بعد ثلاثة فى النوم وهو يجرى إلى القنطرة، وهو يكبر، وعليه حلل خضر، فقال لى :

يا أبا المرضى أنزلنى الكريم دار السرور، فما أعد لى فيها ؟ فقلت : صف لى، فقال:

هيهات، يَعْجز الوَاصِفونَ عن أن تَنْطقَ أَلْسِنَتُهُمْ بما فيها، فَاكْتَسَبَ مثل الذى اكْتَسَبَتْ، ويا لَيْتَ أنْ عِيَالِي يَعْلَمُونَ أنْ قَدْ هَيَّئَ لَهُمْ منازل معى، فيها كُلُّ ما اشتَهَتْ أنْفُسُهُمْ، نَعَمَ وإِخْوَانِي، وَأَنْتَ معهم إِنْ شاءَ الله .
قال أبو المرضى : ثم انتهت .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٦٠)

مشهد من قال : اختموا لى ختمة فقد قرب أمرى

قال محمد بن الحسين السلمى سمعت جعفر بن أحمد يقول :

لما حضرت بكيرا الجرجاني الوفاة قال لأصحابه:

اجتمعوا عندي (واختموا) ختمة، فإنه قرب أمرى.

فلما اجتمعوا قرأوا الختمة وفرغوا منها مات فى ساعته - رحمه الله .

من (الوافى بالوفيات ج ١٠ ص ٢٧٤)

مشاهد الخائفين لا سيما عند الاحتضار

الخوف من الله هو دأب المتقين من عباد الله الصالحين، فهم الذين ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١) وهم الذين ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) وهم الذين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) وهم الذين ﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٤) وهم الذين ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٥)

هكذا عرض الله علينا ما شاء من أقوالهم وأعمالهم، فكانوا ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾^(٦) ولم يكونوا ﴿كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٧)

إن الخوف من الله محمود على كل حال، لا سيما إذا اجتمع مع الرجاء في قلب العبد عند مفارقة الحياة.

روى أحمد والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت، فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمنه مما يخاف.

إن كثيرا من الناس يشتد بهم الخوف خصوصا عند الاحتضار، ومن الوقوف على أحوال بعضهم تبين أن خوفهم متنوع بالنظر إلى الداعى إليه.

(١) سورة الأنفال آية ٢ . (٢) سورة آل عمران آية ١٩١ .

(٣) سورة الحشر آية ١٠ . (٤) سورة الرعد آية ٢١ .

(٥) سورة المؤمنون آيتا ٦٠-٦١ . (٦) سورة الأنبياء آية ٤٩ .

(٧) سورة الحشر آيتا ١٩ - ٢٠ .

فمن الناس من يخاف من لقاء الله، ويرى أنه قد فرط فيما كان ينبغي له في الحياة، ومنهم من يخاف من ألا تقبل طاعته فتزد عليه حسناته، ومنهم من يخاف حياء وخجلا من الله لما كان قد تلبس به من بعض الأعمال، ومنهم من يخاف من النار وسحب العصاة إليها، ومنهم من يخاف مما بعد الموت بصفة عامة، ومنهم من كان خائفا فظهرت عليه إحدى علامات الأمن عند موته.

واليك نماذج ممن اقترنت شدة خوفهم بالموت .

مشهد خائف من لقاء الله

قال عبد الواحد بن زيد : كان أبو محمد حبيب الفارسي قد جزع جزعا شديدا عند الموت، فجعل يقول بالفارسية:

أريد أن أسافر سفرا ما سافرت قط، أريد أن أسلك طريقا ما سلكته قط، أريد أن أزور سيدي ومولاي، وما رأيته قط، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أوقف بين يدي الله، فأخاف أن يقول لي يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء؟ فماذا أقول وليس لي حيلة؟

أقول : يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

قال أبو زكريا: قالت امرأة حبيب :

كان يقول : إن مت اليوم فأرسلني إلى فلان يغسلني وافعلى كذا، واصنعى كذا فقليل لامرأته: أراى رؤيا؟

قالت: هذا يقوله كل يوم .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٢٠)

مشهد خائف من رد طاعته عليه

قال عبد الله بن الجلاء :

كنت بذى الحليفة وأنا أريد الحج، والناس يحرمون، فرأيت شابا قد صب عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه، فقال :

يا رب أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن تحببني : لا لبيك ولا سعديك .

وبقى يردد هذا القول مرارا كثيرة، وأنا أسمع عليه، فلما أكثر قلت له :

ليس لك بد من الإحرام .

فقال : يا شيخ أخشى إن قلت لبيك اللهم لبيك، أجبني : « لا لبيك ولا سعديك »

فقلت له : أحسن ظنك وقل معي : لبيك اللهم لبيك .

فقال لبيك اللهم وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللهم فسقط ميتا.

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٠٨)

مشهدان لخائفين غلب عليهما الحياء من الله

قال أبو الأديان :

ما رأيت خائفا إلا رجلا واحدا، كنت بالموقف، فرأيت شابا مطرقا منذ وقف الناس

إلى أن سقط قرص الشمس، فقلت :

يا هذا ابسط يديك بالدعاء .

فقال : ثمَّ وحشة.

فقلت : هذا يوم العفو عن الذنوب.

فبسط يده، ففى بسط يديه وقع ميتا.

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٤١٠)

وقال ابن خلكان :

قيل لأبى الأسود الدؤلى عند الموت : أبشر بالمغفرة .

فقال : وأين الحياء ممن كانت له المغفرة ؟

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣٩)

مشهد خائف من أن يلقي الله وقد تداوى بالحرام

كان الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكى قد مرض بالقولنج جمعيتين ولما

اشتد به الألم وصف له الأطباء قليل خمر.

فقال : لا أفعل حتى أسأل الفقهاء .

فسألهم فأفتوه، وسأل العلامة الكاشانى فأفتاه أيضا، فلم يقبل وقال :

إن كان الله قد قَرَّبَ أجلى يؤخره شرب الخمر؟

قال : لا .

قال : فوالله لا لقيت الله وقد فعلت ما حرم علىَّ .

فمات ولم يشربه - رحمه الله، وذلك فى رجب سبع وسبعين وخمسائة.

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ٢٢٢)

مشاهد بعض الخائفين من النار

روى أبو عبد الله الحاكم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن فتى من الأنصار دخلته خشية الله، فكان يبكى عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك فى البيت، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه، فلما دخل عليه اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وخر ميتا، فقال النبى صلى الله عليه وسلم (جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرْقَ فَلَذَكْبِدَهُ) (١)

وفى رواية لابن أبى الدنيا عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه، فلما نظر إليه الشاب قام فاعتنقه وخر ميتا، فقال صلى الله عليه وسلم : (جَهِّزُوا صَاحِبَكُمْ فَإِنَّ الْفَرْقَ مِنَ النَّارِ فَلَذَكْبِدَهُ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا، مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ).

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٣)

قال ابن خلكان :

لما حضرت إبراهيم النخعى الوفاة جزع جزعا شديدا فقبل له فى ذلك فقال :
وأى خطر أعظم مما أنا فيه ؟ إنما أتوقع رسولا يأتى على من ربى، إما بالجنة، وإما بالنار.

والله لوددت أنها تتلجلج فى حلقى إلى يوم القيامة، يعنى الروح .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥)

ونقل القاضى عياض عن يونس بن عبد الأعلى أن عبد الله بن وهب قال :
إن أصحاب الحديث طلبوا منى أن أسمعهم صفة الجنة والنار، وما أدرى أقدر على ذلك ؟

ثم قعد لهم فقرأوا عليه صفة النار فغشى عليه، فرش بالماء وجهه، فقبل أقرأوا عليه صفة الجنة، فلم يُفق، وبقي كذلك اثنى عشر يوما.

قال ابن أخيه :

شهدت عبد الله بن وهب يقرأ عليه فى منزله (كتاب الأهوال) الذى كان يرويه أنه بلغه عن أبى هريرة رضى الله عنه وشهده أبو أسامة البكاء فأخذا فى البكاء.

ثم إن أبا أسامة قام بتلك الرقة، وابن وهب على حالته من البكاء والقارى يقرأ،

(١) الفرق هو الخوف والفرع، ومعنى فلذ قطع، يعنى أن شدة الخوف قطعت كبده.

وابن وهب ينشج رافعا صوته، حتى أنى لأحسب من كان على خمسين ذراعا يسمعه، فلم يزل كذلك حتى مال على الحائط الذى كان مستندا إليه، ثم احتمل إلى منزله، فلم يزل على حاله لا يعقل حتى توفى - رحمه الله .

من (ترتيب المدارك ج ٣ ص ٢٤١)

قال عبد الواحد بن زيد :

دخلنا على عطاء السلمى وهو فى الموت ، فنظر إلى أنفـس، فقال : مالك ؟ فقلت : من أجلك .

فقال : والله لوددت أن نفسى بقيت فى لهاتى وحنجرتى تتردد إلى يوم القيامة مخافة أن تخرج إلى النار .

وقال صالح المرى :

كان عطاء السلمى لا يسأل الله الجنة، فقلت له : إن أبانا - يعنى ابن عباس - حدثنى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يقول الله تعالى : انظروا فى ديوان عبـدى، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَسْأَلُنِي الْجَنَّةَ أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَنِي مِنَ النَّارِ أَعَدْتُهُ).

فقال لى عطاء : كفانى أن يجيرنى من النار .

من (الحلية ج ٦ ص ٢٢٤ و ٢٢٦)

وروى أبو نعيم بسنده أن محمد بن واسع لما كثر الناس عليه فى العيادة وكان منهم أناس قيام، وآخرون قعود فالتفت إلى أحدهم وقال له :

أخبرنى ما يغنى هؤلاء عنى إذ أخذ بناصيتى وقدمى غدا، وألقيت فى النار، ثم تلا هذه الآية ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِسِمَاهُمْ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ ﴾ (١)

وقال : يا اخوتاه، تدرون أين يذهب بى ؟ يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو إلى النار، أو يعفو الله عنى .

وكان فى صحته إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟

يقول : ما ظنك برجل يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة .

من (الحلية ج ٢ ص ٣٤٨)

(١) سورة الرحمن آية ٤١ .

وحدث جبيب بن الشهيد عن ثابت أنه قال : لما ثقل جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي؟ قال : نظرة إلى الحسن البصري .
قال : فأتيت الحسن فأخبرته، فركب إليه، فلما دخل عليه قال لأهله : أقعدوني، فجلس، فما زال يقول :
أعوذ بالله من النار وسوء الحساب، يعني حتى قضى .

من (الحلية ج ٣ ص ٨٩)

وروى حسين بن يحيى بن آدم عن أبيه أنه قال :
لما حضرت مسعرا الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً، فقال له :
تجنزع؟ فوالله لوددت أني مت الساعة .
فقال مسعر : أقعدوني .
فأقعدوه، فأعاد سفيان الكلام عليه .
فقال مسعر : إنك إذن لوائق بعملك يا سفيان، لكني والله على شاهقة جبل، لا أدري أين أهبط .

فبكى سفيان، وقال : أنت أخوف لله مني .
ومما كان ينشد مسعر في حياته واعظاً :
تفنى اللذّاذات عمّن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار
توفى مسعر - رحمه الله - بالكوفة سنة خمس وخمسين ومائة .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ١٣٠)

ونقل القاضي عياض عن يحيى بن إسحاق حفيد أبي محمد يحيى الليثي أن أباه قال له :

دخلت أنا وعبد الملك زونان على أبي يحيى وهو مريض، فسأله عن علته فقال له :
يا أبا الحسن إنه ليخفف عني ما أنا فيه تفكرى في عظيم ما له خلقت .
قال أبي فكان زونان يردد هذا من كلامه ، ويعجب به .
وقال له مرة أخرى :
يا أبا الحسن : ليتني أرحح عن النار، على ألا أسمع بذكر الجنة .

من (ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣٩٤)

وقال الشيخ عبد الرحمن الدباغ:
صام أبو محمد المسوحى المتعبد حتى اسود، وصلى حتى أقعد، وبكى حتى عمش،
فلما حضرته الوفاة قال :
واحزنى إلى أين يسلك بى ؟
توفى - رحمه الله - سنة ست وثلاثمائة .

من (معالم الإيمان ج ٢ ص ٢٣٠)

مشهد خائف مما بعد الموت

قال أبو القاسم القشيري:
سمعت أبا على الدقاق يقول :
دخلت على أبى بكر محمد بن فورك - رحمه الله - عائدا، فلما رآنى دمت عيناه،
فقلت له :

إن الله تعالى يعافيك ويشفيك .
فقال : أترانى خائفا من الموت ؟ إنما أخاف مما وراء الموت .
وكان ابن فورك رجلا صالحا، وبلغت مصنفاته قريبا من مائة مصنف ، توفى
- رحمه الله - سنة ست وأربعمائة .

من (الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٣٤٤)

مشهد من ظهر عليه السرور بعد خوف طويل

قال الحارث الغنوى :
آلى ربيعى بن حراش ألا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أم فى النار !
فلقد أخبرنى غاسله أنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله، حتى فرغنا من
غسله .

وقد قال عبد الله العجلى :
حدثنى أبى أن ربيعى بن حراش لم يكذب كذبة قط، وكان له ابنان عاصيان على
الحجاج، فقيل للحجاج أن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما،
فسأله الحجاج : أين ابناك ؟
فقال : هما فى البيت .
قال الحجاج : قد عفونا عنهما بصدقك .
مات ربيعى - رحمه الله - سنة أربع ومائة .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٦) .

مشهد من قضى القاضى بأنه فى النار

قال القاضى عياض :

شهد عند محمد بن بشير القاضى رجلان ممن يظن بهما خير، شهدا لمملوك توفى مولاه أنه أعتقه، وزوجه ابنته، وأوصى إليه بماله.

قضى ابن بشير بشهادتهما، فلم يلبث أحد الشاهدين أن حضرته الوفاة فأرسل إلى القاضى أنه يريد أن يراه، فدخل عليه، فلما بصر به الشاهد وهو فى كربته (كربة الموت) جثا على ركبتيه، وجعل ينجر إليه.

فقال له القاضى : ما شأنك؟

فقال : إني فى النار إن لم تنقذنى منها، الشهادة التى شهدنا بها عندك لفلان لم يكن منها شىء، فأتق الله وافسخ الحكم.

قال عياض : فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه على ركبتيه ثم قام، وجعل يقول له:

مضى الحكم وأنت فى النار، مضى الحكم وأنت فى النار.

من (ترتيب المدارك ج ٣ ص ٣٣٥)

من أضواء هذا المشهد

القاضى عياض علق على هذه الحادثة قائلاً:

ما فعله ابن بشير من إمضاء الحكم صواب، وقوله أنت فى النار دون استثناء لعله قصد به الإغلاظ لأمثاله من شهداء السوء وإلا فمشيئة الله فى العفو عنه من وراء هذا بفضل، فقبول توبة مثله ومحو سيئته بها موعود بها.

هذا ما قاله عياض رحمه الله ورضى عنه.

لكن المعروف هو أن التوبة لا تأثير لها فى مظالم العباد، فلقد روى أحمد فى المسند وأبو عبد الله الحاكم فى المستدرک عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(الدَّوَّابُّ ثَلَاثَةٌ، فِدْيَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيَّانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا وَدِيَّانٌ لَا يَتْرَكَ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا.

فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله، وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز، وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئاً، فمظالم العباد، بينهم القصاص لا محالة).

كما روى الطبراني في معجمه الأوسط حديثاً يتضمن نفس المعنى، وهو ما رواه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب يجازى به، فأما الذنب الذى لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذنب الذى يغفر فعملك بينك وبين ربك، وأما الذنب الذى يجازى به فظلمك أخاك).

أما طريقة القصاص الوارد فى هذين الحديثين فقد تبينت فيما رواه كل من أحمد والترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أندرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار).

والشاهد الذى اعترف بأنه شهد شهادة زور قد اعتدى على حقوق العباد عدة اعتداءات، فقد تسبب فى عتق رقبة بغير وجه شرعى، وكانت مورثة من جملة التركة، ولا يشك فى أن العتق من أفضل القرب وأحبها إلى الله، ولكن ذلك حين يتولاه من له الحق فيه، كما أنه اعتدى على بنت الميت فتسبب بشهادته فى تزويجها بغير وجه شرعى، واعتدى على الورثة فيما كانوا سيرثونه فنقله إلى من لا يستحقه.

ولما كانت مظالم شاهد الزور متعلقة بحقوق العباد فهى من الديوان الذى لا يترك الله منه شيئاً، وفيه القصاص لا محالة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم إن مواهب الفضل الإلهى قد تغمر الظالمين إذا شاء الله ذلك، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١)
ويوضح هذا الفضل الإلهى ما رواه أبو يعلى وأبو عبد الله الحاكم وصححه - وتعقبه الذهبى - عن أنس رضى الله عنه أنه قال :

(بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك، حتى بدت ثناياه، فقال عمر رضى الله عنه : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال : رجلان جثيا من أمتى بين يدي رب العزة . فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى. قال الله : أعط أخاك مظلمته، قال يا رب لم يبق من حسناتى شيء، قال يا رب يحمل عني من أوزارى . فواضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، قال إن ذلك ليوم عظيم يوم

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

يحتاج الناس فيه أن يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله للطالب : ارفع بصرك فانظر فى الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبي هذا ؟ لأى صديق هذا؟ لأى شهيد هذا؟ قال هذا لمن أعطى الثمن، قال يا رب : ومن يملك ثمنه؟ قال أنت، قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك، قال : يا رب قد عفوت عنه، قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة).

فتبين من النصوص المتقدمة أن القصاص هو الأصل فى مظالم العباد، وأن تدارك الغرقى فى مآثمها وإنجاءهم من أهوالها متوقف على مشيئته ورحمته والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مشاهد الراغبين فى الانفراد عند النزاع

إن بعض المدركين لاقتراب آجالهم يعرفون قيمة اللحظات الأخيرة من حياتهم، فتراهم يرغبون فى ألا يشغلهم أى شاغل - عند أخذهم فى سياق الموت - حتى يفارقوا الدنيا وهم مشغولون بالله وحده، ولذلك ترى منهم من يأمر الحاضرين لديه بأن يخرجوا عنه، حتى لا يكدر عليه توجهه إلى الله أحد، فيغتنم ما بقى له فى الحياة من لحظات الرهبة والرغبة، عسى أن يسعد فيها بصفاء التوجه وحسن الخاتمة.

فمن الراغبين فى الانفراد الخليفة عمر بن عبد العزيز:

قال عبيد بن حسان:

لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عنى فقعده مسلمة (غلامه) وفاطمة (زوجته) على الباب فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه، ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ثم هذا الصوت، فدخلوا، فوجدوه قد قبض.

قال أيوب : قيل لعمر بن عبد العزيز: لو أتيت المدينة فإن مت دفنت فى موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار أحب إلى من أن يعلم الله منى أنى أرانى لذلك الموضع أهلاً.

توفى بدير سمعان من أعمال حمص لعشر بقين من رجب سنة إحدى و مائة وعمره سبع وثلاثون سنة وستة أشهر - رحمه الله (٢)

(١) سورة القصص الآية ٨٣ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٦٢ .

ومنهم أبو الحسن الطوسي :

قال أبو عبد الله محمد بن القاسم الطوسي :

كان أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلى إلى القبلة شراً عندي من نفسي .

ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور فقال :

يا أبا عبد الله تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد منّ الله عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه وقد علم ضعفى، فإنى لا أطيع الحساب فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني عليه .

ثم قال :

أغلق الباب، ولا تأذن لأحد عليّ حتى أموت .

واعلم أنى أخرج من الدنيا، وليس أدع ميراثاً غير كسائى ولبدى وإنائى الذى أتوضأ فيه وكتبى .

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً، فقال هذا لابنى أهدها إليه قريب له، ولا أعلم شيئاً أحل لى منه لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ) فكفونى منها، فإن أصبتم لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتى لبدى، وغطوا على بكسائى، وتصدقوا بإنائى، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه .

ثم مات - رحمه الله - فى اليوم الرابع .

قال أبو عبد الله وكان قال لى :

يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق؟ كنت فى صلب أبى وحدى، ثم صرت فى بطن أمى وحدى، ثم دخلت الدنيا وحدى، ثم يقبض روحى وحدى، ثم أدخل فى قبرى وحدى، ثم يأتينى منكر ونكير فيسألاننى وحدى، فإن صرت إلى خير صرت وحدى، ثم يوضع عملى وذنوبى فى الميزان وحدى، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدى، وإن بُعثت إلى النار بُعثت وحدى . فما لى وللناس؟

ثم تفكر ساعة فوقعت عليه الرعدة حتى خشيت أن يسقط .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ١٢٦)

ومنهم أبو الفتح أسعد بن أبى نصر العمرى :

كان أبو الفتح من الأئمة الكبار فضلاً ونبلاً، شافعى المذهب، تفقه بمرو ودرس

بالنظامية، اشتغل الناس عليه، وانتفعوا بطريقته الخلافية، وقدم إلى مرو مرسلا من جهة السلطان محمود السلجوقي، ثم توجه رسولا إلى بغداد .

وكان يخدمه فقيه من أهل قزوین، فقال كنا معه فى بيت لما أن قرب أجله فقال لنا: اخرجوا من هنا.

فخرجنا، فوقفت على الباب فسمعتة يلطم وجهه ويقول:

(يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) وجعل يبكى ويلطم وجهه ويردها إلى أن

مات، توفى - رحمه الله - بهمدان سنة تسع وعشرين وخمسمائة باختصار.

من (الوفاء بالوفيات ج ٩ ص ١٨)

ومنهم بشر بن الحارث :

قال أحمد بن محمد بن غزوان:

إن بشر بن الحارث أُرْجِفَ الناس بموته بباب الطاق فى يوم مطير، فجئت فى المطر والطين حتى بلغت بابه، فإذا على بابه ثلاثة نفر، وشيخ منهم يقول : إنما جئنا نعودك، فقال لهم - وهو يبكى - : لا حاجة لى فى عيادتكم، اذهبوا عني، فقد أذيتمونى.

وقال : قال فضيل : أشتهى أن أمرضَ بلا عَوَاد.

من (الحلية ج ٨ ص ٣٤٠)

البكاء عند الموت

البكاء ميزة خص الله بها الإنسان، ومن سنن الحياة أن الإنسان إذا ولد يدخل الدنيا باكيا، ويخرج منها مشيعا بالبكاء .

وقد تخيل بعض الشعراء سبب بكاء الجنين عند وضعه فقال :

لَمَّا تُؤْذَنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا (١) يَكُونُ بُكَاءُ الطُّفْلِ سَاعَةَ يُوَلَّدُ
ولبكاء الإنسان خمسة أسباب:

- خشية الله تعالى.

- شدة الفرح.

- الألم والحزن الشديدان.

- الخوف مما ينتظر الميت.

- التظاهر بالحزن .

(١) تقلبات ظروف الحياة.

أما البكاء من خشية الله فهو أعلى درجات البكاء وأحمدها، ولا ينشأ إلا عن إحساس القلب المستنير بجلال الله، وعظيم سلطانه، وجميل إحسانه.

روى أبو داود وأحمد عن عبد الله بن الشَّخِير - رضى الله عنه - أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فكان لجوفه صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل^(١) (يعنى من مغالبة البكاء)

وقد وصف الله بعض الصالحين من أهل الكتاب فذكر أنهم إذا يتلى عليهم القرآن ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ، وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ ويزيدهم خشوعاً﴾ الإسراء ١٠٧ - ١٠٨

وروى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم وعظ الصحابة حين كسفت الشمس فجاء فى عظته قوله : (يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

وأما بكاء الفرح الشديد فممنه ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. قال أبى : يا رسول الله وقد سماني ؟

قال : نعم .

فبكى أبى رضى الله عنه .

ولقد قال بعضهم :

هَجَمَ السُّرُورُ عَلَىَّ حَتَّى أَنَّهُ مِنْ قَرَطِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

وبكاء الإحساس بالألم والحزن يحدث من النساء أكثر مما يحدث من الرجال.

فقد بكت السيدة فاطمة الزهراء لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بكت السيدة عائشة أبا بكر الصديق، وبكت حفصة عمر الفاروق رضى الله عنهن. وأشهر الباقيات ألماً وحزناً السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الخنساء، فقد كانت تبكى أخاها صخرأ بكاء مرأ، حتى ضرب المثل ببكائها.

أما البكاء خوفاً مما ينتظر الميت فممنه ما روى فيه الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال :

بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَصُرُ بِجَمَاعَةٍ فَقَالَ :

(٢) الأزيز : صوت الغليان، والمرجل : القدر.

علام اجتمع هؤلاء؟

قيل على قبر يحفرونه.

فبدر بين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه . قال البراء :
فاستقبلته من بين يديه، لأنظر ما يصنع فبكى صلى الله عليه وسلم حتى بلّ الثرى من
دموعه، ثم أقبل علينا فقال:

(أَيُّ إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُوا)

كما روى الإمام أحمد عن هانيء مولى عثمان رضى الله عنه أنه قال:
كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا
تبكى، وتبكى من هذا .
فقال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ
فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدُهُ أَشَدُّ مِنْهُ).

وأما البكاء تظاهراً بالحزن والألم فهو كثير فى الحياة، ومنه ما حدث من إخوة
يوسف عليه السلام، فقد قال تعالى : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا
ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف ١٦ - ١٧ - ١٨ .

مشاهد الباكين عند الموت

تتنوع هذه المشاهد أربعة أنواع :

- بكاء الإنسان من توقعه اقتراب وفاته.
- بكاء المحتضرين الآخذين فى سياق الرحيل من الدنيا.
- بكاء المشاهدين للمحتضرين يعالجون سكرات الموت.
- البكاء على الأموات.

مشهد من بكى لتوقعه قرب موته

قال عيسى بن محمد الطومارى : دخلت على إبراهيم الحربى وهو مريض وكان
يُحَمَلُ ماؤه (بوله) إلى الطبيب، وكان الطبيب يجىء إليه ويعالجه فجاءت الجارية
وردت الماء، وقالت : مات الطبيب.
فبكى إبراهيم، ثم أنشد يقول :

إِذَا مَاتَ الْمُعَالِجُ مِنْ سَقَامٍ فَيُوشِكُ لِلْمُعَالِجِ أَنْ يَمُوتَ
من (طبقات الحنابلة ج ١ ص ٩١)

من أضواء هذا المشهد :

- الناس كثيرا ما ينسون مصيرهم المحتوم، ولكنهم عند حلول الأجل تجابههم الحقيقة التي لا مفر منها.

- لقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الجمعة ٨ .

- وقال سبحانه للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء ٣٤ - ٣٥ .

- مها تكن ألوان الحياة فإن الموت خاتمة الأمر، قال الشيخ محمد بن علي تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد:

أَفَكَّرُ فِي حَالِي وَقُرْبِ مَيَّتِي وَسِيرِي حَيًّا فِي مَسِيرِي إِلَى الْقَبْرِ
فَيُنْشِئُ لِي فِكْرِي سَحَابَ لَأْسِي تَسُحُّ هُمُومًا، دُونَهَا وَأَبْلُ الْقَطْرِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ وُجُودِي فَإِنِّي تَعَبْتُ بِهِ مَدَّ كُنْتُ فِي مَبْدَأِ الْعُمُرِ
نَرُوحُ وَنَغْدُو وَالْمَنَايَا فَجَانِعِ تُكْدِرُهُ، وَالْمَوْتُ خَاتِمَةُ الْأَمْرِ

من (الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٢٠٣)

- المرء يحصى الأوقات ويحصى الأموات، ولا بد من أن يدخل المحصى في الإحصاء يوماً ما.

قال أبو بكر محمد بن ولاد من أهل شَلْطِيشَ بغرب الأندلس :

نَطَوَى سُبُوتًا وَآحَادًا وَنَشَرُهَا وَنَخْنُ فِي الطَّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
فَعَدُّ مَا سَبَّتَ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَصِيرَ مَعَ الْمَدْخُولِ فِي الْعَدَدِ
مُشَاهِدًا لِكَاءِ الْمُحْتَضَرِّينَ

كثيرا ما يبكي المحتضرون لمشاعر معينة تغلبت عليهم عند النزاع أكثر مما كانت تراودهم قبل زمن الاحتضار.

فمنهم من بكى عند الاحتضار خجلاً واستحياءً من لقاء الله، ومنهم من بكى أسفاً

على أنه لم يمت شهيدا فى ساحة القتال. وكثيرا ما كان يجاهد فى سبيل الله، ومن الباكين من ندموا على ما أصابوا من زهرة الحياة الدنيا، رغم ماكانوا عليه من الزهد، ومنهم من اشتد خوفه من أن يساق إلى النار، ومنهم من ندم على ما أفتى فيه برأيه، ومنهم من بكى أسفًا على انقطاعه عن تلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار.

وفيما يلى طائفة من الباكين عند الاحتضار:

أبو عمرو الأسود بن يزيد النخعي:

بكى خجلا من ملاقة الله.

لما احتضر الأسود بن يزيد بكى فقليل له : ما هذا الجزع؟

فقال: لا أجزع؟ ومن أحق بذلك منى؟ والله لو أثبتُ بالمغفرة من الله عزّ وجلّ لأهمّنى الحياءُ منه بما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحيًا منه.

توفى - رحمه الله - بالكوفة سنة خمس وسبعين من الهجرة.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٤)

خالد بن الوليد رضى الله عنه: بكى من أنه لم يمت شهيدا

روى عبد الرحمن بن أبى الزناد أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى وقال : لقد لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

مات بالشام على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين رضى الله عنه .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٤)

ومن (حياة الصحابة ج ٢ ص ٤٠)

خبّاب بن الأرت : بكى على ما أصاب من الدنيا

روى أبو نعيم أن خباباً عاده نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوانك تقدّم عليهم غداً فبكى وقال : أما أنه ليس بى جزع، ولكنكم ذكّرتُمونى أقواماً وسميتم لى إخوانا، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كما هى، وإنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم .

وروى من طريق آخر، أن خبابا قال أيضا:
ولقد رأيْتُني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أملك درهمًا، وإن في جانب بيتي لأربعين ألف درهم.
ثم أتى بكفنه، فلما رآه بكى وقال: لكنَّ حمزة رضى الله عنه لم يوجد له كفن إلا برْدَةٌ ملحاء (فيها خطوط سود وبيض) إذا جُعِلت على رأسه قَلَصت عن قدميه. وإذا جُعِلت على قدميه قَلَصت عن رأسه، حتى مُدَّت على رأسه وجُعِل على قدميه الإذخر (نوع من النبات الطيب).

من (حياة الصحابة ج ٢ ص ٤٩٠)

أبو عبد الله سلمان الفارسي - رضى الله عنه :

بكى على ما أصاب من الدنيا.

دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض وتَرَدُّ عليه الحوض.

فقال سلمان:

أما إني ما أبكى جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال: (لَتَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّائِبِ) وأنا حَوَّلِي هذه الأساود (١)

وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة.

فقال له سعد :

يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد فتأخذ به بعدك، فقال:

يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بذل إذا قسمت.

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٥٥٣)

أبو هريرة - رضى الله عنه :

بكى من التقصير في الطاعة وخوفا من أن يساق إلى النار.

روى سالم بن بشير بن حجل أن أبا هريرة - رضى الله عنه - بكى في مرضه، فقبل

له :

(١) الأساود : الأشياء من أدوات وغيرها.

ما يبكيك ؟

فقال: أما إنه ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى، وإني أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار، لا أدرى إلى أيهما يؤخذ بى.
وروى ابن شوذب أن أبا هريرة لما قيل له: ما يبكيك؟ فقال: بُعد المفازة، وقلة الزاد وعقبة كؤود، المهبط منها إما إلى الجنة أو النار.
توفى - رضى الله عنه - فى آخر خلافة معاوية - رضى الله عنه - سنة سبع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٦٩٣)

أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني :

بكى خوفا من أن يساق إلى النار.

أبو عائشة بن الأجدع سُرق وهو صغير، ثم وُجد فقيل له مسروق، وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود، ولما احتُضر بكى، فقيل له :
ما هذا الجزع؟

فقال: مالى لا أجزع، وإنما هى ساعة، ولا أدرى أين يُسلك بى؟ بين يديَّ طريقان لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار؟
وقال الشعبي كان عُشى على مسروق، وهو صائم فى يوم صائف، فقالت له ابنته :
أفطر .

قال: ما أردت بى ؟

قالت : الرفق .

قال : يا بنية، إنما أطلب الرفق لنفسى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .
وكان - فيما مضى من حياته - يقول:

إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، يتذكر ذنوبه، ويستغفر الله منها.
مات - رحمه الله - بالكوفة سنة ثلاث وستين .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٦)

أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي:

بكى خوفا من أن يساق إلى النار.

قال عمران الخياط:

دخلنا على إبراهيم النخعي نعوذه، وهو يبكى، فقلنا له:

ما يبيك أبا عمران؟

قال :

أنتظر ملك الموت، لا أدرى يبشرنى بالجنة أم بالنار؟

توفى - رحمه الله - بالكوفة سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٨٩)

الإمام مالك بن أنس - رضى الله عنه:

بكى ندما على ما كان أفتى فيه برأيه.

قال القعنبي:

دخلت على مالك بن أنس فى مرضه الذى مات فيه، فسلمت عليه، ثم جلست

فرايته يبكى، فقلت :

يا أبا عبد الله ما الذى يُبكىك؟

فقال لى:

يا ابن قَعْنَب، وما لى لا أبكى ؟ ومن أحق بالبكاء منى؟ والله لوددت أنى ضُربت لكل مسألة أفتيتُ فيها برأى بسوط سوط، وقد كانت لى السَّعة فيما قد سُبقت إليه، وليتنى لم أفت بالرأى، أو كما قال .

توفى - رحمه الله - بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة .

من (جذوة المقتبس ص ٣٢٥)

أبو الحسن على بن دارس المتعبّد:

بكى أسفا على انقطاعه عن تلاوة القرآن وعن القيام والصيام.

قال عبد الله بن نصر:

اعتل ابن دارس، وجئنا إليه نعوذه، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمدیس القطان، وجبله، وأكابر أصحاب سَحْنُون، هؤلاء قعوداً عند رأسه، وهو مسجى إلى القبلة، ودموعه تنصب، فقال له يحيى بن عمر :

أصلحك الله ما الذى أبكاك؟

فقال:والله ما بكيت خوفاً من الموت، لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومى على الله عزّ وجلّ لأنى أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدى بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار ، والتهجد، والتبتل، وانقطاع عملى، ثم قال لهم: إن لى إليكم حاجة.

هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلا ونهارا،
كفونى فيهما.

وهذه الحُصْرُ كنت أسجد عليها فى سواد الليل، اجعلوها معى فى لحدى، وقليل
من الشعر تصدقوا به.

وهذه السطحية (المزادة) حبسوها، والله ما خلفت شيئا يسألني الله عنه غير هذا.
ثم أسأل الله الاجتماع معكم على الحوض مع النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. ثم
قضى رحمه الله.

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٨٠)

من مشاهد البكاء على المحتضرين

بكاء صهيب على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما:

روى ابن سعد عن ابن سيرين أنه قال:

أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشراب حين طعن، فخرج الشراب من
جراحته، فقال صهيب رضى الله عنه:

واعمراه، واأخاه، من لنا بعدك؟

فقال له عمر:

مه يا أخى أما شعرت أنه من يُعَوَّلُ عليه يعذب؟

وعن أبى بردة عن أبيه أنه قال:

لما طعن عمر أقبل صهيب يبكى رافعا صوته، فقال عمر:

أَعَلَيَّ؟

قال صهيب:

نعم .

قال عمر:

أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ يُبْكِ عَلَيْهِ يُعَذَّبْ)؟

وعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه أنه قال:

لما أصيب عمر دخلت عليه ابنته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها، فقالت:

يا صاحب رسول الله عليه الصلاة وأزكى السلام، ويا صهر رسول الله عليه الصلاة

وأزكى السلام، ويا أمير المؤمنين.

فقال عمر لابنه:

يا عبد الله أجلسنى، فلا صبر لى على ما أسمع، فأسندته إلى صدره، فقال لابنته حفصة:

إنى أخرج عليك بما لى عليك من الحق أن تندبىنى بعد مَجْلَسِكَ هذا، فأما عينك فلن أملكها، إنه ليس من ميت يُندب بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٨)

بكاء أخى سيويه على سيويه:

لما اعتل سيويه وضع رأسه فى حجر أخيه، فبكى أخوه - لما رآه - لما به، فقطرت من دمه قطرة على وجهه، فرفع سيويه رأسه إليه، فرآه يبكى فقال:

أَخِيَّيْنِ كُنَّا فَرَقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى، وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَ؟

من (طبقات النحويين ص ٧٣)

بعض السلف يبكيه أخوه

احتضر بعض السلف، فجعل أخوه يبكى بإفراط، فقال المحتضر دون هذا يا أخى، فمن قليل ترى ضاحكا فى مجلس أذكر فيه.

من (الكشكول للعالمى ج ٢ ص ٢٧٤)

أبو السرى واصل بن عبد الله الجمى

تبكيه أخته

كانت لواصل أخت، وكان لاشتغاله بالعبادة والتبتل لا يتفرغ لزيارتها، وكانت هى لا تقدر على الوصول إليه.

فلما حضره الموت واشتد به الأمر، وقرب منه ما بعد، قال بعض من بحضرته:

امضوا لأختى فأتونى بها.

فمضوا إلى منزلها، فأتوه بها، فلما وصلت أخبروه، وقالوا:

أتدخل إليك؟

فقال: لا سبيل إلى دخولها، ولا أكون أول من أباح للنساء دخول الحصون،

اجعلوها عند باب القصر^(١) تبكى وتنوح حتى أسمعها.

فبكت وناحت، حتى سمعها فبكى، ثم قال:

(١) قصر الرباط بالمنستير.

قولوا لها انصرفي، فالموعد بيني وبينك الآخرة، ثم توفي - رحمه الله.
نقل ما تقدم أبو الحسن بن الخلاف، وكان يقول:

عجبا، كيف أمرها برفع الصوت بالنواح؟ ولعله إنما استخف ذلك، وأباحه لأخته
للحديث الذي جاء في (الموطأ) في دخول النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن
ثابت الأنصاري، فوجده قد غُلب عليه، فصاح به، فلم يجبه، فاسترجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال:
غُلبنا عليك يا أبا الربيع.

فصاح النسوة وبكين، فجعل جابر يسكتهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(دَعِهْنَّ، فَإِذَا وَجِبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِئَةً)
قالوا:

يا رسول الله - عليه الصلاة وأزكى السلام - ما الوجوب؟
قال: (إِذَا مَاتَ).

فقد أباح لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح والبكاء عند احتضار
المريض وقرب الموت منه.

كانت وفاة واصل - رحمه الله - سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٤٠)

نهى المحتضر عن البكاء عليه:

لما حضرت أبا سفيان بن الحارث الوفاة قال لأهله:

لا تبكوا عليّ، فإنني لم أتطق بخطيئة منذ أسلمت، رحمه الله ورضى عنه.

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٥٢٠)

أبو عمران موسى بن عيسى العجفوني الفاسي القيرواني

تبكيه زوجته

لما أفاق أبو عمران من إغمائه في مرضه الذي مات فيه، سمع أمّ ولده عيسى تبكي

وتقول:

واشماتة أعداء عيسى بعيسى، فقال لها:

قولي لأعداء عيسى لا يموتون.

وجعلت تمرغ خديها على رجليه، فقال لها:

مرغى أو لا تمرغى، أما والله إنني ما مشيتُ بهما إلى معصية قط.

من (معالم الإيمان ج ٣ ص ٢٠٣)

مشاهد الصابرين عند موتهم صبورا عجيبا

صبر ثلاثة من شهداء اليرموك:

العطش ساعة الموت مرهق، والصبر عليه شديد، وإثارة المحتضر غيره بالماء فى تلك الساعة عجيب.

لقد صبر ثلاثة من شهداء اليرموك على العطش ساعة موتهم، وآثروا بالماء غيرهم، رغبة منهم فى ما عند الله، وما عند الله خير للأبرار .

روى ابن قدامة فى كتاب التوايين عن عبد الله بن مصعب أنه قال :

استشهد يوم اليرموك :

الحارث بن هشام

وعكرمة بن أبى جهل

وسهيل بن عمرو

فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه، كلما دُفع إلى رجل منهم قال : اسق فلانا، حتى ماتوا ولم يشربوه.

قال عبد الله بن مصعب: طلب الماء عكرمة فنظر إلى سهيل ينظر إليه، فقال : ادفعه إليه ، فنظر إلى الحارث ينظر إليه، فقال : ادفعه إليه، فلم يصل إليه حتى ماتوا جميعا، فرضى الله عنهم أجمعين.

من (كتاب التوايين لابن قدامة المقدسى ص ١١٧)

مشهد صبر الشيخ عبد الوهاب الأنماطى

قال ابن الجوزى:

دخلت على شيخنا عبد الوهاب الأنماطى فى مرضه، وقد ضننى جسمه وهو ساكن صابر، فقال لى:

إن الله سبحانه لا يتهم فى قضائه.

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦٣)

مشهد صبر الشيخ ابن الخشاب

قال ابن الجوزى:

دخلت على محمد بن الخشاب وهو فى مرض موته، وهو ساكن غير منزعج، فقال لى:

عند الله أحسب نفسى.

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦٣)

مشهد صبر أبي العالية الرياحي

قال سيار بن سلامة:

دخلت على أبي العالية الرفيع الرياحي في مرضه الذي مات فيه فقال: إن أحب الأمر إليّ أحبه إلى الله عز وجل، ومات - رحمه الله - في شوال يوم الاثنين سنة تسعين.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ١١٢)

مشهد صبر حمديس القطان

قال أبو سعيد بن محمد بن سحنون:

لما اعتلّ أبو جعفر أحمد بن محمد الأشعري المعروف بحمديس القطان أحضرنا له طبيبا، فتبسم وقال:

ما أقبح المخالفة بعد الموافقة، ثم قال:

من أراد الله عز وجل به حالا، وأراد هو غيره، أليس قد خالف؟ ثم أنشد:

بَيْدَ اللَّهِ دَوَائِي	الَّذِي يَعْلَمُ دَوَائِي
إِنَّمَا أَظْلِمُ نَفْسِي	بِاتِّبَاعِي لِهَوَائِي
كُلَّمَا دَاوَيْتُ دَائِي	غَلَبَ السَّاءُ دَوَائِي

مات - رحمه الله - سنة تسع وثمانين ومائتين.

من (رياض النفوس ج ١ ص ١٨٩)

مشهد صبر ابن غانم النهميري

دخل أبو الوليد المهدي اللغوي على أبي عبد الرحمن عبد الله بن غانم قاضي القيروان في مرضه الذي مات فيه، فقال له:

رفع الله ضجعتك من هذه العلة، إلى إفاقة وراحة، وأعاد إليك ما عودك من الصحة والسلامة، فلطالما صَحَحْتَ وعوفيت أصلحك الله، فاصبر لحكم الله عز وجل، فإن الله يُحِبُّ أَنْ يُصَبِّرَ عَلَىٰ بُلُوَاهُ، كما يحبُّ أَنْ يُشْكِرَ عَلَىٰ نِعْمَاهُ.

فقال ابن غانم:

هو الموت، والغاية التي إليها انتهاء الخلق وما لا بد منه، فصبر يُؤَجِّرُ صاحبه عليه، خير من جزع لا يغني عنه، ثم تمثل بقول الشاعر:

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِذَا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ

من (ترتيب المدارك ج ٣ ص ٧٨)

ومعالم الايمان ج ١ ص ٢٣٢

والحلل السندية ص ٧٤٠

وررياض النفوس ج ١ ص ٢٢٩).

مشهد صبر ابن وافد قاضى القضاة بقرطبة

لما تغلب البرابرة على قرطبة وتم الصلح، وخلع هشام، وهم أحق الناس على ابن وافد، فاستخفى، وشدد الطلب فيه، فعثر عليه عند امرأة، فحمل راجلاً مكشوف الرأس مهاناً، يقاد بعمامته فى عنقه، والمنادى ينادى عليه:
هذا جزاء قاضى التصارى، ومسبب الفتنة وقائد الضلالة .

وكان يقول مجابوا:

كَذَّبْتَ بِفِكَ الْحَجَرُ، بَلْ وَاللَّهِ وَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَعَدُوَ الْمَارِقِينَ ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ - يوسف - ٧٧ والناس تتقطع قلوبهم لما نزل به.
فلقيه بعض أعدائه فى هذه الحال، فقال له:

كيف رأيت صنع الله بك؟

فقال: ما أتهم قضاءه، كان ذلك فى الكتاب مسطوراً.

ولقيه بعض أصحابه فقال:

ترى أن أبلغ أمرك أبا العباس بن ذكوان؟ (وكان مقبول القول عند البرابرة).

فقال: لا حاجة لى فى ذلك

فأدخل على المستعين سليمان بن الحكم فى تلك الحال، فأكثر توبيخه وأغرته به البرابرة، فأمر بصلبه، وشُرع فى ذلك، فاضطرب البلد له، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ شَفَاعَةُ أَبِيهِ الحكم، وشفاعته ابنى ذكوان، وابن حومل، وجماعة من الفقهاء والصالحين الذين لا يرى ردهم يرغبون إليه فى شأنه، ويقبحون إليه ما أمر به فيه .

فرفع عنه الصلب والمثلة، وأمر بضمه إلى المطبق، وتثقيفه، وكان شديد الصبر فى محبسه، كثير التبسم والحديث، متعاهداً لصالح نفسه وجسمه من الاغتسال والاستياك والاستحداد، حتى عدله بعض من جمعته وإياه المحنة فى ذلك المكان على فعله، فقال:
وما لى لا ألهى عما لا بد لى منه وأصل الراحة، والله إنى لأرجو لها الحور غادياً أو راتحاً، وسواكى طرى، وجسمى نقى، أو نحو هذا.

ولم يبعد - رحمه الله - أن اعتل فى محبسه فمات، فتكلم الناس أن حيلة وقعت عليه - فالله أعلم بذلك - فأخرج ميتاً فى نعش، منتصف ذى الحجة سنة أربع وأربعمائة فوضعه الأعوان بالمیضاة، موضع غسل المحاويع.

فاحتمله قوم إلى دار صهره ابن الأغبس الفقيه، فسَد الباب فى وجه النعش وتبرأ منه تقيّة.

وسمع الزاهد حماد بن عمار بالقصة، فبادره، وسار بنعشه إلى منزله، فقام بأمره.
وكان من عجيب الاتفاق أن ابن وافد كان أودع عند هذا الرجل كفنه، وحنوطه
وقارورة من ماء زمزم لجهازه، فتم مراده، وعدت من كراماته، رحمه الله.
من (ترتيب المدارك ج ٧ ص ١٧٩)

مشهد صبر ابن مسرور على موت ولده

ذكر القاسبي أنه دخل إلى أبي عبد الله محمد بن مسرور العسال - وابنه أبو
حفص في النزع - وهو جالس وفي يده جزء من القرآن، وفي المجلس أبو سعيد بن
أخي هشام، وابن التبان، وابن أبي زيد، والشيخ ابن مسرور على حاله، يقرأ جزء ثم
يحول وجهه إليهم ويقول:
كيف رأيتم أبا حفص؟

فتقول الجماعة: خير إن شاء الله.

إلى أن مات فوجموا وسكتوا، فحول الشيخ إليهم وجهه وقال:

مات أبو حفص؟

قلنا: نعم، أصلحك الله، وجبر مصابك.

فثنى الجزء على إبهامه، ثم حول وجهه وهو في مكانه وقال :

رحمك الله يا بني، فلقد كنت صواماً قواماً، حافظاً لكتاب الله عالماً بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ولقد طمعت أن أكون في صحيفتك (يعنى يسجل لك في
صحيفتك ثواب وفاتي قبلك) فالحمد لله الذي جعلك في صحيفتي، ثم قال:
خذوا في شأنه، وأقبل على مصحفه.

قال ابن شبلون:

لما مات أبو حفص وغُسل وكُفّن، وأبو عبد الله أبوه حاضر، وأبو سعيد ابن أخي
هشام، وأبو الأزهر بن معتب، وأبو محمد بن أبي زيد وأبو محمد بن التبان، وغيرهم
من أهل العلم، قال الغاسل لأبيه:

مَا أَعْظَمَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ، فَقَالَ لَهُ:

لَا تَفْعَلْ، ثَوَابُ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ، وَخَيْرُ مِنْهُ.

ولقيه المهدي فقال:

عَظُمَ الْمَصَابُ بِأَبِي حَفْصٍ.

فقال: ثَوَابُ اللَّهِ أَعْظَمُ.

ثم قال أبوه : رحمك الله أبا حفص، لقد كنت مباركاً علينا في دنيانا وأخرانا أما

دنيانا فقد كان قوتنا يجرى على يديك، وأما آخرانا فكنت أقول لعلى أكون فى صحيفتك، فقد صرت فى صحيفتى.

وكان أبو حفص قد دخل يوما على أبى إسحاق السبائى فقام إليه، وتلقاه وصافحه وقال : ما الذى جاء بك؟

فقال: نعتنى نفسى، وأظن أجلى قرب، فأردت أن أجدد عهدا بك، فقال له أبو إسحاق: جمع الله شمل المسلمين بك وأبقاك لهم.

كانت وفاة أبى حفص فى شعبان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وهو ابن نحو أربعين سنة.

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٧٩)

الصبر أحب إلى المؤمن أم الشكر؟

كان مطرف بن عبد الله يقول: لأن أعافى فأشكر، أحب إلى من أن أبتلى فأصبر. و كان أخوه أبو العلاء يقول: اللهم أى ذلك كان خيرا فعجله لى.

قال عمرو بن السكن: كنت عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرنى عن قول مطرف (لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر) أهو أحب إليك أم قول أخيه أبى العلاء : (اللَّهُمَّ رَضِيتُ لِنَفْسِي مَا رَضِيتَ لِي)؟

فسكت سكتة ، ثم قال: قول مطرف أحب إلى . فقال الرجل :

كيف وقد رضى هذا لنفسه ما رضىه الله له؟

قال سفيان : إني قرأت القرآن ، فوجدت صفة سليمان مع العافية التى كان فيها «نعمَ العبدُ إنه أوابٌ» ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذى كان فيه «نعمَ العبدُ إنه أوابٌ» فاستوت الصفتان، هذا معافى وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إلى من البلاء مع الصبر.

من (الحلية ج ٢ ص ٢١٢)

مشاهد من فزعوا من أمر فماتوا

قد يتدهش المرء من شىء يفاعته، فيفقد صوابه، وقد يعظم اندهاشه بالمفاجأة فيفقد قواه، ويغمر عليه، وقد يصدم بمفاجأة تكون أعظم من أن تتحملها نفسه، فيفقد روحه. والإنسان فى حياته عرضة لكثير من المفاجآت، وأشدّها خطرا عليه ما يذهب بحياته.

واليك بعض المشاهد ممن فزعوا من أمرهم ماتوا .

مشهد أم ترتاع مما أصاب ابنها فتموت

كان سجن الحجاج حائطاً محوطاً لا سقف له، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة .

وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، وكان لا يلبث الرجل فيسجنه إلا يسيراً حتى يسود ويصير كأنه زنجي، حتى أن غلاماً حبس فيه، فجاءت إليه أمه بعد أيام تتعرف خبره، فلما تقدم إليها أنكرته، وقالت ليس هذا ابني، هذا أحد الزنج، فقال: لا والله يا أماه أنت فلانة بنت فلان، وأبى فلان.

فلما عرفته شهقت شهقة فاضت فيها نفسها.

من (الكشكول للعالمى ج ٣ ص ٣٦٥)

مشهد من دمرت صاعقة قصره فارتاع ثم مات

كان الملك الناصر أحمد بن إسماعيل صاحب اليمن من شرار بنى رسول ملوك اليمن، وفي أيامه خربت غالب بلاد اليمن لكثرة ظلمه وعسفه، ولعدم سياسته وتدبيره، واستمر على ذلك إلى أن توفى سادس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة من ساقطة سقطت على حصنه المسمى قوارير خارج مدينة زبيد فارتاع من سقوطها، وأقام أياماً مريضاً ملازماً للفراش إلى أن مات.

من (المنهل الصافي ج ١ ص ٢٤٤)

مشهد من مات عند سماعه الرعد

كان عبد الله البرقى فتي متحركا في الفقه والأدب ... وغلب عليه في آخر عمره الورع والفضل، وخرج مرابطاً، فمات بسوسة من رعدة سمعها.

كان قد أغفى في حين الرعدة بعد دعاء شديد. وتضرع عظيم، فكان قلبه قد أشرب الخوف، فلما فجأه الرعد القاصف ذهب نفسه.

كان في حين موته من أبناء الأربعين وتوفى سنة عشر وثلاثمائة - رحمه الله تعالى.

من (قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص ٢٣٣)

مشهد من ارتاع من رؤية قبر فمات

روى أبو القاسم الحسن النيسابورى بسنده إلى هشام بن عبيد الله أنه قال :
نظر الحارث بن سعيد فى قبر منخسف (منهدم) فخر مغشيا عليه، ثم رفع وقد زال
عنه عقله، فبقى كذلك حتى مات رحمه الله تعالى.

من (عقلاء المجانين ص ٦٥)

مشهد من غشى عليه من رؤية القبور ثم مات

قال الحارث بن سعيد:
أخذ بيدي أبو المعاصر رياح بن عمرو القيسى فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكى
على مر الساعات، ونحن على هذه الحال.
قال وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خر مغشيا عليه،
فجلست والله عند رأسه أبكى، فأفاق فقال:

ما يبكيك؟

قلت: لما أرى بك .

قال: لنفسك فابك.

ثم قال: وانفساه، وانفساه.

ثم غشى عليه، فرحمتهُ والله مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو
يقول:

«تلكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ» النازعات - ١٢ «تلكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ» وَمَضَى عَلَى
وَجْهِهِ، وَأَنَا أَتْبَعُهُ لَا يَكَلِّمُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنْزِلِهِ، فَدَخَلَ وَأَصْفَقَ بِأَبِهِ، وَرَجَعَتْ إِلَى
أَهْلِي، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ - رحمه الله تعالى.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٦٩)

مشهد من مات عند ما صدم بإهانة الاسلام

روى ابن الجزرى عن أبى عبد الله الحافظ أن الروم الأسبان لما استولوا على أشبيلية
سنة ست وأربعين وستمائة هال صوت الناقوس وخرس الأذان أبا الحسن على بن
جابر الدباج اللخمى الأشبيلى، فما زال يتأسف ويضطرب إلى أن قضى نحبه بعد أيام،
رحمه الله، وقد عاش ثمانين سنة.

من (غاية النهاية لابن الجزرى ج ١ ص ٥٢٨)

مشهد من ارتاع من أبهة السلطان فارتعد ومات

ذكر الجلال السيوطي أن محمد بن أحمد بن محمد الأموي هو من ذرية معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه.

وقال : أورد له ابن السمعاني من الشعر ما عجز عنه الأوائل من معان لم يسبق إليها، كما أن له في اللغة مؤلفات لم يسبق إليها، وكان فريد دهره في معرفة اللغة والأنساب، وهو من ألمع تلاميذ عبد القاهر الجرجاني، وكان قوى النفس جدا، ومن شعره مفاخرا:

يَا مَنْ يُسَاجِلُنِي وَلَيْسَ بِمُدْرِكٍ شَأْوِي، وَلَيْسَ لَهُ جَلَالَةٌ مِنْصِبِي
لَا تَتَعَبَنَّ فَدُونِ مَا حَاوَلْتَهُ خَرَطُ الْقَتَادَةِ وَامْتِطَاءُ الْكُوكَبِ

ولما حضر عند السلطان أبي شجاع محمد بن ملك شاه تشخيصاً وهو على سرير ملكه ارتعد، ووقع ميتاً، وذلك يوم الخميس بين الظهر والعصر، العشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة - رحمه الله تعالى .

من (بغية الوعاة ص ١٦)

مشهد من ارتاعت من رؤيا فماتت

كم من رؤيا تصادف نفوذ أحكام القدر، ونفاذ أيام العمر، ومثل هذه الرؤيا كثيرة الحدوث، متنوعة الصور، ومن أعجبها ما نقله بهاء الدين العاملي قائلا :

إن موسى الهادي العباسي كان مغرى بجارية تسمى (غادراً) وكانت من أحسن النساء وجهاً، وأكثرهن أدبا، والطفهن طبعاً.

فبينما هي معه ذات ليلة إذ تغير لونه، وظهر أثر الحزن عليه، فقالت ما بال أمير المؤمنين؟ لا أراه الله ما يكره.

فقال : وقع في فكري الساعة أني أموت؛ وأن أخي هارون الرشيد يلى الخلافة بعدى، وأنت تكونين معه، كما كنت معي الآن، فقالت:

لا أبقاني الله بعدك أبداً.

وأخذت تلاطفه ، وتزيل هذا الخيال من خواطره، فقال :

لابد أن تحلفي لى إيماناً مغلفة ألا تخلى به بعدى، فحلفت على ذلك وأخذ عليها العهود والمواثيق الغليظة.

ثم خرج وأرسل إلى أخيه هارون، وحلفه ألا يخلو بغادر بعده، وأخذ عليه من الموائيق والعهود ما أخذ عليها.

فلم يمض إلا شهر حتى مات موسى الهادي وانتقلت الخلافة إلى هارون الرشيد، فطلب الجارية فحضرت، ورغب أن تكون معه كما كانت مع الهادي، فقالت: وكيف يصنع أمير المؤمنين بتلك الأيمان والعهود؟ فقال: قد كَفَرْتُ عَنْكَ وعن نفسي.

ثم خلا بها، ووقعت من نفسه موقعا عظيما، بحيث لم يكن يصبر عليها ساعة...
فبينما هي نائمة ذات ليلة إذ استيقظت مذعورة فقال لها:
ما بالك فدتك نفسي؟

قالت: رأيت أخاك ينشد هذه الأبيات:

أَخْلَفْتَ عَهْدِي بَعْدَمَا	جَاوَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
وَتَسَيَّبْتَنِي وَحَثَّيْتَ فِي	أَيْمَانِكَ الزُّورَ الْقَوَاجِرِ
وَتَكَحَّحْتَ غَادِرَةَ أَخِي	صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ (غَادِرُ)
لَا يَهْنُكَ إِلَّا الْإِلْفُ الْجَدِيدُ	وَلَا تَدْرُ عَنْكَ الدَّوَائِرُ
وَلَحِقْتَنِي قَبْلَ الصَّبَا	حِ وَصِرْتِ حَيْثُ غَدَوْتُ صَائِرُ

قالت:

وأظن أنني لاحقة به في هذه الليلة، فقال:
فدتك نفسي إنما هي أضغاث أحلام، فقالت: كلا.
ثم ارتعدت واضطربت بين يديه حتى ماتت.

من (الكشكول للعاملی ج ٣ ص ١٩٤)

مشاهد من تأثروا بالمواعظ فماتوا

إن البشر ليسوا سواء في غلظ القلوب ورقتها، فمن الناس من تقسو قلوبهم، فتكون كاللحجارة أو أشد قسوة، فلا تؤثر فيهم آيات الله المنبئة في آفاق الكون، ولا يحبون أن يستضعوا بعظة الواعظين، ومن هؤلاء الغلاظ القلوب قوم هود عليه السلام، فقد قابلوا دعوته بقولهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ الشعراء - ١٣٦ . وأصروا على تعنتهم، وعلى شركهم، وعلى ازدراءهم له فقالوا: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ هود - ٥٣ - ٥٤ .

ومن الناس من ترققهم المواعظ، فترق قلوبهم ويخشعون لله كمن قال سبحانه فيهم: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم - ٥٨ .

وبين هذين الصنفين من الناس مراتب عديدة فى قسوة القلب ورفقتها ولقد توعده الله الصنف الأول من الناس لقسوتهم وتعنتهم فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الجاثية - ٧-٨ . وذكر الله استجابة الصنف الثانى للحق فى قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المائدة - ٨٣-٨٤ .

ثم بشرهم بقوله: ﴿فَأَنبَاهَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة - ٨٥ .

وإليك طائفة من هؤلاء الذين صفت نفوسهم، ورقت أفئدتهم، فماتوا متأثرين بما أدركوا من عظات.

روى ابن قدامة المقدسى بسنده إلى رجاء بن ميسور المجاشعى أنه قال:
كنا فى مجلس صالح المري وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى. فقرأ الفتى قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ غافر - ١٨ .
فقطع صالح عليه القراءة وقال :

كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يساقون فى السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزركة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا ياثبونا ما نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ أين يذهب بنا؟ ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باكٍ دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منظراه، يا سوء منقلباه وبكى، وبكى الناس.
فقام فتى من الأزد فقال:

أكل هذا فى القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم والله يا ابن أخى، وما هو أكثر، لقد بلغنى أنهم يصرخون فى النار حتى
تنقطع أصواتهم، فما يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف، فصاح الفتى:
إنا لله، واغفلناه عن نفسى أيام الحياة، وا أسفاه على تفريطى فى طاعتك، يا سيداه،
وا أسفا على تضییعی عمرى فى دار الدنيا.

ثم بكى، واستقبل القبلة فقال:

اللهم إنى أَسْتَقْبِلُكَ فى يومى هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلنى على
ما كان فى، واعف عما تقدم من فعلى، وأقل عثرتى، وارحمنى ومن حضرنى، وتفضل
علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك أَلقيت معاهد الآثام من عنقى، وإليك
أُنبِت بجميع جوارحى، صادقاً لذلك قلبى، فالويل لى إن لم تقبلنى.

ثم غُلب فسقط مغشياً عليه، فحُمِلَ من بين القوم صريعاً فمكث صالح وإخوته
يعودونه أياماً، ثم مات والحمد لله فحضره خلق كثير يكون عليه ويدعون له.
فكان صالح كثيراً ما يذكره فى مجلسه فيقول: وبأبى قتيل القرآن وبأبى قتيل
المواعظ والأحزان.

قال المجاشعى: فرآه رجل فى منامه فقال له: ما صنعت؟ قال: عمّنتى بركة مجلس
صالح المرى فدخلت فى سعة رحمة الله التى وسعت كل شىء.

من (كتاب التوابين ص ٢٣٦)

مشهد من شهق من سماع آيتين فمات

قال صالح المرى:

كان أبو جهير مسعود الضرير قد خرج من البلد، وبنى له مسجداً يتعبد فيه...
ذهبت مع جماعة من أهل البصرة إلى منزل أبى جهير، فكرهنا أن نستأذن عليه،
حتى إذا كان وقت الظهيرة خرج فأذن وأقام الصلاة وصلى فصلينا معه...
ثم قال لى: من أنت؟

قلت: صالح المرى.

قال: أنت الذى يقال: إنك أحسن أهل البصرة صوتاً؟ ثم قال لى: إنى كنت إلى
صوتك مشتاقاً، هات اقرأ على خمس آيات من كتاب الله.

فاستفتحت فقرأت ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا. وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان - ٢٢-٢٣ فشهو شهقة وغشى عليه، فلما أفاق قال: أعد على قراءتك، فأعدت عليه فشهو شهقة أخرى وفارق الدنيا.

من (جامع الكرامات ج ٢ ص ٢٥٢)

وذكر ابن الجوزي أن أبا جهير لما سمع الآية الثانية صاح صيحة، ثم انكب لوجهه وانكشف بعض جسده، فجعل يخور كما يخور الثور، ثم هداً فدنونا منه ننظر، فإذا هو قد خرجت نفسه كأنه خشبة.

من (صفة الصفة ج ٣ ص ٣٣٣)

مشهد من أدرك جلال الله غامراً للكون فمات

كان أبو السري واصل بن عبد الله يأوى إلى مسجد السدرة بالقيروان، يركع ويسجد فيه إلى صلاة العصر، فإذا قيل له: أرفق بنفسك. قال: أنا رجل مطالب مديان.

أنشد بعض القراء وهو جالس هذه الأبيات:

كَأَنَّ رَقِيئاً مِنْكَ يَدْعُو خَوَاطِرِي	وَأَخَرٍ يَدْعُو نَاطِرِي وَلِسَانِي
فَمَا نَظَرْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنَظَرًا	يُسُوءُكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
وَلَا خَطَرْتُ فِي السَّرْدُونِكَ خَطَرَةً	بِنَفْسِي إِلَّا عَرَجًا بَعْنَانِي
وَأَخْوَانُ صَدَقَ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ	فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَلِسَانِي
وَمَا الدَّهْرُ أَسْلَى عَنْهُمْوْ غَيْرَ أُنْسَى	رَأَيْتُكَ مَشْهُوداً بِكُلِّ مَكَانٍ

فبكى وصاح، وفارق الدنيا، مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم رحمه الله.

من (معالم الإيمان ج ٣ ص ١٠٥)

مشهد من تدبر آية فرددها فمات

كان أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب قد انتقل من القيروان إلى مصر، فمات بها، ودفن بالمقطم سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

وكان رحمه الله قد سمع قارئاً يقرأ آية الكرسي، فلم يزل يردددها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته، ففاضت نفسه - رحمه الله تعالى.

من (معالم الإيمان ج ٣ ص ٧٦)

مشهد من لم يطق تتابع الوعظ فمات

قال حصين بن القاسم الوزان:
كنا عند عبدالواحد بن زيد وهو يعظ، فناداه رجل من ناحية المسجد:
كف عنا يا أبا عبيدة، فقد كشفت قناع قلبي.
فلم يلتفت عبدالواحد إلى ذلك ومر في الموعدة فلم يزل الرجل يقول:
كف عنا يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد لا يقطع موعدته، حتى
والله حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه فمات.
ثم قال حصين:
أنا والله شهدت جنازته يومئذ، فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر باكياً من يومئذ.

من (الحلية ج ٦ ص ١٥٩)

مشهد من هاله سماع آية فزال عقله ثم مات

روى أبو القاسم النيسابوري بسنده إلى بشر بن عبدالعزيز أنه قال:
كان عمر بن درهم لا يخرج إلا إلى صلاة أو جنازة، فسمع قارئاً يقرأ ﴿وَمَا أَمْرُنَا
إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر - ٥٠. فصرخ صرخة، فخلط في عقله، فلم يزل على
ذلك حتى مات - رحمه الله - تعالى.

من (عقلاء المجانين ص ٦٦)

مشهد شهيد القرآن

نقل القاضي عياض عن أبي العز أن أبا جعفر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر
الأزدی كان عالماً بالحديث والرجال، حسن التفسير، ونقل القاضي يونس عن أبي
العرب أن ابن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء، حتى كان يسمع جيرانه بكاءه
وصراخه.

وقال أبو بكر بن اللبّاد حضرت مشهد الذكر يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة
سنة سبع وسبعين ومائتين، وأحمد بن معتب حاضر، وكان له بكاء ونوح، وكان القراء
إذا علموا به تحركوا فقرأوا، وغيروا، وأخذوا في التغيير:

دَعِ الدُّنْيَا لِمَنْ جَهِلَ الصَّوَابَا فَقَدْ خَسِرَ الْمُحِبُّ لَهَا وَخَابَا
فلما وصلوا:

يَظَلُّ نَهَارُهُ يَبْكِي بَيْتٌ وَيَطْوِي اللَّيْلُ بِالْأَحْزَانِ دَابَا
تحرك وبكى.

ثم قرأ قارئ: ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿الزخرف - ٦٨ - ٦٩﴾. فصاح ابن معتب صيحة شديدة، ثم سقط على وجهه، فأقام ساعة، وأسندته إنسان إلى صدره، وكلّم فلم يتكلّم، وقد أغلق عينيه، ثم قاء شيئاً أخضر.

فلما انقضى المجلس وخُتم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذ كان لا يثبت، فجننا بمحمل على جمل فحمل وأخرج من المسجد، وكلٌّ من في المسجد يبكي كأنه ماتم.

حُمِلَ في شق الجمل، وزامله ابن عم له، ثم أتى به إلى داره، فقاء شيئاً أخضر ولم يتكلّم، وتركناه لشأنه.

فلَمَّا كان بعد العشاء الآخرة توفى رحمه الله، وما تكلم وما فتح عينيه. قال ابن اللباد: وحضرتُ غسله، وقد كُسى نوراً وبياض بدن، وُصِّلَى عليه للعصر، صلى عليه حمديس القطان، وفات كثيراً من الناس الصلاة عليه لكثرتهم ونودي على جنازته أيها الناس لا تفتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن.

من (ترتيب المدارك ج ٤ ص ٣٥٣)

وروى بعض هذا المشهد أبو بكر المالكي في رياض النفوس مضيفاً أن أبا جعفر بن معتب مر في ذلك اليوم بموضع قبل دخوله مسجد السبت فسمع قائلاً يقول:

العَفْوُ أَوْلَى بِمَنْ كَانَتْ لَهُ الْقُدْرُ لَا سِيَّامَا عَنْ مُقَرَّلَيْسٍ يَنْتَصِرُ
أَقْرَبُ بِالذَّنْبِ إِجْلَالاً لِسَيِّدِهِ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَعْتَذِرُ

فبكى وخشع، ودعا للقائل وللذين حضروا، ثم مضى ودخل مسجد السبت... إلى آخر ما مر.

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٧١)

كما روى أبو عبد الله الحشني قصة وفاة ابن معتب من (موعظة) عن أبي بكر بن اللباد، فقال: حضرته في مجلس السبت وقد سمع شيئاً من أولئك القراء، فصاح صيحة ثم خرّ، وانبعث الزبد من فيه، واحتمل في نعش إلى داره، فما سمعت منه كلمة حتى مات - رحمه الله تعالى.

ثم قال الحشني: قال ابن حارث، ولم أوقف أبا بكر بن اللباد عما سمع (من العظة) وقد سمعت في ذلك اختلافاً من الناس، فقائل يقول أنه سمع ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ وقائل يقول أنه سمع بيت شعر فيه ذكر النار، فكان من أمره ما كان.

من (قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص ١٨٩)

مشهد واعظ يرق فيغشى عليه ويموت

نقل تاج الدين السبكي عن أبي سعيد بن السمعاني أن أبا العباس الطبري كان من أخشع الناس قلباً إذا قص، فمن ذلك ما يحكى أنه كان يقص على الناس بطرسوس، فأدركته روعة مما كان يصف من جلال الله وعظمته، وملكته خشية مما كان يذكر من بأسه وسطوته فخر مغشياً عليه ومات.

توفي بطرسوس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة - رحمه الله تعالى.

من (طبقات الشافعية لابن السبكي ج ٣ ص ٥٩)

مشهد من سمع أهوال الآخرة فمرض فمات

قال أبو جعفر بن بطونة سمعت أبي يقول:

حضرت جنازة في باب تونس (من مدينة القيروان) وحضرها أبو خالد عبد الخالق المتعبّد، فذكر بعض من حضر الآخرة وأهوالها، فصاح عبد الخالق، ثم ولّى نحو الفحص هارباً على وجهه.

قال فمضينا في إثره، فأصبناه جائياً على ركبتيه، خاراً على وجهه، فحملناه على دابة.

ثم أقمنا بعد ذلك أياماً نعوذه، حتى مات من شدة الخوف رحمه الله تعالى، وكان ذلك سنة عشرين ومائتين.

من (رياض النفوس ج ١ ص ٣٢٦)

مشهد من مواعظ مسجد السبت

روى أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري عن أبيه أنه قال:

حضرت مسجد السبت القديم، وكان مبنياً بالطوب، فقال القوالون أشعاراً في الزهد، فبكى الناس بكاء عظيماً، حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت أصواتهم، فقال رجل جالس بجواري:

لقد طاب المسجد اليوم، فقال له رجل كبير السن شيخ:

يا هذا حال المسجد عما كنا عهدناه قبل هذا الوقت (يعنى تحول عما كان) ثم

قال:

أعرف أنى حضرته يوماً فقام ابن السامة فقرأ «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي
أَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» فصلت - ٤٠. فقام شاب من
الركن يبكي ويصيح:

الأمان بالله.

فرجع القارئ إلى الآية من أولها، فقال الشاب:
الأمان بالله.

فرجع القارئ مرة ثالثة، فصاح الشاب:

الأمان بالله، وخر ميتاً - رحمه الله تعالى.

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٩٦)

مشهد موعظة انقلبت مضحكة

نقل ابن خلكان عن محمد بن زياد أنه قال:

سمعت ثعلباً يقول: لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبى جعفر المنصور
وزوجته، حضر أبو جعفر جنازتها، وجلس لدفنها، وهو متألم لفقدائها كثير عليها.
فأقبل أبو دلامة، وجلس قريباً منه (وكان أبو دلامة معروفاً بالمزح).

فقال له المنصور:

ويحك ما أعددت لهذا المكان؟ وأشار إلى القبر.

فقال أبو دلامة:

ابنة عم أمير المؤمنين.

فضحك المنصور، ثم قال له:

ويحك فضحتنا بين الناس.

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٠)

مشاهد الواعظين لمن عندهم

وهم في سياق الموت

الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم المفلحون بشهادة الله سبحانه، إذ يقول:
«وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ» - آل عمران الآية ١٠٤.

ولقد دأب أناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الدّعوة إلى الله على بصيرة، حتى اللحظات التي كانوا يودّعون فيها الحياة، ولم تشغلهم شدة ما هم فيه عن الاهتمام بأمر الله في هذا الشأن.

من هؤلاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

قال عمر بن ميمون وهو يروى حادث مقتل عمر:

لما طعنه أبو لؤلؤة في صلاة الصبح وقد أتى عمر بلبن فشربه فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، ودخلنا عليه فجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشريا أمير المؤمنين يبشرى الله عز وجل لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة.

قال عمر رضى الله عنه: وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى. فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض، فقال عمر:

(ردوا على الغلام، ثم قال: يا ابن أخى ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك).

من (الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٠٧)

ومنهم أبو الدرداء رضى الله عنه.

قال معاوية بن قرّة:

إن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه، فقالوا: ما تشتكى؟

قال: اشتكى ذنوبى.

قالوا: فما تشتهى؟

قال: أشتهى الجنة.

قالوا: أفلا ندعو لك طيباً؟

قال: هو الذى أضجعنى.

وروى إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم قال: جثت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه

فقال:

(ألا رجل يعمل مثل مصرعى هذا؟ ألا رجل يعمل مثل مصرعى هذا؟ ألا رجل

يعمل مثل ساعتى هذه؟)

ثم قبض رضى الله عنه^(١)

ومنهم محمد بن واسع بن جابر.

قال أبو عامر حدثني صاحب لنا أن محمد بن واسع لما ثقل كثر الناس عليه في العيادة، فدخلت، فإذا قوم قيام، وآخرون قعود، فأقبل على فقال:

أخبرني ما يغني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدمي غداً، وألقيت في النار، ثم تلا: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٢)

وقال محمد بن عبد الله مولى الشقيين: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي (يعني في سياق الموت) فقال:

(يا إختوى، يا إختوى، هبوني وإياكم سألتنا الله الرجعة، فأعطاكموها ومنعنيها، فلا تخسروا أنفسكم).^(٣)

ومنهم محمد بن نوح العجلي:

كان العجلي ممن امتحنوا في الفتنة القائمة على القول بأن القرآن مخلوق، فحملة المأمون ومعه أحمد بن حنبل إلى الرقة على بعير متزاملين، فمرض محمد بن نوح في الطريق، فقال لأحمد:

(أبا عبد الله، الله الله فإنك لست مثلي، إنك رجل يقتدى بك، وقد مدَّ هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمره).

ثم مات - رحمه الله - في (عانة) بين الرقة وهيث، فدفنه الإمام أحمد بها سنة ثمانى عشرة ومائتين.^(٤)

ومنهم أبو عمران موسى بن عيسى القاسي:

وفي شرح الجوزقي، قال المازري:

لما أفاق أبو عمران من إغمائه في مرضه الذي مات فيه سمع أم ولده عيسى تبكى وتقول: واشمانة أعداء عيسى بعيسى، فقال لها: قولى لأعداء عيسى: لا يموتون.^(٥)

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٦٤١ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٤١ .

(٣) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٧١ .

(٤) الوافي بالوفيات ج ٥ ص ١٣٤ .

(٥) معالم الإيمان ج ٣ ص ٢٠٤ .

مشاهد من شعروا بدنوا آجالهم فأوصوا

وصية الإنسان بإِِفاء شيء بعد وفاته ما هي إلا من رحمة الله بالإنسان، وقد شرعها الله لعباده تحقيقاً لِمآربهم التي تَقْصُر حياتهم عن بلوغها .
والوصية من أوكد ما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقد روى كل من البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَا حَقُّ أَمْرِى مُسْلِمٌ لَهُ شَيْءٌ يُوصَى فِيهِ بَيْتٌ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ).
وروى ابن ماجه فى سننه بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ مَاتَ عَلَى سَبِيلٍ وَسَنَةٍ، وَمَاتَ عَلَى تَقَى وَشَهَادَةٍ، وَمَاتَ مَغْفُوراً لَهُ).

وللوصية أثر يسعد به الميت حالما يكون فى البرزخ، فقد روى ابن حبان فى كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة، أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ لَمْ يَوْصَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْكَلَامِ مَعَ الْمَوْتَى - قيل : يا رسول الله وهل تتكلم الموتى؟ - قال : نعم ويتزاورون).
وروى أبو عبد الله الحاكم فى الكنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ وَصِيَّةٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْكَلَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - قالوا يا رسول الله، ويتكلمون قبل يوم القيامة - قال : نعم ويزور بعضهم بعضاً).
ولما كان للوصية ذلك الأثر وغيره رأينا كثيراً من الناس يوصون قبل وفاتهم بزمان قد يكون طويلاً، وقد يكون قصيراً، وكان من أهل العلم من ينكر على من يدركه الموت من المسلمين ويموت على غير وصية، ومن المنكرين الشيخ عبد الرحمن بن الجوزى، فقد قال فى رسالة الثبات عند الممات :

(إننى رأيت جمهور الناس إذا طرقتهم المرض اشتغلوا تارة بالجزع منه والشكوى وتارة بالتداوى إلى أن يشتد فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح من وصية أو فعل خير، أو تأهب للموت، فكم له من ذنوب لا يتوب منها، أو عنده ودیعة لا يردّها، أو عليه دين أو زكاة أو فى ذمته ظُلامة لا يخطر له تداركها، وإنما اقتصرته همته على فراق الدنيا إذ لا همة له سواها، وربما فاق فأوصى بجور، وسبب هذا ضعف

الإيمان كما قال عز وجل : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾. النجم ٢٩ - ٣٠ .
ثم قال رحمه الله :

(فينبغي للمتيقظ أن يتأهب في حال صحته قبل هجوم المرض، فربما ضاق الوقت عن عمل، واستدراك فارط أو وصية، فإن لم يكن أوصى في الصحة فليبادر في أول المرض، فليوص وليحذر من الجور في وصيته. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ يَعْمَلُ أَهْلَ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى جَارَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمَ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الشَّرَّ سَبْعِينَ سَنَةً فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ) .

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ قَرَّبَ مِيرَاثَهُ مِنْ وَارَثِهِ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْجَنَّةِ) (١)
ما يحل من الوصايا وما لا يحل :

تحدث الوصية على صورة من خمس صور، وذلك باعتبار مضمونها كما يلي :

(١) ما تتضمن أمرا من الأمور الواجبة .

(٢) ما تتضمن أمرا مستحبا .

(٣) ما تتضمن أمرا جائزا .

(٤) ما تتضمن أمرا مكروها .

(٥) ما تتضمن أمرا محرما .

أما الوصية بالواجب فهي المتعلقة بأداء ما يجب على الإنسان من دين لم يقضه، أو زكاة لم يعطها، أو وديعة لم يردّها، أو شهادة يترتب عليها حق لم يؤدّها، أو مال أخذه بغير حق ، فتأب وأوصى بدفعه لمستحقه، أو كان قد استغل جهازا أو عقارا ظلما، فتأب وأوصى بإرجاعهما لمن يستحقهما أو لوارث من يستحقهما مصحوبين بعوض عما كان قد استغل .

وهكذا كل ما يجب على الإنسان من حق لم يقم به، وأوصى بإنفاذه استجابة لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ - النساء ٥٨

(١) رسالة الثبات عند الممات صفحة ٣٧ .

وأما الوصية بالأمر المستحب فهي التي تكون بجزء من المال لبعض الفقراء أو لنشر الدعوة إلى الله، أو لمؤسسة خيرية.

روى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى، فقلت يا رسول الله قد بلغ بى الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال، ولا يرثنى إلا ابنة أفتصدق بثلثى مالى؟

قال : لا .

قلت : فبالشطر يا رسول الله؟

قال : لا .

قلت : فبالثلث ؟

قال : الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فيما يرويه عن رب العزة يا ابن آدم جعلت لك نصيبا من مالك حين أخذت بكطّك^(١) لأظهرك وأزكيك .

وروى الطبرانى فى المعجم الكبير عن خالد بن عبيد أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ ثَلَاثَ أَمْوَالِكُمْ، زِيَادَةً فِي أَعْمَالِكُمْ)

وروى أيضا فى المعجم عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ لَيَصْنَعُ فِي ثَلَاثِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ خَيْرًا فَيُوَفَّى اللَّهُ بِذَلِكَ زَكَاتَهُ).

وقد ذهب العلماء إلى أن مال التركة إذا كان قليلا والورثة فقراء لا تستحب

الوصية بجزء من ذلك المال القليل، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد :

(إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ).

والوصية بجزء من المال لا تحل لأى واحد من الورثة لقول النبى صلى الله عليه وسلم

وسلم : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ) رواه أبو داود

والترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه .

(١) الكظ : غمرة الموت.

فإن وقعت وأجازها بقية الورثة فهي عطية منهم للموصى له .
ومن الوصايا المستحبة أن يوصى المرء من بعده بتقوى الله أو بالقيام بنوع من الطاعات أو بإبلاغ ظالمه أنه قد عفا عنه، إلى آخر ما يشبه هذه الطيبات .
وأما الوصية بالأمر الجائز فهي التي تتضمن أمرا مباحا، كأن يوصى بأن يكفن في ثوب كان يلزم لباسه في تهجده، أو بأن يغسله أو يصلى عليه شخص معين، أو أن يدفن في مكان مرجو البركة والرحمة، أو يرجو أن تذكر كلمة التوحيد سبعين ألف مرة، ويهدى له ثوبها أو نحوها من المبرات .
وأما الوصية بالمكروه فكان يوصى بتكفينه بالحرير، أو بكفن غير أبيض أو بألا يسرعوا إلى تجهيزه ودفنه، حتى يقدّم فلان من السفر إلى آخر ما يشبه هذه الأمور لأنها مخالفة للسنة .
وأما الوصية بالأمر المحرم فلا تجوز شرعا، ولا ينبغي لأحد تنفيذها، ومن بينها الوصية بقطيعة الرحم، أو بالانتقام من أبناء عدوه، أو بالنواح عليه عند موته إلى آخر ما هو محرم في الدين .
وستمر بك ألوان متعددة من الوصايا في المشاهد التالية، ولعل المرء لا يعدم الخير من اطلاعه عليها إن شاء الله .

مشهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوصى بالأنصار خيرا؛

روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :
مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يكون فقال : ما يكيكم ؟

قالوا : ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا .
فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك .
قال : فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :
(أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشى وعييتى ^(١) وقد قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَأَقْبِلُوا مِنْ مَحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ).

(١) أى هم مستودع سرى وأمانتى .

مشاهد من آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم :

روى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده فى مرضه سبعة دنائير، فكان يأمرهم بالصدقة بها، ثم يُغْمى عليه، فيشتغلون بوجعه، فدعا بها، فوضعها فى كفه وقال :

(مَا ظَنَّ مُحَمَّدٌ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَعِنْدَهُ هَذِهِ) ثم تصدق بها كلها.
وروى أبو داود عن على رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ :

(الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم).
وروى البيهقي عن أبى عبيدة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان آخر ما تكلم به أن قال :
(قَاتِلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، لَا يَبْقَيْنَ دِينَارٍ بِأَرْضِ الْعَرَبِ).

وروى البخارى أن سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقول :
يوم الخميس ، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلَّ الحصى .
قلت : يا ابن عباس ما يومُ الخميس ؟
قال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال اثنوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا - ولا ينبغى عند نبي تنازع - فقالوا : مَالَهُ أَهْجَرَ؟
استفهموه، فقال صلى الله عليه وسلم :
(دَرُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ)
فأمرهم بثلاث قال :

- أخرجوا المشركين من جزيرة العرب .
- وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم .
قال والثالثة إما أن سكنت عنها، وإما أن قالها فنسيتها .
قال سفيان : هذا هو من قول سليمان الراوى عن سعيد بن جبير . يعنى المتعلق
بالثالثة .

مشاهد من وصايا أبى بكر رضى الله عنه :

نقل الطبرى فى الرياض النضرة عن محمد بن سعد بإسناده أن جماعة من الصحابة دخلوا على أبى بكر رضى الله عنه لما عزم على استخلاف عمر، فقال له قائل منهم :

ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا، وقد ترى غلظته؟

فقال أبو بكر: أجلسوني، ثم قال :

أبالله تخوفونني؟ خَابَ مَنْ تَزَوَّدَ مِنْ أَمْرِكُمْ بِظَلَمٍ، أقول : اللهم إني أَسْتَخْلِفُ عليهم خَيْرَ أَهْلِكَ، أَبْلِغْ عَنِّي مَا قُلْتَ لَكَ مَنْ وَرَاءَكَ.

ثم اضطجع، وجاء عثمان بن عفان فقال له :

اكتب باسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب إني أَسْتَخْلِفُ بعدى عمر بن الخطاب، فاسمعوا وأطيعوا فلإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل فذلك الظن به، وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا علم لى بالغيب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ الشعراء ٢٢٧ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كما روى الطبري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط أنه قال :

لما حضرت أبا بكر الوفاة دعا عمر فقال :

اتق الله يا عمر ، واعلم أن لله عملا بالنهار، لا يقبله بالليل، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا.

وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني لأخاف ألا ألحق بهم، وإن الله ذكر أهل النار، وذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنها، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا، راهبًا، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته.

فإن أنت حفظت وصيتي فلإيك غائب أحب إليك من الموت، ولست تعجزه .

وروى أبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي بأسانيدهم إلى عائشة رضى الله عنها أنها

قالت :

لما اشتد مرض أبى بكر بكيت ، وأغمى عليه فقلت :

مَنْ لَا يَزَالُ دَمْعُهُ مَقْنَعًا فَإِنَّهُ مِنْ دَمْعِهِ مَذْفُوقٌ

وورد فى النهاية أنها قالت :

لَا بَدَّ يَوْمًا أَنَّهُ يُهْرَاقُ

من لا يزال دمه مقنعا

فأفاق أبو بكر فقال :

ليس كما قلت يا بنية، ولكن ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ سورة ق - ١٩ .

ثم قال :

أى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقلت : يوم الاثنين .

فقال : أى يوم هذا ؟

فقلت : يوم الاثنين .

قال : فإنى أرجو من الله ما بينى وبين هذا الليل .

فمات ليلة الثلاثاء .

وقال : فى كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقلت : كفناه فى ثلاثة أثواب سحولية ^(١) بيض جدد، ليس فيها قميص ولا عمامة .

فقال اغسلوا ثوبى هذا، وبه رَدْعٌ من زعفران - أى لَطَخْ لَمْ يعمه كله - واجعلوا

معه ثوبين جديدين .

فقلت : إنه خَلَقَ .

فقال : إن الحى أحوج إلى الحديد من الميت، إنما هو للمُهْلَة (أى ما يسيل من جسد

الميت)

وفى رواية للإمام أحمد فى الزهد أنه قال :

اغسلى هذين، وكفينى بهما، فإنما أبوك أحد رجلين: إما مكسو أحسن الكسو، أو

مسلوب أحسن السلب .

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٥٣)

كما روى أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال:

أى يوم هذا ؟

قالوا : يوم الاثنين .

قال : فإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغد، فإن أحب الأيام والليالى إلى أقربها

من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) منسوبة إلى سحول وهى قرية باليمن .

مشهدان من وصايا عمر رضى الله عنه :

روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن ميمون رضى الله عنه أنه حدث عن مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فجاء فى حديثه قوله : فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَدِّم فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة.

قال : وددت أن ذلك كفاف لا علىّ، ولا لىّ .

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض .

قال : ردوا علىّ الغلام، قال يا ابن أخى ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك .
يا عبد الله بن عمر انظر ما علىّ من الدين .

فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه .

قال : إن أوفى مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعدّهم إلى غيرهم، فأدعنى هذا المال .

انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل يقرأ عليك عمر السّلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه .

فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى، فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السّلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه .

فقالت: كنت أريده لنفسى ، ولأوثرته به اليوم على نفسى .

فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء .

قال : ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال : ما لديك؟

قال : الذى تحبُّ يا أمير المؤمنين أذنتُ .

قال عمر : الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحملونى، ثم سلّم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنتُ لى فأدخلونى، وإن ردّتنى ردّونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قُمنّا، فَوَلَّجَتْ عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف .

قال ما أجْدُ أحقُّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين تُوفى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف .

وقال : يَشْهَدُكُمْ عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهينة التعزية له . فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيُّكُمْ ما أمِر، فيأني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم .

وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يُعفى عن مسيئهم .

وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم، وتُردَّ على فقرائهم.

وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤفَى لهم بعهدهم، وأن يقاتلَ مِنْ ورائهم، ولا يكلّفوا إلا طاقتهم.

من (صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٠٥)

وروى ابن سعد عن يحيى بن أبى راشد النصرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنه :

يا بنى إذا حضرتنى الوفاة فأخرفنى ^(١) واجعل ركبتيك فى صلبى، وضع يدك اليمنى على جبينى، ويدك اليسرى على ذقنى، فإذا قبضت فأغمضنى، واقصدوا فى كفى، فإنه إن يكن لى عند الله خيرٌ أبدلنى خيرا منه، وإن كنت على غير ذلك سلبنى فأسرع سلبنى، واقصدوا فى حُفرتى، فإنه إن يكن لى عند الله خير وسع لى فيها مدٌّ بصرى، وإن كنت على غير ذلك ضيقها علىَّ حتى تختلف أضلاعى ، ولا تخرجن معى امرأة، ولا تُزكُونى بما ليس فىَّ، فإن الله هو أعلم بى .

وإذا خرجتم بى فأسرعوا فى المشى، فإنه إن يكن لى عند الله خير قدمتمونى إلى ما هو خير لى، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٥٥)

(١) يعنى أملنى .

مشاهد من وصايا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ذكر الطبري في الرياض النضرة أن شداد بن أوس رضي الله عنه قال :
لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدار أشرف على الدار فقال: يا عباد الله.
قال شداد: فرأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه خارجا من منزله مُعْتَمًا بعمامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه أمامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر
من المهاجرين والأنصار، حتى حملوا على الناس وفرقوهم.
ثم دخلوا على عثمان فقال له عليّ: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبيل المدبر وإنّي - والله - لا
أرى القوم إلا قاتلوك ، فمُرنا فلنقاتل.
فقال عثمان: أنشد الله رجلا رأى الله حقا، وأقر أن لى عليه حقا أن يهريق في
سبيلي ملء مخبجة من دم، أو يهريق دمه فيّ .
فأعاد عليّ عليه القول، فأجابه بمثل ما أجابه. قال شداد: فرأيت عليّا خارجا من
الباب وهو يقول : اللهم إنك تعلم أننا بذلنا المجهود.
وذكر أيضا في الرياض أن أبا سلمة بن عبد الرحمن قال :
دخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور، فاستأذناه في الحج، فأذن
لهما، فقالا له : إن غلب هؤلاء القوم فمع من نكون؟
قال : عليكم بالجماعة .
قالا: فإن كانت الجماعة هي التي تغلب عليك، فمع من نكون ؟
قال : فالجماعة حيث كانت.
فخرجنا، فاستقبلنا الحسن بن علي عند باب الدار داخلا على عثمان، فرجعنا معه
لنسمع ما يقول، فسلم على عثمان ثم قال :
يا أمير المؤمنين مرّني بما شئت .
فقال عثمان: يا ابن أخي ارجع واجلس حتى يأتي الله بأمره .
فخرج وخرجنا عنه، فاستقبلنا ابن عمر داخلا إلى عثمان، فرجعنا معه نسمع ما
يقول، فسلم على عثمان ثم قال :
يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت وأطعت ثم
صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت، ثم صحبت عمر فسمعت وأطعت، ورأيت له حق
الوالد وحق الخلافة، وها أنا طوع يديك يا أمير المؤمنين فمُرني بما شئت.

فقال عثمان : جزاكم الله يا آل عمر خيراً مرتين، لا حاجة لى فى إراقة الدم، لا حاجة لى فى إراقة الدم.

ثم دخل أبو هريرة متقلداً سيفه فقال : الآن طاب الضراب .
فقال عثمان :

عزمت عليك يا أبا هريرة لما ألقى سيفك .

كما ذكر فى الرياض أن العلاء بن الفضل روى عن أمه أنها قالت :

لما قتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً، ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوباً فيها :

(هذه وصية عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم. عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا ، وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله)

مشاهد من وصايا على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ذكر الطبرانى فى الرياض النضرة أن علياً رضى الله عنه لما ضربه ابن ملجم أوصى إلى الحسن والحسين وصية طويلة، وفى آخرها يا بنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوفاً، تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بى إلا قاتلى .

انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة، ولا تمثلوا به، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ) .

وروى البغوى عن هارون بن سعيد أن علياً رضى الله عنه كان عنده مسك أوصى أن يحنط به، وقال: فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان قبل أن يلى الخلافة مرض فأسفق عليه أبو فضالة الأنصارى، وظن أنه سيموت فى مرضه ذاك، فرد عليه على بأن موته سيكون قتلاً، روى ذلك الإمام أحمد فى المسند عن فضالة بن أبى الأنصارى، وكان أبو فضالة من أهل بدر، قال : خرجت مع أبى عائداً على بن أبى طالب رضى الله عنه من مرض أصابه ثقل منه، فقال له أبى : ما يقيمك فى منزلك هذا ؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة .

تحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك، وصلوا عليك

فقال على رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى ألا أموت حتى أوامر، ثم تخضب هذه يعنى لحيتته من دم هذه يعنى هامته، فقتل وقُتل أبو فضالة مع على يوم صفين .

وروى أحمد عن زيد بن وهب أنه قال :
قدم على على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له الجعد بن بعجة
فقال له :

اتق الله يا على فإنك ميت .

فقال على رضى الله عنه: بل مقتول، ضربة على هذه تخضب هذه - يعنى لحيته من
رأسه - عهد معهود وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن سبيع أنه قال :

خَطَبَنَا عَلَى رضى الله عنه فقال :

والذى خلق الحبة وبرأ النسمة لتُخْضَبَنَّ هذه من هذه .

قال فقال الناس : أعلمنا من هو لنبيره .

قال : أنشدكم بالله أن لا يقتل بى غير قاتلى .

قالوا : ان كنت قد علمت ذلك فاستخلف .

قال : لا، أكلكم إلى من وكلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقل الطبرى فى الرياض النضرة عن أبى حاتم أن صهيبا رضى الله عنه قال :

إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى :

ما أشقى الأولين يا على ؟

قال : الذى عقر ناقة صالح .

قال : صدقت فمن أشقى الآخرين ؟

قال : الله ورسوله أعلم .

قال : أشقى الآخرين الذى يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه .

فكان على يقول لأهله : والله لوددت أن لو انبعث أشقاها

وروى الإمام أحمد فى المسند عن ربيعة بن ناجذ أن علياً رضى الله عنه قال :

قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : (فيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَبْغَضَتْهُ

اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمتزلة التى ليس به)

ثم قال :

يَهْلِكُ فى رجُلان : رجل محب مفطر يقرظنى بما ليس فى ، ومبغض يحمله سناتى

على أن يبهتنى .

مشهد من أوصى بالاستماتة في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛

روى أبو عبد الله الحاكم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال :
بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ لَطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، وَقَالَ لِي: إِنْ رَأَيْتَهُ فَاتَّرَاهُ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ :
(يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟)

قال زيد : فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو فى آخر رمق، وبه سبعون ضربة
ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له :
يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام، ويقول لك أخبرنى
كيف تجدك؟

قال سعد : على رسول الله وعلى السلام، قل له : يا رسول الله أجدنى أجد ريح
الجنة، وقل لقومى الأنصار لا عذر لكم عند الله إن يَخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيكم شفر يطرف.
قال زيد: وفاضت نفسه رحمه الله ورضى عنه .

من (حياة الصحابة ج ١ ص ٧٧٣)

مشهد من تصدق بدمه ليصلح بين المسلمين

روى الطبرانى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه أنه قال : لما أنشأ الناس الحج سنة
تسع ، قدم عروة بن مسعود رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسلمًا، فاستأذن رسول الله أن يرجع إلى قومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: إني أخاف أن يقتلوك، فقال :

لو وجدونى نائمًا ما أيقظونى، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع
إلى قومه مسلمًا عشاء، فجاء وقد ثقيف يحيونه، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه
وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه.

وأخرج ابن سعد عن غير واحد من أهل العلم أن عروة قدم الطائف عشاء فدخل
منزله، فأتته ثقيف تسلَّم عليه بتحية الجاهلية، فأنكرها عليهم وقال:
عليكم بتحية أهل الجنة السلام.

فآذوه ونالوا منه، فحلَّم عنهم، وخرجوا من عنده فجعلوا يأترون به،
وطلع الفجر فأوفى على غرفة له، فأذَّن بالصلاة، فخرجت إليه ثقيف من
كل ناحية فرماه رجل من بنى مالك يقال له أوس بن عوف فأصاب

أكحله (١) ولم يَرَقْ دَمُهُ فقام غيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، والحكم بن عمرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا وقالوا :

نموت عن آخرنا أو نثار به عشرة من رؤساء بنى مالك.

فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال :

لا تقتلوا في، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم، فهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد أخبرني بهذا أنكم تقتلونني ثم دعا رهطه فقال :

إذا مت فادفنونى مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرمحل عنكم.

فمات فدفنوه معهم، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقتله فقال: مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه .

(من حياة الصحابة ج ١ ص ٢٩٧)

مشهد وصية لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

كان رضى الله عنه آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا. وقد أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر، فقال أخبئها لهذا ، فكفن فيها .

(من (الرياض النضرة ج ٤ ص ٣٣٣)

مشهد وصية للزبير بن العوام رضي الله عنه

نقل الطبرى فى الرياض عن البخارى أن عبد الله بن الزبير قال :

جعل الزبير يوم الجمل يوصينى بدينه، ويقول : إن عجزت عن شىء منه فاستعن عليه بمولاي ، قال : فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبت من مولاك؟

قال : الله تعالى، فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير، اقض عنه فيقضيه.

وإنما كان دينه الذى عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إياه فيقول الزبير : لا، ولكنه سلف، فإني أخشى عليه الضيعة.

قال عبد الله فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائة ألف، فقتل ولم يدع دينارا ولا درهما، إلا أرضين بعتهما، وقضيت دينه.

فقال بنو الزبير: ميراثنا. قلت : والله لا أقسم بينكم حتى أئادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة يتأدى.

(١) الأكحل عرق فى الذراع يخرج منه الدم بفزارة عند جرحه .

فلما انقضت أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف.

من (الرياض النضرة ج ٤ ص ٢٨٩)

مشاهد من وصايا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

ذكر الطبرى فى الرياض النضرة أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدا، فسئل عن بكائه، فقال : إن مصعب بن عمير كان خيرا منى، توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له ما يكفن فيه، وإن حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه كان خيرا منى، توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجد له كفنا.

وإني أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته فى حياته الدنيا.

كما نقل الطبرى عن عروة بن الزبير أنه قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار فى سبيل الله تعالى .

ونقل من كتاب أخبار المدينة أن عائشة رضى الله عنها، أرسلت إلى عبد الرحمن ابن عوف حين نزل به الموت أن هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أخوك فقال : ما كنت مضيقا عليك بيتك، إني كنت عاهدت ابن مظعون أننا مات دفن إلى جنب صاحبه. فدفن فى البقيع جوار ابن مظعون وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مشهد وصية لأبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه

روى المحب الطبرى فى (الرياض النضرة) عن سعيد بن المسيب أنه قال :

لما طعن أبو عبيدة رضى الله عنه بالأردن^(١) دعا من حضره من المسلمين وقال :

إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا واعتصموا، وتواصوا، وأنصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن أمر ألو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصر عى هذا الذى ترون، إن الله تعالى كتب الموت على بنى آدم، وهم ميتون فأكيسهم^(٢) أطوعهم لربهم، وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله، يا معاذ ابن جبل صل بالناس .

من (حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٨٩)

(١) أصابه مرض الطاعون (الوباء) .

(٢) أكيسهم : أعقلهم.

مشهد وصية لأبي موسى الأشعري رضى الله عنه

روى أبو نعيم فى (الحلية) عن الضحاك بن عبد الرحمن أنه قال :
دعا أبو موسى الأشعري رضى الله عنه فتبانه حين حضرته الوفاة فقال : اذهبوا
واحفروا وأوسعوا وأعمقوا .
فجاءوا فقالوا قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا .

فقال : والله إنها لإحدى المنزلتين : إما ليوسعنَّ علىَّ قبري ، حتى تكون كل زاوية
منه أربعين ذراعاً ، ثم ليفتحنَّ لى باب إلى الجنة فلا نظرنَّ إلى أزواجى ومنزلى ، وما أعدَّ
الله تعالى لى من الكرامة ، ثم لأكوننَّ أهدي إلى منزلى منى اليوم إلى بيتى ، ثم
ليصيننى من ريحها وروحها حتى أبعث . ولئن كانت الأخرى - ونعوذ بالله منها -
ليضيّقنَّ علىَّ قبرى حتى يكون فىَّ أضيق من القناة فى الزج .^(١)
ثم ليفتحنَّ لى باب من أبواب جهنم فلا نظرنَّ إلى سلاسل وأغلالى وقرنائى ، ثم
لأكوننَّ إلى مقعدى من جهنم أهدي منى اليوم إلى بيتى ، ثم ليصيننى من سمومها
وحميمها حتى أبعث .

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٥٨)

مشهد وصية عمرو بن العاص رضى الله عنه

روى ابن سعد عن ابن شماسه المهرى أنه قال : حضرنا عمرو بن العاص رضى الله
عنه وهو فى سياقة الموت ، فحول وجهه إلى الحائط يبكى طويلاً وابنه يقول له :
ما يبكيك ؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ أما بشرك بكذا ؟
قال وهو فى ذلك يبكى ووجهه إلى الحائط ، قال ثم أقبل بوجهه إلينا فقال :
إن أفضل مما تعدُّ علىَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولكنى قد كنت على أطباق ثلاث^(٢) .
قد رأيتنى ما من الناس من أحد أبغض إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولا أحب إلى من أن أستمكن منه فأقتله ، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من أهل
النار .

(١) القناة هى الرمح ، والزج حلقة من حديد تكون فى أسفل الرمح .

(٢) أحوال ثلاث .

ثم جعل الله الإسلام فى قلبى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبأبعه فقلت: أبسط يمينك أبأبعك يا رسول الله، قال فبسط يده ثم إنى قبضت يدى، فقال: ما لك يا عمرو؟ فقلت أردت أن أشترط، فقال: تشترط ماذا؟ فقلت: أشترط أن يغفر لى، فقال أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، فقد رأيتنى مامن الناس من أحد أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه، ولو سئلت أن أنعته ما أطق، لأنى لم أكن أطيع أن أملا عينى منه إجلالاً له، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم ولينا أشياء بعد، فلست أدرى ما أنا فيها، أو ما حالى فيها .
فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا على التراب سنا، فإذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قدر ما تنحز جزور^(١) ويقسم لحمها، فإني أستانس بكم، حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربى.

وفى رواية لمسلم، أنه رضى الله عنه بعد ما أوصى بنحو ما تقدم حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول: اللهم أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فما انتهينا، ولا يسعنا إلا عفوك.
وفى رواية أنه وضع يده على موضع الغل^(٢) من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال:

اللهم لا قوى فأنتصر، ولا برئ فأعتذر، ولا مستنكر، بل مستغفر لا إله إلا أنت، فلم يزل يرددّها حتى مات رضى الله عنه .

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٨١)

مشهد وصية عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه

روى ابن عساكر عن هارون بن رباب أن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لما حضرته الوفاة قال:

انظروا فلانا فإني كنت قلت له فى ابنتى قولاً كشبه العدة، فما أحب أن ألقى الله بثلاث النفاق، فأشهدكم أنى زوجته .

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ١١٠)

مشاهد وصايا عبادة بن الصامت رضى الله عنه

روى الإمام أحمد والترمذى عن الوليد بن عبادة أنه قال:
دخلت على عبادة رضى الله عنه وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت يا أبتاه أوصنى واجتهد لى .

(١) الجزور الناقة . (٢) طوق من حديد يوضع فى عنق الشخص المعاقب .

فقال : أجلسوني .

فلما أجلسوه قال :

يا بني إنك لم تَطْعَمَ الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم حتى تؤمن بالقدر خيره وشره

قلت : يا أبتاه، وكيف لى أن أعلم ما خير القدر وشره؟

قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).
يا بني إن مُتَّ ولست على ذلك دخلت النار .

وروى البيهقي عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت أنه قال :

لما حضرت عبادة رضى الله عنه الوفاة قال :

أخرجوا إلى موالى وخدمى وجيرانى ومن كان يدخل علىّ، فجمعوا له فقال :
إن يومى هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتى على من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة وإنى لا أدري لعله قد فرط منى إليكم بيدي أو بلسانى شىء وهو - والذى نفسى بيده -
القصاص يوم القيامة، وأُحرِّجُ على أحد منكم فى نفسه شىء من ذلك إلا اقتص منى من قبل أن تخرج نفسى .

فقالوا : بل كنت والدأ، وكنت مؤدبا.

قال : وما قال لخادم سوءا قط.

فقال : أعفوتكم ما كان من ذلك ؟

قالوا : نعم .

قال : اللهم اشهد، ثم قال : إما لا فاحفظوا وصيتى : أُحرِّجُ على إنسان منكم يبكى علىّ، فإذا خرجت نفسى فتوضأوا وأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلى، ثم يستغفر لعبادة ولنفسه، فإن الله تعالى قال : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ البقرة - ٤٥ .

وأسرعوا بى إلى حفرتى ، ولا تُتْبِعْنِى ناراً، ولا تضعوا تحتى أرجوانا. (١)

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٦٥)

(١) الأرجوان : نبات له نور أحمر.

مشهد وصية لمعاذ بن جبل رضى الله عنه

روى الإمام أحمد عن يزيد بن عميرة أنه قال :
لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له : يا أبا عبد الرحمن أوصنا.
قال: أجلسوني، فقال : إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما، وجدهما (يقول
ذلك ثلاث مرات) فالتمسوا العلم عند أربعة رهط، عند عويمر أبى الدرداء، وعند
سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذى كان يهوديا
ثم أسلم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه عاشر عشرة فى
الجنة.

مشهد وصية لأنس بن مالك رضى الله عنه

نقل ابن خلكان عن ابن عوف أن أنس بن مالك رضى الله عنه أوصى أن يغسله
ابن سيرين ويصلى عليه.
وكان ابن سيرين محبوسا، فأتوا الأمير - وهو رجل من بنى أسد - فأذن لابن
سيرين فى الخروج من السجن لإنفاذ وصية أنس، فخرج فغسله، وكفنه، وصلى عليه
فى قصر أنس بالطف، ثم رجع، فدخل كما هو إلى السجن، ولم يذهب إلى أهله.
قال ابن خلكان:

وذكر عمر بن شبة فى كتاب أخبار البصرة أن الذى غسل أنس بن مالك هو قطن
ابن مدرك الكلابى والى البصرة .

من (وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٢)

أقول : من الجائز أن يكون الرجلان، قد اشتركا فى غسل أنس رضى الله عنه
وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين وله مائة وثلاث سنين، وقد لقى فى حياته خيرا كثيرا
ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

مشهد وصية قيس بن عاصم لبنيه

روى البخارى فى (الأدب المفرد) عن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه أوصى بنيه
عند موته فقال :

اتقوا الله، وسوّدوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم، وإذا سودوا
أصغرهم أزرى ذلك فى أكفائهم.

وعليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم.
وإياكم ومسألة الناس فإنها من آخر كسب الرجل، ^(١) وإذا مت فلا تنوحوا، فإنه لم

(١) يعنى أن السؤال لا يلتجئ إليه المرء إلا إذا عجز عن الكسب.

يُنَحَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا مت فادفنوني بأرض لا يشعر بدفني
(بكر بن وائل) فإني كنت أغاولهم في الجاهلية.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٩)

مشهد وصية أبي شبل علقمة بن قيس النخعي

أوصى علقمة عند وفاته فقال :

لا تنعوني كنمي أهل الجاهلية، ولا تؤذنوا بي أحدا، وأغلقوا الباب، ولا تتبعني
امراة ولا تُتبعوني بنار.

وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله - يعني فافعلوا. توفي رحمه الله
بالكوفة سنة إحدى وستين أو اثنتين وستين وهو ابن سبعين سنة.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٧)

مشهد وصية نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة

كان نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم من القراء والفقهاء العبَّاد، ولما حضرته الوفاة
قال له أبنائه : أوصنا.

فقال رحمه الله :

(اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

وهذه آية كريمة انتزعتها من أول سورة الأنفال .

توفي بالمدينة المنورة سنة تسع وستين ومائة.

من (التعليق على ربيع الأبرار للزمخشري ج ٢ ص ٧٥٥)

مشهد من وصايا محمد بن أسلم الطوسي

روى أبو نعيم عن أبي عبد الله بن القاسم الطوسي أنه قال :

دخلت على محمد بن أسلم قبل موته بأربعة أيام بنيسابور فقال :

يا أبا عبد الله تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد من
الله عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني به الله. وقد علم الله ضعفى وأنى لا أطيق
الحساب، فلم يدع عندي شيئا يحاسبني الله عليه .

ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن لأحد عليّ حتى أموت.

واعلم أنى أخرج من الدنيا، وليس أدع ميراثا غير كتبى وكسائى ولبدي وإنائى
الذى أتوضأ منه.

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهما فقال :

هذا المال لابنى أهده إليه قريب له، ولا أعلم شيئا أحل لى منه، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ) وقال : (أَطِيبَ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنَ كَسْبِهِ، وَوَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ) فَكَفَنُونِي فِيهَا ، فَإِنْ أَصَبْتُمْ لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا لجنازتى لبدى، وغطوا على جنازتى كسائى ولا تكلفوا أحدا ليأتى جنازتى، وتصدقوا بإثائى، أعطوه مسكينا يتوضأ منه، ثم مات فى اليوم الرابع - رحمه الله.

من (الحلية ج ٩ ص ٢٤١)

مشهد من وصايا الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

روى أبو نعيم عن أبى الفضل صالح بن أحمد بن حنبل أنه قال :
أوصى وصيته وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأوصى من أطاعه من أهله وقربائه أن يعبدوا الله فى العابدین، ويحمدوه فى الحامدين، وأن ينصحوا الجماعة المسلمين.

وأوصى: أنى قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا. وأوصى: أن لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحو من خمسين دينارا وهو مصدق فيما قال ، فيُقضى ما له على من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطى ولدى صالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل كل ذكر وأنثى عشرة دراهم بعد وفاء ماعلى لابن محمد (بوران) . شهد أبو يوسف وصالح، وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل.

من (الحلية ج ٩ ص ٢١٢)

مشهد من أوصى بأن تجعل فى فمه شعرات

من شعرا الرسول صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن شاكر أن أبا الفضل جعفر بن محمد المعروف بابن خنزابة^(١) كان محدثا، روى عنه الدارقطنى عدة أحاديث، وهو بغدادى نزل مصر.

(١) خنزابة هى المرأة القصيرة الغليظة.

وكان ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم، واشترى دارا إلى جانب المسجد النبوى من أقرب الدور إلى القبر الشريف، ليس بينها وبينه إلا حائط، وأوصى بأن يدفن فيها وقرر عند الأشراف ذلك فأجابوه، فلما مات حُمِلَ تابوته من مصر إلى الحرمين، وخرج الأشراف من مكة وحملوه وسعوا به وطافوا، ووقفوا به بعرفة، ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه فى الدار التى اشتراها.

ونقل ابن شاكِر عن المستجى أن ابن خنزابة الوزير المحدث لما غُسِلَ جُعِلَ فى فيه ثلاث شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم كان ابتاعها بمال عظيم، وكانت عنده فى درج مختوم الأطراف بالمسك، وأوصى أن تُجْعَلَ فى فيه إذا مات، ففعل به ذلك - رحمه الله - وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

من (فوات الوفيات ج ١ ص ٢٩٣)

من أضواء هذا المشهد:

كيف وصل الشعر النبوى إلى بعض الناس ؟
روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر.
ثم قال للحلاق : خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس.
وفى رواية الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه أنه قال :
لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بمنى، أخذ شقَّ رأسه الأيمن بيده فلما فرغ ناولنى فقال :

يا أنس انطلق بهذا إلى أم سليم (أم أنس).
فلما رأى الناس ما خصنا به تنافسوا فى الشق الآخر، هذا يأخذ الشيء وهذا يأخذ الشيء .

قال محمد بن سيرين فحدثته عبيدة السلماني فقال : لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلى من كل بيضاء وصفراء، (فضة وذهب) على وجه الأرض وفى بطنها .
وورد فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا طلحة وزوجه أم سليم رضى الله عنهما بقسمة شعره بين الصحابة الرجال والنساء، الشعرة والشعرتين .
وأخرج الملاء فى سيرته عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ناول أبا طلحة شعره يُفرِّقه بين الناس كلمه خالد بن الوليد فى ناصيته، فدفعها إليه .

وذكر السيوطي في الخصائص الكبرى أن سعيد بن منصور وابن سعد، وأبا يعلى الموصلي، وأبا عبد الله الحاكم، والبيهقي وأبا نعيم رَوَوْا عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد رضى الله عنه فقد قلنسوته يوم اليرموك فطلبها حتى وجدها، وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلّق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسة، فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رزقت النصر .

وقال الشيخ الفاضل بن عاشور فى رسالته (كشف الذعرات) .
كان ممن شهد حلق النبى صلى الله عليه وسلم بمنى فى حجة الوداع سيدنا أبو زمعة البلوى وأخذ شعرات وضعها فى قلنسوته .
قال : وقد ذكر الشيخ الدباغ فى معالم الإيمان أن القلنسة دفنت معه ثم قال : وذكر الشيخ ابن ناجى أن فى حفظه أن الشعرات ثلاث، وأن أبا زمعة رضى الله عنه أوصى بأن توضع شعرة على عينه اليمنى، وشعرة على عينه اليسرى، وشعرة على لسانه .

وممن أوصى بدفن شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أنس بن مالك رضى الله عنه

روى ابن حجر فى الإصابة أن ثابتا البنانى قال :
قال لى أنس بن مالك رضى الله عنه : هذه شَعْرَةٌ من شَعْرِ النبى صلى الله عليه وسلم فَضَعْتُهَا تحت لسانى .
قال : فوضعتها تحت لسانه، فدفن وهى تحت لسانه .
وعلل الشيخ الفاضل رحمه الله حرص الصحابة على العناية الفائقة بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

لذلك كان الذين سعدوا بهذه الشعرات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعونها فى أعز مكان، فتحفظ فى قلانسهم التى على رؤوسهم ويحتفظون بها إلى الموت، لأنها أمان وضمان بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم لها، تلويحا وتصريحا، فقد روى ابن حجر فى الإصابة عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب الأنصارى أخذ من حية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فقال : (لَا يُصِيكُ السَّوْءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ) .

ونقل الشيخ الفاضل عن الزرقانى - من شرح المواهب - قوله : إنما قسم رسول الله

صلى الله عليه وسلم شَعْرَة بين أصحابه ليكون بركةً باقيةً بينهم وتذكرة لهم، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل، وخص أبا طلحة بالقسمة التفاتاً إلى هذا، لأنه هو الذى حفر قبره، ولحد له وبنى فيه اللبَن.

وقد أورد الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء مشهداً عجيباً لشعر الرسول صلى الله عليه وسلم نقلاً عن ابن العديم قائلاً :

إن ابن أبى طاهر العلوى كان عنده أربع عشرة شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه أن بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم، فارتحل له، وأهدى له تلك الشعرات، فأكرمه، ثم أتاها بعد أيام فعبس فى وجهه، ولم يلتفت إليه، فسأله عن السبب فقال له قيل لى : إن هذه الشعرات لا أصل لها، فسأله إحضارها، فأحضرت فطلب منه ناراً موقدة، فأتى بها، فرمى شعرات منها فى النار فلم تحترق، بل صارت أحسن مما كانت، فقبل رجله، وأنعم عليه بنعم لا تحصى، وأكرمه غاية الإكرام.

مشهد من أوصى بوضع خده على

لبنة صنعها من غبار غزواته؛

قال ابن خلكان :

كان أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان (الملقب بسيف الدولة) قد جمع من نفص الغبار الذى يجتمع عليه فى غزواته شيئاً، وعمله لبنة بقدر الكف، وأوصى أن يوضع خده عليها فى لحد.

فنفذت وصيته فى ذلك وتوفى بالموصل فى يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة - رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٠٥)

مشهد من أوصى أن ينثر غبار غزواته على كفه

قال أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى :

إن أبا عامر محمد بن أبى عامر أمير الأندلس فى دولة هشام المؤيد بالله، كان ذا همة ونية فى الجهاد، مواصلاً لغزو الروم، حتى أنه ربما يخرج إلى المصلى يوم العيد فتقع له نية فى ذلك فلا يرجع إلى قصره، ويخرج بعد انصرافه من الصلاة كما هو من فوره إلى الجهاد، فتبعبه العساكر، وتلحق به أولاً فأولاً، فلا يصل إلى أول الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر.

غزاً نيفاً وخمسين غزوة ذكرت فى (المآثر العامرية) بأوقاتها، وآثاره فيها، وفتح فتوحات كثيرة، ووصل إلى معاقل جمة امتنعت على من كان قبله.

وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة .
 وكان كلما انصرف من قتال العدو إلى سراقته يأمر بأن ينفض غبار ثيابه التي حضر
 فيها معركة القتال ، وأن يجمع ويحتفظ به .
 فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك الغبار أن ينثر على كفنه إذا وضع في
 قبره .

توفي رحمه الله في طريق الغزو في أقصى الشغور بمدينة (سالم) سنة ثلاث
 وتسعين وثلاثمائة ، وكانت مدة إمارته بضعا وعشرين سنة .
 من (جذوة المقتبس ص ٧٣)

من أضواء الشهداء السابقين:

لقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 (مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) (١)
 فمن هنا كان من بلغه هذا الحديث يحرص على عدم التوقى من ذلك الغبار، وربما
 سعى إلى التعرض له، مستبشرا بما يصيبه منه .
 ومن نفائس سلوك المتعرضين لهذا الغبار ما رواه ابن حبان عن أبي المصباح المقرائي
 من أن مالك بن عبد الله الحثعمي كان في إحدى غزوات الروم قد مر بسيدنا جابر بن
 عبد الله رضى الله عنه يقود بغلا، فقال مالك: اركب يا أبا عبد الله فقد حملك الله .
 فقال جابر : أصلح دابتي، وأستغنى عن قومي، وسمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : (مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) .
 قال أبو المصباح : فما رأيت يوما أكثر ماشيا منه (يعنى فنزل الغزاة عن دوابهم لما
 سمعوا هذا الحديث) .

مشهد من أوصى أن تدفن معه شهادة يا حدى مآثره

قال ابن خلكان :
 كان أبو دلف أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده، وكان كريما سريا، ذا وقائع
 مشهورة، وصنائع ماثورة، من ذلك أنه لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله فطعن فارسا
 فنفذت الطعنة إلى أن وصلت إلى فارس آخر وراءه رديفه على الفرس فنفذ فيه السنان
 فقتلها وفي ذلك قال ابن النطاح يمدح أبا دلف :

قالوا وَيَنْظُمُ فَارْسِينَ بَطْعَنَةً يَوْمَ الْهَيْجِ وَلَا تَرَاهُ كَلِيلًا
 لَا تَعْجَبُوا فَلَوْ أَنَّ طَوْلَ قَنَاتِهِ مِيلَ إِذْنِ نَظْمِ الْفَوَارِسِ مِيلًا

(١) رواه البخارى

ولما مرض أبو دُلف مرض موته حُجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام، فقال لحاجبه :

من الباب من المحاويع ؟

فقال عشرة من الأشراف ، وقد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدو طريقا .

فقعد أبو دُلف على فراشه واستدعاهم، فلما دخلوا عليه رحب بهم، وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم.

فقالوا ضاقت بنا الأحوال ، وسمعنا بكرمك فقصدناك. فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق، وأخرج منه عشرين كيسا، في كل كيس ألف دينار، ودفع لكل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد مؤونة طريقه، وقال لهم، لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهليكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق.

ثم قال : ليكتب لى كل واحد منكم خطه أنه فلان ابن فلان، حتى ينتهى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم ليكتب :

يا رسول الله إني وجدت إضاقة وسوء حال فى بلدى، وقصدت أبا دُلف العجلى، فأعطاني ألفى دينار كرامة لك، وطلبا لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك.

فكتب كل واحد منهم ذلك، وتسلم الأوراق وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق فى كفته، حتى يلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضها عليه .

قال ابن خلكان :

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التواريخ أن ولده دُلف بن أبى دلف قال : رأيت فى المنام أتيا أتانى، فقال لى أجب الأمير، فقممت معه، فأدخلنى داراً وحشة وعرة سوداء الحيطان مقلعة السقوف والأبواب، وأصعدنى على درج منها، ثم أدخلنى غرفة فى حيطانها أثر النيران، وفى أرضها أثر الرماد، وإذا بأبى وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه.

فقال لى كالمستفهم : دُلف ؟

قلت : دلف.

فأنشأ يقول :

مَا لَقَيْنَا فِي الْبَرْزَخِ الْخَنَاقِ
فَارْحَمُوا وَخَشَّيْنِي وَمَا قَدْ آلَقِي

أُبْلَغْنَ أَهْلَنَا وَلَا تَخَفْ عَنْهُمْ
قَدْ سَلْنَا عَنْ كُلِّ مَا قَدْ فَعَلْنَا

ثم قال : فَهَمَّتْ ؟

قلت : نعم .

ثم أنشد :

لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

فَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تَرَكْنَا
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بَعِثْنَا

ثم قال : أَفْهَمْتُ ؟

قلت : نعم وانتبهت .

كانت وفاة أبي دلف ببغداد سنة ست وعشرين ومائتين رحمه الله، وعفا عنه وعنا .
من (وفيات الأعيان ج ٤ ص ٧٣)

من أضواء هذا المشهد :

محبة آل البيت والإحسان إليهم فضيلة دعا إليها الكتاب والسنة، ولقد أحسن أبو
دلف رحمه الله في ما صنع بالأشراف الوافدين عليه .

أما طلبه أن يكتبوا له شهادة بما صنع فهو تصرف لا تدعو الحاجة إليه، فالله سبحانه
﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (١)

ويقول تعالى : ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

كما ورد في الأثر أن أعمال العباد تعرض على الله يوم الاثنين والخميس وتعرض
على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، نقل ذلك الإمام السيوطي في (شرح
الصدور) عن الحكيم الترمذي من نواذر الأصول .

وأما الوصية بدفن شيء، مكتوب مع الميت فهذا لم يرد فيه شرع،
ولم تدع إليه الحاجة، مع أن اسم الله ورسوله لم يقابلا في هذا التصرف -
لا بالتعظيم، ولا بالتكريم، إذ قد يصيبهما ما يتحلل من جسد الميت، زيادة
على أنهما قد يتوطؤهما من يمشى على القبر، فيتعرض الاسمان
الكريمان لجعلهما تحت الأقدام، وذلك مناف لما يجب لهما من تعظيم
وإجلال .

وأما رؤيا ولد أبي دلف لأبيه في حالة غير مرضية، فهي - والله أعلم - إشارة إلى

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٥ .

(١) سورة طه الآية ٧ .

أنه فى حاجة أكيدة إلى ما ينفعه بعد الموت، من صدقة بمال طيب أو دعوة من ولد صالح.

ولقد أراد الله بأبى دلف خيرا حين كاشف ولده بأمره، ليبادر إلى مساعدته على الخروج من تلك الحالة التى هو فيها، وقد قال صلى الله عليه وسلم : **مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**) رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه.

وإذا كانت المساعدة مما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بين الإخوان فكيف الأمر إذا كانت من الأبناء إلى الآباء .

وحاجة أبى دلف إلى المساعدة واضحة جدا فيما ورد من قوله : (أبلغوا قومنا... ما لقينا) وقوله : (فارحموا وحشتى، وما قد آلتى)
إن الأمر بعد هذه الحياة لجد عظيم .

نسأل الله السلامة والعافية، ورحم الله أبا دلف وغفر لنا وله.

مشهد من أوصى أن يكفن فى ثياب كان يتعبد فيها

كان القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق من سادات التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة^(١) وذكر محمد بن إسحاق أن رجلا جاء إلى القاسم بن محمد فقال له : أنت أعلم أم سالم ؟ (يريد سالم بن عبد الله بن عمر)
فقال القاسم : ذاك مبارك سالم .

قال ابن إسحاق : كره أن يقول : هو أعلم منى فيكذب، أو يقول : أنا أعلم منه فيزكى نفسه .

قال ابن إسحاق : وكان القاسم أعلمهما.

وأوصى عند وفاته فقال :

كفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها قميصى وإزارى، وردائى.

(١) فقهاء المدينة السبعة هم :

- ١ - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
- ٢ - عروة بن الزبير بن العوام .
- ٣ - قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق .
- ٤ - سعيد بن المسيب .
- ٥ - أبو بكر بن عبيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .
- ٦ - سليمان بن يسار .
- ٧ - خارجة بن زيد بن ثابت .

وقد نظم أسماء هؤلاء الفقهاء السبعة من قال :

إذا قيل من فى العلم سبعة أبحر رواياتهم ليست عن الحق خارجه

فقل : هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فقال ابنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين ؟

فقال : هكذا كُفِّن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحي أحوج إلى الجديد من الميت.
توفى القاسم بقديد سنة إحدى أو اثنتين ومائة رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٩)

مشهد من أوصت أن تكفن في ثياب التهجد

قال ابن مرحوم العطار :

حدثني عبدة بنت أبي شوال - وكانت من خيار إماء الله - وكانت تخدم رابعة العدوية، فقالت :

كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجمة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك وهي فرجة :
يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم لا تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت.

فلما حضرته الوفاة دعني فقالت :

يا عبدة لا تؤذني أحدا بموتي وكفني في جبتي هذه، وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت عبده فكفناها في تلك الجبة، وخمار صوف كانت تلبسه، ورأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي، عليها حلة من استبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه.

فقلت : يا رابعة ما فعلت الجبة التي كفناك فيها، والخمار الصوف؟

قالت : إنه والله نزع عني، وأبدلت به هذا الذي ترينه علي، وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين، ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت : فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟

فقالت : وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه ؟

قالت : فقلت : فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟

فقالت : هيهات، هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى.

قلت : وبم قد كنت عند الناس؟ (تعني كنت أكثر منها اجتهدا).

قالت : إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا أو أمست

فقلت : فما فعل أبو مالك؟ (تعني ضيغما).

قالت : يزور الله متى شاء .

قلت : فما فعل بشر بن منصور ؟

قالت : بَخَّ بَخَّ ، أعطى - والله فوق ما كان يأمل .

قلت : فَمَرَّيْنِي بِأَمْرٍ أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قالت : عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ ، أَوْشَكَ أَنْ تَغْتَبِطَ بِذَلِكَ فِي قَبْرِكَ .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٩)

مشهد من أوصى بذكر كلمة التوحيد سبعين ألف مرة

قال فى نفح الطيب :

ومن فوائد أبى عبد الله القرشى أنه قال : سمعت الشيخ أبا إسحاق بن طريف

يقول :

لما حضرت الشيخ أبا حسن بن غالب الوفاة قال لأصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين

ألف مرة ، واجعلوا ثوابها لى ، فإنه بلغنى أنها فداء كل مؤمن من النار .

قال : فعملناها ، واجتمعنا عليها ، وجعلنا ثوابها له .

من (جامع الكرامات ج ١ ص ١١٦)

من أضواء هذا المشهد :

لا شك أن كلمة التوحيد هى أفضل أنواع الذكر ، فقد نقل السيوطى فى الجامع

الصغير - عن الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وابن حبان والحاكم أنهم رَوَوْا عن جابر

رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أفضل الذكر لا إله إلا الله)

كما روى مالك - فى الموطأ - عن طلحة بن عبيدٍ مرسلًا أن النبى صلى الله عليه

وسلم قال :

(أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله

وحده لا شريك له) .

والإكثار من ذكر كلمة التوحيد مطلوب من كل مؤمن ، فقد روى أبو يعلى بسند

جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أَكْثَرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا) .

وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الإكثار من ذكر كلمة التوحيد سبيل إلى

تجديد الإيمان وتزكيتة ، فقد روى الإمام أحمد فى المسند بسند حسن عن أبى هريرة

رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ).

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا ؟

قَالَ : (أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

أما ذكرها بعدد معين فقد ورد الترغيب فيه بعشر مرات، وورد بمائة مرة.

فالعشر وردت في رواية البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرًا ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ).

والمائة وردت في رواية البخاري ومسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهي

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيتُ

عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حَرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسِّيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ

بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدَ عَمَلٍ عَمَلًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ).

وأما ذكرها سبعين ألف مرة فلم يرد به حديث صحيح، ولا حسن ولا ضعيف. فقد

نقل الشيخ أبو عبد الله الكتاني المغربي في (شفاء الأسقام والآلام، بما يكفر ما تقدم

وما تأخر من الذنوب والآثام) نقل عن الشيخ نجم الدين الغوطي أنه قال :

وقفت على صورة سؤال وجه للحافظ ابن حجر رحمه الله عن صحة ما يروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفًا اشْتَرَى نَفْسَهُ

مِنَ اللَّهِ) فقال الحافظ ابن حجر هو حديث باطل موضوع، لا تحل روايته إلا مقرونا

ببيان حاله.

هذا من حيث صحة الحديث المتضمن لذكرها سبعين ألفا.

ومع هذا فإن كثيراً من الناس ما يزالون يذكرونها بهذا العدد، ويهدون ثوابها

للأموات متذرعين بسببين:

الأول : هو أنهم يفعلون ذلك تبركا بما لكلمة التوحيد من عظمة وإشراق.

والثاني : هو أن جماعة كثيرة من الأحياء كوشفوا في رؤى منامية بآثار حميدة من

علامات الرحمة بادية على من أهدى لهم ثوابها من الأموات، بعد أن كانوا رأوهم في

أحوال غير مريحة.

وقد نقل الشيخ الكتانى رحمه الله فى (شفاء الأسقام) أيضا عن ابن ثابت أنه قال: استحَب الأئمة هذا العدد - الذى هو سبعون ألفا - من التهليل، وحضوا عليه، قالوا وكذلك إذا أراد المرء أن يفدى أحداً من النار من والديه وإخوانه فليهلل هذا العدد، ويهديه له، كما استحَبوا إذا مات أحد من الإخوان أن يجتمع إخوانه، فيهللون لها ويهدون ثوابها إليه.

ونقل أيضا فى (شفاء الأسقام) أنه ينبغي الجمع بين لا إله إلا الله وبين محمد رسول الله عدد السبعين ألفاً، وأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين عند الشروع فى الذكر، وليكن ذلك العدد فى ليلة الجمعة أو الاثنين، فإن لم يتيسر ذلك فى تلك الليلة فليكن فى يوم آخر أو يومين أو شهر أو أكثر حسبما يتيسر، ثم قال: والاستعجال أحسن .

مشهد من أوصى بها فى الكتاب والسنة

كان محمد بن عمر الملقب بالمعلم من آل باعلوى قد جمع جميع الأصحاب فى ليلة وفاته.

وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة الإخلاص، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها - رحمه الله . وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ١٥٦)

مشهد من أوصى بالاستعداد للموت

قال عبد العزيز بن أبى رَوَّاد :

دخلت على المغيرة بن حَكِيم فى مرضه الذى مات فيه، فقلت له : أوصنى . فقال : اعمل لهذا المضجع .

من (الحلية ج ٨ ص ١٩٤)

مشهد من أوصى بثلاثة أمور

قال ابن الجوزى :

لَمَّا اخْتُصِرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَوْصِنَا .

فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثَ :

١ - بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

٢ - وبمراقبته في الخلوة .

٣ - وأحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وكأني ما رأيت الدنيا.

ثم قال لبعض أصحابه :

انظر هل ترى جيبني يغرّق؟

قال : نعم .

فقال : الحمد لله ، هذه علامة المؤمنين .

قال ابن الجوزي يريد بذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن يموت

بغرق الجبين) .

ثم بسط يديه عند الموت وقال :

هَآ قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا بِالْفَضْلِ لَا بِشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦٢)

مشهد من أوصى يا غراق تأليفه

إذا لم يكن يكشف بقبولها

قال ابن خلكان :

إن أبا الحسن عليّ بن محمد الماوردي لم يظهر شيئا من تصانيفه في حياته وإنما

جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه :

الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نية

خالصة لله تعالى لم يشبها كدر، فإن عاينت الموت ووقعت في النزاع فاجعل يدك في

يدى، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب

وألقيها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدى ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت ، وأنى

قد ظفرت بما كنت أرجو من النية الخالصة .

قال ذلك الشخص :

فلما قارب الموت وضعت يدى في يده، فبسطها ولم يقبض على يدى، فعلمت أنها

علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده.

توفي يوم الثلاثاء آخر شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ودفن من الغد في

مقبرة باب حرب عن ست وثمانين سنة - رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٢)

مشهد من أوصى أبناءه بعدم التفرق

قال ابن خلكان :

إِنَّ أبا سعيد المهلبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوفاةُ جَمَعَ مِنْ حَضَرِهِ مِنْ بَنِيهِ، وَدَعَا بِسَهَامٍ فَحَزَمَتْ، ثُمَّ قَالَ :

أَتَرَوْنَكُمْ كَأْسَرِيهَا مَجْتَمِعَةً؟

قالوا : لا .

قال : أَتَرَوْنَكُمْ كَأْسَرِيهَا مَفْرَقَةً؟

قالوا : نعم .

قال : هكذا الجماعة .

ثم مات، ونقل ابن خلكان من تاريخ الطبرى أن وفاة المهلب كانت سنة اثنتين وثمانين . رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٥٤)

مشهد من أوصى بإخراج ما نواه من الصدقة

قال عبد الملك العوانى الحسينى : إن والده عبد الله بن سالم تصدق فى عام بألف دينار على الفقراء من أهل السمر، يعطى الأضعف فالأضعف، حتى نفذ جميع الألف، وقال : هذه اشتريت بها نفسى من الله .

ثم تصدق بألف دينار ثانية .

قال ابنه عبد الملك : لم أعلم بذلك إلا فى مرضه الذى مات فيه، قال لى : يا ولدى كنت أخرجت من مالى ألف دينار برسم الصدقة فى حال الصحة، وبقي منها مائتا دينار فى صندوقى، فإن أنا متُ أخرجها على من حظك (يعنى من نصيبك فى الميراث) .

فقلت له : لو أخرجت عوضها طعاما عن كفارة إيمان كان أصوب .

فقال : ما أعلم أن على يميننا أكفرها .

قال عبد الملك :

فأخرجتها عنه بعد وفاته - رحمه الله .

مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

من (معالم الإيمان ج ٤ ص ٣)

مشهد من أوصى ألا يجهز بما يبعث به الأمير

قال عمران ابن القاضى أحمد بن أبى محرز :

لما احتضر أبى قال لى :

إنى أظن هذا الملك - يعنى زيادة الله - إذا أنا مت يبعث إلى بكفن وحنوط، ويصلى علىّ، فإذا أنا مت فاستر موتى، وغسلنى وكفننى، وحنطنى، وصلّ علىّ أنت ومن حضرك من أهل خاصتنا، ثم أظهر موتى، وأخرجنى إلى قبرى . ثم مات رحمه الله، وفعل عمران ما أمره، فلما أخرجه وصار على باب داره وافاهم خلف الخادم من عند الأمير زيادة الله ومعه اثنا عشر ثوبا، وبرمة فيها مسك فقال :

يا عمران ما هذا الذى صنعت؟

فقال له : ما كان عندنا علم من هذا الذى صنعتم .

قال : فلا بد أن تدخلوا هذه الثياب فى كفنه .

فقال عمران : ليس إلى هذا سبيل، ولا يصلح هذا .

فأخذ خلف الخادم تلك البرمة وفرغها على كفن القاضى حتى أتى على آخرها ومضوا به .

فلقيهم الأمير زيادة الله عند المصلى، فنزل وصلى عليه، وحضر دفنه وعزى عمران ولده .

ثم قال : يا أهل القيروان: ما لكم عند الله من خير، ولو أراد بكم خيرا لم يزل أحمد فيكم وبين أظهركم ، وإنما استكفيناه أموركم تسعة أشهر .

توفى - رحمه الله - فى جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين ومائتين .

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٠٠)

مشهد من أوصى أن يصلى على شخص بعينه

قال أبو نعيم:

انطلق الحسن البصرى وإياس إلى أبى نضرة يعودانه، فقال له أبو نضرة:

ادن منى يا أبا سعيد.

فدنا منه الحسن، فوضع أبو نضرة يده على عنق الحسن، وقبل خده.

فقال الحسن: يا أبا نضرة إنك والله لولا هول المطلع لسر رجالا من إخوانك أن

يكونوا فارقوا ما هاهنا.

فقالوا : يا أبا سعيد اقرأ سورة، وادع بدعوات.

فقرأ قل هو الله أحد، والمعوذتين، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال : اللهم مس أخانا الضر وأنت أرحم الراحمين .
 • فبكى أبو نضرة، وبكى الحسن، فبكى أهل البيت رحمة لأخيهم .
 قال إياس : فما رأيت الحسن بكى بكاء أشد منه، وقال أبو نضرة :
 يا أبا سعيد، كن أنت الذى يصلى على .

من (الحلية ج ٣ ص ٩٨)

مشهد من أوصى بتقريع عدوه

قال أبو الحسن النباهى :
 لما احتضر يحيى بن معمر، وهو ببلد إشبيلية وأيقن بالموت قال لمولى له على ما حكاه الزاهد بن سعيد :
 أقسمت عليك إذا أنا مت إلا ما ذهبت إلى قرطبة فقف بيحيى بن يحيى وقل له :
 يقول لك ابن معمر : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ - الشعراء - ٢٢٧
 ففعل ذلك مولاه لما مات سيده، وبلغ يحيى ما تقرّعه به، قال فبكى يحيى وقال :
 ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ما أظن الرجل إلا أنا خدعنا فيه، ثم ترحم عليه واستغفر له .
 وكان بين ابن معمر ويحيى بن يحيى عداوة، فسعى فى عزله عند الأمير عبد الرحمن، وأقام عليه الشهادة بما زعمه الشهود فعزله .

من (المرقبة العليا ص ٤٥)

وروى نفس القصة أبو عبد الله الخشنى فى (قضاة قرطبة وعلماء أفريقية) بصفحة ٧٨ بزيادة (فبكى يحيى حتى أخضل لحيته، ثم قال : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ... الخ)
مشهد من أوصى ولده بمباشرة أمور السلطنة

كان السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى رجل الملوك السلجوقية وفحلهم، وله سيرة حسنة، وبر وافر، حارب الملاحدة واستقل بالملك بعد أخيه بركياروق .
 ولما أنس من نفسه - فى مرضه الذى مات فيه - أحضر ولده محموداً وقبله وبكى، وأمره أن يجلس على تخت السلطنة، وينظر فى أمور الناس .
 فقال محمود لوالده :

إنه يوم غير مبارك، يعنى من جهة النجوم .
 فقال له : صدقت، ولكن على أبيك، وأما عليك فمبارك بالسلطنة .
 ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر والأموال والدواب،

مات - رحمه الله - سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمدينة أصبهان ، ودفن بها في مدرسة عظيمة للحنفية.

- من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٦٢)

مشهد ملك أوصى وصية جامعة

ذكر صاحب (الاستقصاء) أن السلطان سليمان بن محمد سلطان المغرب الأقصى لما أثقله المرض أعاد العهد للمولى عبد الرحمن بن هشام وبعث به إلى فاس - إذ كان الخليفة بها كما مر - فدعا - رحمه الله - بصحيفة بيضاء ، ودعا بالطابع الكبير ، فجئ به ، ولم يحضره إلا أهله من النساء ، فطبع الصحيفة بيده ، وكتب بعض الكتاب ، وأكملته بعض حظاياه ممن كانت تحسن الكتابة ، ثم طواه ، وختم عليه ، ودعا القائد الجليلي الرحمانى الجويوى ، وكان قائد المشور ، وقال له : ادع لى فارسين يذهبان بهذا الكتاب إلى فاس ، وقد عينت لهما سخرة كبيرة يقبضانها هناك إذا أسرعا السير . فكان ذلك الكتاب هو الذى قرئ بفاس ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، أخوانا الودايا ، ورماة فاس وأعيانها ورؤساءها ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى ابن عمنا الفقيه القاضى مولاي أحمد والفقيهين ابن إبراهيم والأزمنى .

وبعد فقد وجدت من نفسى ما ليس بتارك أحداً فى الدنيا ، وهذه وصية أقدمها بين يدى أجلي ، والله ما بقى فى قلبى مثقال ذرة على أحد من خلق الله ، لأن ذلك أمر قد قدره الله وسبق علمه به ، ولست فيه بأوحد ، وما وقع لمن قبلى أشنع وأفظع ، وإنى قد عقدت بين أخوالى وأهل فاس أخوة بحول الله لا تنفصم يرثها الأبناء على الآباء وأوصى الجميع بما أوصى الله به الأولين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ وَسَنَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ) ولن تزال هذه الأمة بخير ما أخذوا بكتاب الله ، وقد عهدت لابن أخى مولاي عبد الرحمن بن هشام ، ورجوت الله أن يكون لى فى هذا الأمر مثل ما لسليمان بن عبد الملك فى عهده لعمر بن عبد العزيز ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ (مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وقد انعقد الإجماع على عقد البيعة بالعهد ، والقاضى والفقيهان يبينون لكم هذا ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وإنى أشهد الله أنى مقر بالسمع

والطاعة لعبد الله عبد الرحمن بن هشام وببيعته ألقاه، وقد أدبت لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على من النصيحة، وأرجو الله أن يثيبنى بهذه النية الصحيحة، وهو المطلع على ما فى الضمائر، والعالم بالسرائر والسلام، فى رابع ربيع النبوى عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف.

ثم توفى - رحمه الله - فى الثالث عشر من ربيع الأول من العام المذكور.
من (الاستقصاء ج ٨ ص ١٦٥)

مشهد من أوصى بوصية مختصرة

قال الجنيد :

دخلت على خالى سرى السقطى وهو فى النزح، فجلست عند رأسه، ووضعت خدى على خده، فدمعت عيناي، فوقع دمعى على خده، ففتحت عينيه وقال لى :

مَن أنت؟

قلت خادمك الجنيد.

فقال : مرحبا.

فقلت : أوصنى بوصية أنتفع بها بعدك.

قال : إياك ومصاحبة الأشرار، وأن تنقطع إلى الله بمصاحبة الأخيار.

من (طبقات الأولياء لابن الملحق ص ١٦٤)

مشهد أب يحرم ولده من ماله.....!

قال الوزير عون الدين بن هبيرة : كان بينى وبين شيخ ظاهر الصلاح فى بغداد صداقة، فلما حضرته الوفاة دفع إلى ثلاثمائة دينار وقال جهزنى بها، وادفنى بمقبرة معروف، وتصدق بما يبقى على من تعرف أنه مستحق.

فلما مات دفنته ورجعت، فلما صرت فى أثناء الجسر صدمنى فرس، فسقط المنديل من يدى فى دجلة، وفيه الدنانير فضربت يدى بالأخرى، وصحت لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لى رجل : ما قصتك؟ فشرحت له حالى، فألقى ثيابه ورمى نفسه حيث وقع المنديل فغاص، وما خرج إلا والمنديل فى فمه فسلمه إلى، فدفعت إليه خمسة دنانير، فكاد يطير فرحاً، وحلف أنه أصبح ما يملك قوتا، وأخذ يشكو أباه ويلعنه....! فأبكرت ذلك عليه، ونهيته عن لعن والده، فقال: قد منعنى عن ماله مع علمه بفقرى، وهجرنى إلى أن مات فى يومه هذا، ولم يعلمنى بمرضه، وكان له مال صالح، فقلت له :ومن أبوك؟ فقال: هو فلان بن فلان، وسمى الشيخ الذى رجعت من دفنه،

فتعجبت من أمره، وطلبت منه الشهود على ذلك، فشهد جماعة كثيرة بأنه ولده، فدفعت إليه الدنانير، وقلت له : هـى لك .

من (الكشكول ج ٣ ص ١٦٩)

مشهد من أوصى بوصية من أروع الوصايا

كان الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى التيمى البكرى قد أوصى برسالة أملاها على تلميذه ومصاحبه إبراهيم بن أبى بكر الأصبهاني جاء فيها :
وأقول : دينى متابعة سيد المرسلين، وقائد الأولين والآخرين إلى حظائر قدس رب العالمين، وكتابى هو القرآن العظيم وتعويلى فى طلب الدين عليهما.

إِلهُمَّ يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ، وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، وَيَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ، وَيَا رَاحِمَ الْعَبْرَاتِ، وَيَا قَيَّامَ الْمَحْدَثَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ، أَنَا كُنْتُ حَسَنَ الظَّنِّ بِكَ، عَظِيمَ الرَّجَاءِ فِي رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ قُلْتَ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي خَيْرًا، وَأَنْتَ قُلْتَ أَمَنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَا، وَأَنْتَ قُلْتَ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، فَهَبْ أُنِّي مَا جِئْتُ بِشَيْءٍ فَأَنْتَ الْغَنَى الْكَرِيمُ، وَأَنَا الْمَحْتَاجُ اللَّئِيمُ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي أَحَدٌ سِوَاكَ، وَلَا أَحَدٌ كَرِيمٌ سِوَاكَ، وَلَا أَحَدٌ مُحْسِنٌ سِوَاكَ، وَأَنَا مُعْتَرِفٌ بِالزَّلَّةِ وَالْقُصُورِ، وَالْعَيْبِ وَالْفَتُورِ، فَلَا تَخَيِّبْ رَجَائِي، وَلَا تَرُدِّ دَعَائِي، وَاجْعَلْنِي آمِنًا مِنْ عَذَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ، وَسَهِّلْ عَلَيَّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَخَفِّضْ عَنِّي نَزُولَ الْمَوْتِ، وَلَا تَضَيِّقْ عَلَيَّ سَبَبَ الْأَلَامِ وَالْأَسْقَامِ فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ثم قال فى آخرها:

واحملونى إلى الجبل المصائب لقرية (مزداخان) وادفنونى هناك، وإذا وضعتونى فى اللحد فاقرأوا علىّ ما تقدرون عليه من آيات القرآن العظيم، ثم ردوا على التراب بالمساحى، وبعد إتمام ذلك قولوا مبتهلين إلى الله مستقبلين القبلة على هيئة المساكين المحتاجين يا كريمُ يا كريمُ، يا عالماً محل هذا الفقير المحتاج أحسن إليه، واعطف عليه، فأنت أكرم الأكرمين، وأنت أرحم الراحمين، وأنت الفعال به، وبغيره ما تشاء، فافعل به ما أنت أهله، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

توفى رحمه الله بهراة فى دار السلطنة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة .

قال محمد بن نصر بن حنين كنت بخراسان فى مجلس الفخر الرازى إذا أقبلت

حمامة يتبعها جراح، فسقطت في حجر الرازي وعاذت به وهو على منبره، فقامت وأنشدت بديها:

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا	في كل منغبة وثلج خاشف
والعاصمين إذا النفوس تطايرت	بين الصوآرم والوشيج الرأف
من نبه الورقاء أن محلكم	حرم وأنتك ملجأ للخائف؟
وافيت إليك وقد تدانى حنفها	فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو أنها مخبى بمال لأنثنت	من راحتك بنائل مضاعف
جاءت سليمان الزمان حمامة	والموت يلمع من جناحي خاطف

من (الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٥٠، ٢٥٢)

مشهد من حذر من مخالفة وصيته

قال ابن خلكان :

لما اشتد المرض بأبي الصلت الأندلسي الأديب الحكيم أوصى ولده عبد العزيز ثم

قال له :

عبد العزيز خليفتي	رب السماء عليك بعدى
أنا قد عهدت إليك ما	تدريه فأحفظ فيه عهدي
فإذا عملت به فإنك لا تزال حليف رشد	
ولئن نكثت لقد ضللت	وقد نصحتك حسب جهدي

مات - رحمه الله - بالمهدية، ودفن بالمنستير مستهل سنة تسع وعشرين

وخمسائة.

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٦)

مشاهد من ختمت أعمارهم بإحدى الطاعات

ما من إنسان يموت إلا وتتم وفاته على حال خاصة، فإما أن تكون حالا حسنة وإما

أن تكون حالا سيئة .

وقد يموت على حال من أحسن الأحوال أو على حال من أسوأ الأحوال .

وأيا ما تكن الحال التي يموت عليها الإنسان فإنها أمارة على ما تهيأ له بعد الموت

على ما سبق في علم الله سبحانه ، ويدل على هذه الحقيقة ما رواه مسلم في صحيحه

عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

وما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما من أن رجلا مات وهو محرم، فقال صلى الله عليه وسلم :

(اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تحمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا).

وما رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو فقال :

(إن قُتِلَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعِثْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَإِنْ قُتِلَ مَرَأِيًا مَكَاثِرًا بَعِثْتَ مَرَأِيًا مَكَاثِرًا، عَلَى أَىِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللَّهُ بِتِلْكَ الْحَالِ).

وما رواه الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ)

كما روى أحمد عن حذيفة رضى الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وما رواه أبو نعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ وَافَقَ مَوْتَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ رَمَضَانَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ وَافَقَ مَوْتَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ عَرَفَةَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ وَافَقَ مَوْتَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ صَدَقَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وما رواه أبو نعيم عن خيثمة رضى الله عنه أنه قال : كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمل، إما حج وإما عمرة، وإما غزوة وإما صيام رمضان .

إن من الناس من يكونون من المسرفين على أنفسهم فى حياتهم، وفى أخرياتهم يوفقههم الله بفضله، فيلهمهم التوبة قبل وفاتهم، فيجتنبون المخالفات ويلزمون الطاعات، أو يصابون ببعض المكارِه ليكفر الله بها عنهم سيئاتهم، ولا يموتون إلا على أحسن الأحوال .

ولقد أخبر صلى الله عليه وسلم بإفاضة فضل الله على هذا الصنف من الناس فقال فيما رواه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه :

(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ .

قيل : كيف يستعمله يا رسول الله ؟

فقال : يوفقه لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ .

كما روى الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال :

(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ .

قالوا : وما طهور العبد ؟

قال : (عَمَلَ صَالِحٍ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ ، حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ) .

والناس فى ختم أعمارهم بالصالحات صنفان :

صنف يأتيه الموت وهو متلبس بإحدى الطاعات من غير قصد منه لتلقى الموت على

تلك الحال .

وصنف يرجو الله أن يختم له حياته حالما يكون قائما بطاعة معينة ، أو عند إتمامه

لها ، رجاء منه أن يبعث يوم القيامة على تلك الحال ، وأن يلقي ربه عليها ، وقد حقق الله

بفضله هذا الرجاء لكثير من عباده ، فإنه سبحانه قال «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» الشورى ٢٦

وإليك بعض المشاهد من هذين الصنفين :

الصنف الأول :

مشهد من ختم الله عمره عقب الوضوء للصلاة

سأل جعفر بن نصير خادما للشيخ أبى بكر الشبلى قائلا :

ما الذى رأيت منه (يعنى عند موته) فقال :

قال لى : علىّ درهم مظلمة ، قد تصدقت عن صاحبه بألوف ، وما على قلبى شغل

أعظم منه ، ثم قال : وَصَّيْنِى للصلاة ، ففعلت ، فنسيت تخليل لحيته ، وقد أمسك لسانه

(يعنى عجز عن النطق) فقبض على يدى ، وأدخلها فى لحيته ثم مات .

فبكى جعفر وقال :

ما تقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة .

من (نشر المحاسن للياضى ج ٢ ص ٢٩٢)

مشهد من ختم الله عمره عقب صلاة

قال سفيان بن عيينة :

ألى صفوان بن سليم ألا يضع جنبه على الأرض حتى يلقي الله عز وجل . فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته : يا أبت أنت في هذه الحالة لو ألقيت نفسك؟ قال : يا بنية إذن ما وقّيت له (يعنى ما وقّى لله بما حلف) .

وقال ابن أبي حازم :

دخلت أنا وأبى نسل عنه وهو فى مصلاه، فما زال به أبى حتى رده إلى فراشه، فأخبرتنى مولاته قائلة : إنه ساعة خرجتم مات - رحمه الله .

من (الحلية ج ٣ ص ١٥٩)

مشهد من ختم الله عمره فى الصلاة

قال المالكي فى رياض النفوس :

كان أبو عقّال بن غلبون قد جرد أذياه فى الصبّا، وأطال من عنانه فى الهوى، منهمكا فى البطالة، صاحب لهو وصبوة، مع مروءة وفتوة، إلى أن تناهت حدود القضاء فشمر وارعوى، وأثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح على ما سلف من أيامه، وعلى ما قارف من آثامه، صائما نهاره، قائما ليله، حتى كان يضرب به المثل فى العبادة....

ثم رحل من القيروان إلى مكة .

قال أبو بكر بن سعدون :

رأيت أبا عقّال على جبل الرحمة يوم عرفة جاثيا بين يدي الله عز وجل على ركبتيه، باسطا ذراعيه ، شاخصا ببصره، ودموعه تُسكب سكبا، فقلت له : إنه ليوم عظيم، ألا تدعو؟

فقال لى : يا ابن سعدون هو يعرف حاجتى، وفى أى شىء جئت .

وقال أبو القاسم الجوهري : حدثنا أبو على الواسطى قال :

لقيت أبا إسحاق المقرئ بطرسوس، قال : لقيت أبا عقّال بمسجد الخيف من منى، وعليه خيشتان مؤتزرا بواحدة، ومرتديا بالأخرى، فقلت له : حدثنى بأشد شىء مر عليك فى الحجاز، وحوله جماعة يكتبون كلامه، فقال لى :

كان معى سبعون صاحب ركوة (وعاء للماء من جلد) فوق القحط، فماتوا وبقي منهم ستة أثر الضيم فيهم ، وبقينا لىالى لم نطعم، فوقع فى سرى أن آتى الركن ،

فالتزمته فلعللى أن أموت على ذلك، فعلقته حبوا من الجوع، فطراً على قلبى أبيات
فرجعت إلى نفسى وهى :

عَقَدْتُ عَلَيْكَ مَكْمَنَاتٍ خَوَّاطِرِي	عَقَدَ الرَّجَاءَ فَالزَّمْتُكَ حَقُوقًا
إِنَّ الزَّمَانَ عَدَا عَلَى فَزَادَنِي	عَلِمًا بِأَنَّكَ سَيِّدِي تَحْقِيقًا
مَا نَالَنِي ضُرٌّ بِوَجْهِ مَسَاءَةٍ	إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ إِلَيْكَ طَرِيقًا
حَسْبِي بِأَنَّكَ عَالَمٌ بِمَصَالِحِي	إِذْ كُنْتُ مَأْمُونًا عَلَى شَفِيقًا
أَمْضُ الْقَضَاءَ عَلَى الرِّضَا مِنْ بِي	إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْبَلَاءِ رَفِيقًا

فرجعت إلى نفسى واستندت إلى زمزم، فما استويت جالسا حتى أتى إلى أسود
على رأسه مكنل فيه خبز ولحم مشوى وصرة دراهم، فقال لى :

أنت ابن غلبون؟

فقلت له : نعم .

فوضعه بين يدى ومضى، فأومأت إلى أصحابى فكنت فيه كأحدهم.

وقيل : إن أخت أبى عقال كتبت إليه من القيروان كتبا كثيرة ترغب إليه فى الرجوع
إلى المغرب لتجتمع به وتسرى برؤيته قبل أن يفرق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه
منها ألقاه من يديه ولم يقرأه.

فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت : بحق الثدى الذى رضعته
معك إلا أريتنى وجهك قبل الموت وفراق الدنيا. مالك فى حين صباك وجناياتك،
وكثرة ما يطرأ علينا بسببك كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك وتبرك برؤيتك
فارقتنا؟

فقال لرسولها: قل لها ما كنت لأدع بلدا عرفت الله عز وجل فيه، وأمضى إلى بلد
عصيت الله فيه، أخشى أن تقتضينى العوائد.

ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك، وأقامت معه بمكة حتى ماتت.

كانت وفاة أبى عقال - رحمه الله - فى شهر رمضان، وذلك أنه لما صلى ترويقة
أو اثنتين فسجد الناس، وسجد، ثم قام الناس وبقي أبو عقال ساجدا بحاله، فظن من
وراءه أنه نام فى سجوده. فلما انقضت الترويقة التى كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو
قد مات.

فصعد رجل على الحجر فقال :

أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أراد أن ينشر لأبى عقال فى أرضه اليوم علما.

ملخص من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٢٧)

مشهد من ختم الله عمره بعد أن أدى الصلاة

قال أبو نصر عبد الوهاب السبكي :

كان أبو عبد الله محمد بن أحمد التركمانى الذهبى محدث العصر قد رآه الوالد - رحمه الله - قبل المغرب وهو فى السياق، وقال له : كيف تجدك؟

فقال : فى السياق، ثم سأل - رحمه الله - والدى فقال:

أَدْخَلَ وَقْتُ الْمَغْرَبِ؟

فقال له الوالد: أَلَمْ تُصَلِّ الْعَصْرَ؟

فقال : بلى، ولكنى لم أَصَلِّ الْمَغْرَبَ إِلَى الْآنَ، ثم سأل الوالد عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا (للعشاء عن وقتها) فأفتاه بذلك، ففعله، ومات بعد العشاء قبل نصف الليل.

قال أبو نصر السبكي :

حضرت الصلاة عليه ودفنه، وكان قد أَضَرَّ قبل وفاته بمدة يسيرة .

من (طبقات الشافعية ج ٩ ص ١٠٥)

مشهد من ختم الله عمره وهو ينتظر إقامة الصلاة

نقل السيوطى عن ابن حجر أن الطيسى كان آية فى استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلا على نشر العلم، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، شديد الحب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، محبا لمن يعرف منه تعظيم الشريعة.

وكان يشتغل فى التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثم إلى العصر فى الحديث إلى اليوم الذى مات فيه، فإنه فرغ من وظيفة التفسير، وتوجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة، وجلس ينتظر إقامة الفريضة، ففضى نحيبه متوجها إلى القبلة رحمه الله ورضى الله عنه، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

من (بغية الوعاة ص ٢٢٨)

مشهد من لم يزل يصلى بعسر حتى قبض

قال أبو بكر العطار:

حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا، فإذا هو قاعد يصلى، ويثنى رجله كلما أراد أن يسجد، ولم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فنقلت عليه حَرَكَتَهَا، فمدَّ رجله وقد تورمتا، فقال بعض أصدقائه:

ما هذا يا أبا القاسم؟
قال : هذه نعم (الله أكبر) .
فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريري :
لَوْ اضْطَجَعْتَ يَا أبا القاسم ؟
فَقَالَ : يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ من (الله أكبر) فلم يزل ذلك حاله حتى مات
- رحمه الله -

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦١)
ومعنى قوله : (هذا وقت يؤخذ من (الله أكبر) أنه وقت يغتنم فيه المزيد
نفحات وبركات (الله أكبر) .

مشهد من ختم الله عمره وهو قائم في الصلاة

قال الشيخ محمد الكنانى :
كان أبو عبد الله غَزِيَّةً لا يفتر لسانه عن ذكر الله، وكان يؤذّن احتساباً، وله صوت
جهورى حسن، قلَّ مَنْ يؤذّن مثله.
قال الكنانى :

وأخبرنى الشيخ أبو الفلاح صالح الجودى قاضى القيروان أنه عاده حين حضرته
الوفاة، فسأل عن العصر، فقيل له : المؤذن أذن الآن، فقام وصلى الركعة الأولى تامة،
وفى آخر الثانية سقط على الأرض ميتاً - رحمه الله .

من (تكميل معالم الإيمان ص ٢٣٢)

مشهد من أحب أن تختم حياته بالصلاة

كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخاً لعثمان بن عفان من الرضاع، وكان فارس
بنى عامر بن لؤى والمقدم فيهم، وقد شهد فتح مصر واختط بها، وكان صاحب ميمنة
المسلمين مع عمرو بن العاص رضى الله عنه.
ودخل أفريقية (تونس) غازياً وأميراً بتولية عثمان سنة سبع وعشرين ، وكان معه
جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى هذه الغزوة، منهم ستة كل منهم اسمه عبد
الله .

(وأسس مسجداً فى مكان يقع شرقى مدينة القيروان قبل تأسيس القيروان وكان
يعرف بمسجد ابن أبى سرح وبقي زمناً معموراً، ثم خربته الأودية ولم يقع تجديده) .
ولما حضرت ابن أبى سرح الوفاة - وهو بالرملة - وكان قد خرج هارباً من الفتنة
جعل يقول لهم من الليل : أصبحتم؟ فيقولون: لا، فلماً كان من الصبح قال :

يا هشام بن كنانة، إني لأجد بَرْدَ الصبح فانظروا، ثم قال :
اللهم اجعل خاتمة عملى صلاة الصبح .

فانظروا فإذا هم بالصبح .

فصلّى وقرأ فى الركعة الأولى بأم القرآن والذاريات، وفى الثانية بأم القرآن وسورة،
ثم سلم عن يمينه، ثم ذهب ليسلم عن يساره فقبض الله عز وجل روحه سنة ست
وثلاثين .

من (رياض النفوس باختصار ج ١ ص ٤٤)

مشهد من أحب أن يصلى قبيل موته

قال على بن هارون متحدثا عن واحد من أصحابه ممن حضر موته، فقال غشى عليه
عند صلاة المغرب ثم أفاق فنظر إلى ناحية من باب البيت فقال :
قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور ، ما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى،
فدعنى أمضى لما أمرت .
فدعا بماء فتوضأ للصلاة (وصلى) ثم تمدّد وغمّض عينيه، وتشهد، فمات رحمه
الله .

من (الحلية ج ١٠ ص ٣٠٧)

مشهد من أحب ختم حياته بالصيام

قال يزيد بن عبد ربه عُدْتُ مع خالى على بن مسلم أبا بكر بن أبى مريم، وهو فى
الترع فقلت له :
رحمك الله لو جرّعتَ جرعةَ ماء ؟
فقال بيده : لا .
ثم جاء الليل فقال : أذن ؟
فقلت : نعم .
فقطرنا فى فمه قطرة ماء، ثم غمضناه فمات - رحمه الله، وكان لا يقدر أحد أن
ينظر إليه من خوى فمه من الصيام .

من (الحلية ج ٦ ص ٨٩)

مشهد من أحب أن تختم حياته وهو صائم

لما حضرت الوفاة أبا إسحاق إبراهيم بن هانئ النيسابورى جعل يقول لابنه:
يا إسحاق ارفع الستر، ارفع الستر .

قال : يا أبتِ السُّتر مرفوع، قال :
أنا عطشان .

فجاء ابنه بماء، فقال إبراهيم:
أغابت الشمس؟
قال : لا . .

فرده، ثم تلا :
﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ الصافات - ٦١ .
ثم خَرَجَتْ روحه - رَحِمَهُ اللهُ . مات يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الآخر
سنة خمس وستين ومائتين .

من (طبقات الحنابلة ج ١ ص ٩٨)

مشاهد من ختمت حياتهم بالتضرع إلى الله
مشهد من احتسب نفسه عند الله

روى رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ أَنَّ سَيِّدَنَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَزَلَ
بِهِ الْمَوْتَ قَالَ :
أَخْرَجُوا فِرَاشِي إِلَى صَحْنِ الدَّارِ .
فَأَخْرَجَ، فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُ نَفْسِي عِنْدَكَ، فَإِنِّي لَمْ أَصَبْ بِمِثْلِهَا غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٧٦٢)

مشهد من رجا عفو الله

قال المزني :

دخلت على الإمام الشافعي في علته التي مات فيها، فقلت له :
كيف أصبحت ؟

فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً، وإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء
أعمالي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار
فأعزيها، ثم أنشد :

وَلَمَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سَلَامًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ	بِعَفْوِكَ زَبِي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمَا

وقال المزني أيضا سمعته ينشد :

فَمَا شِئْتُ كَانَ، وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ - إِنْ لَمْ تَشَأْ - لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتُ الْعِبَادَ عَلَى مَا أَرَدْتُ فَنِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمَسْنُ
عَلَى ذَا مَتْنَتَ وَهَذَا خَذَلْتُ وَهَذَا أَعْنَتُ، وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ
توفى - رحمه الله - سنة خمسين ومائتين .

من (الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٧٩)

مشهد من دعا الله أن يخرجه عن النار

قال ابن خلكان :

لما حضرت الوفاة ذا الرمة قال :

أنا ابن نصف الهرم، أنا ابن أربعين سنة وأنشد :

يَا قَابِضَ الرُّوحِ عَنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَغَافِرَ الذَّنْبِ رَحْزِحْنِي عَنِ النَّارِ

من (وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦)

مشهد من دعا ألا يساق إلى النار

لما حضرت الوفاة الخليفة أبا العباس السفاح، كان آخر كلامه وهو في النزاع :

إِلَيْكَ يَا رَبِّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

مات بالجدري - رحمه الله - سنة ست وثلاثين ومائة .

من (فوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٦)

مشهد من ذكر ليقول شيئا فدعا

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم البغدادي : سمعت أبا عبد الله الخنق آبادي يقول :

حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو وجود بنفسه فقيل له :

يا أبا يعقوب، قل شيئا، فقال :

اللهم إني نصحت خلقك ظاهرا، وغشيت نفسي باطنا، فهب لي غشي نفسي،

لنصحي لخلقك. ثم خرجت روحه.

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي : حكى لي أبو خلف الوزان عن يوسف بن

الحسين أنه رأى في المنام فقيل له :

ماذا فعل الله بك ؟

قال : غفر لى ورحمنى ، فقليل له : بماذا؟

قال : بكلمة ، أو كلمات قلتها عند الموت ، قلت :

اللهم إنى نصحت الناس قولاً ، وخنت نفسى فعلاً ، فهب لى خيانة فعلى لنصح
قولى .

توفى رحمه الله سنة أربع وثلاثمائة .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ١٠٣)

مشهد من دعا الله أن يحسن جزاءه عن مصيبته بالموت

لما حضرت الوفاة أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلى من الجزيرة الخضراء كان
آخر ما سمع منه لدى احتضاره قوله :

اللهم إنك وعدت بالجزاء عند كل مصيبة ، ولا مصيبة علم أعظم من نفسى
فأحسن جزائى عنها ، يا أرحم الراحمين .
ثم خَفَّتْ .

وكان قد أعد قبره لنفسه ، يقف عليه ويتعظ به ، توفى - رحمه الله - ليلة الخميس
لأحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة .

من (ترتيب المدارك ج ٧ ص ١٤٤)

مشهد من سأل الله أن يرفق به

كان الشيخ صدقة الضرير المتعبد إذا حبس الله عن الناس الغيث أتوا إلى صدقة
يسألونه الدعاء ، فأتوا إليه يوماً ، وقد أصاب البلد قحط شديد ، فسألوه الدعاء ، فرفع
يديه إلى السماء ، ودعا بدعاء عظيم ثم قال :

يا رب ، الساعة الساعة .

فما خرج الناس عنه حتى أغاثهم الله عز وجل بالمطر ، وكانت آخر كلمة سمعت
منه وهو وجود بنفسه :

ارفق بحبيبك يا حبيبى

ثم فاضت نفسه - رحمه الله .

من (رياض النفوس ج ٢ ص ١٢٩)

مشهد من دعا الله ألا يخذلها ولا يوحشها

كانت أم عثمان بن سودة الطفاوى من العابدات ، وكانت يقال لها (راهبة) قال
ابنها عثمان :

لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت :
يا ذخرى وذخيرتى، ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند
الموت، ولا توحشنى فى قبرى.
فلما ماتت كنت آتيتها فى كل جمعة فأدعو لها، وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها
ذات ليلة فى منامى فقلت :
يا أماه كيف أنت ؟

قالت : أى بنى، إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود،
نفترش فيه الريحان، وتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور.
فقلت : ألك حاجة ؟

قالت : نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإنى لأبشر بمجيئك يوم
الجمعة إذ أقبلت من عند أهلك، يقال لى : يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائرا لك
فأسر بذلك ويسر من حولى من الأموات .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٢)

مشهد من ختم الله عمره بعد قيامه بصلاة الاستسقاء

قال الكاتب ابن أزره :
ارتفع المطر، فخرج القاضى إسماعيل بن حماد الأزدى قاضى بغداد إلى المصلى،
فصلى ركعتين بسبح اسم ربك وهل أتاك حديث الغاشية ثم صعد المنبر، وخطب
خطبتين، وحول رداءه، وحدث بحديث طويل خشع له الناس، وبكى وانصرف
خاشعا.

فقبض ليلة استسقاؤه وقت صلاة العشاء، لثمان بقين من ذى الحجة سنة ثلاث
وثمانين وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة .

من (المرقبة العليا ص ٣٥)

مشهد من ختم الله عمره وهو يتلو الفاتحة فى الصلاة

كان أبو سعد إسماعيل بن أحمد الجرجانى الشافعى شيخ الشافعية بجرجان، وكان
مقدما فى الفقه والعربية كثير التصانيف .

ومما أكرمه الله به أنه مات وهو فى صلاة المغرب يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
ففاضت نفسه. وذلك ليلة الجمعة منتصف ربيع الآخر سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ٨٧)

مشهد من ختمت حياته بالصدقات

باع يزيد بن ميسرة كل ما كان يملك من شىء فتصدق بثمانه، حتى باع منزله الذى كان يسكنه، وكان يقول بعد ذلك : اللهم لا أكون عذرت، اللهم عجل قبضى إليك، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قبضه الله.

من (الحلية ج ٥ ص ٢٤٢)

مشهد من مات بعد صدقاته بأيام

قال أبو نعيم رأى الربيع بن راشد رجلا مريضا يتصدق بصدقة يقسمها بين جيرانه، فقال الربيع :

الهدايا أمام الزيارة .

(يعنى أن عادة الناس إذا زار أحدهم غيره يحمل هدية يقدمها لمن يذهب لزيارته).

وقال الربيع :

فلم يلبث الرجل المتصدق إلا أياما حتى مات، فبكى عند ذلك الربيع وقال أحس الرجل - والله - بالموت، وعلم أنه لا ينفعه إلا ما قدم بين يديه .

من (الحلية ج ٥ ص ٧٧)

مشهد من ختمت حياته بالصدقة وعتق المماليك

قال ابن خلكان :

كان معز الدولة أبو الحسن بن بويه صاحب العراق والأهواز يقال له الأقطع ، لأنه كان مقطوع اليد اليسرى، وبعض أصابع اليمنى فى معركة مع الأكراد، وعاش بعد ذلك سليما.

ولما حضرته الوفاة أعتق مماليكه، وتصدق بأكثر ماله، ورد كثيرا من المظالم.

توفى - رحمه الله - يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة ببغداد عن ثلاث وخمسين سنة .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٦)

مشهد من ختمت حياته وهو يسرد الصوم

نقل ابن خلكان عن أبى جعفر النفيلى أن خلف بن هشام كان من أصحاب السنة لولا بلية كانت فيه ، كان يشرب النبيذ.

قال عبد الكريم بن الحداد:

وكان خلف يشرب من الشراب على التأويل، فكان ابن أخته يوما يقرأ عليه سورة

الأنفال حتى بلغ قوله تعالى : ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الأنفال - ٣٧ .
فقال يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب؟ فنكس خلف رأسه
طويلا، ثم قال : مع الخبيث، فقال له : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث؟ فقال :
يا بنى امض إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه .
فترك خلف الشراب، فأعقبه الله تعالى الصوم، فصام الدهر إلى أن مات .
قيل أنه أعاد صلاة الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب
الكوفيين .

وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين
ومائتين - رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٤٢)

مشهد من مات وهو يستنبط معاني القرآن

قال أبو الحسين محمد بن علي بن حبيش :
صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدبا بأدابه ، وكان له في كل يوم ختمة ،
وفي كل شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وبقي في ختمة يستنبط مودع
القرآن بضع عشرة سنة ، يستروح معاني مودعها ، فمات قبل أن يختمها .
سمعتة يقول في قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ آل
عمران - ٩٦ : في البيت مقام إبراهيم وفي القلب آثار إبراهيم ، وللبيت أركان ،
وللقلب أركان ، فأركان البيت الصم من الصخور ، وأركان القلب معادن النور .
من (الحلية ج ١٠ ص ٣٠٢)

مشهد من ختم الله حياته وهو يتلو القرآن العظيم

قال أبو عبد الله الدارمي :

سمعت أبا بكر العطوى يقول : كنت عند أبي القاسم الجنيد الزاهد المشهور حين مات، فختم القرآن، ثم ابتداء البقرة، فقرأ سبعين آية ثم مات - رحمه الله .
توفى يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين بالشونيزية.

من (الحلية ج ١٠ ص ٢٦٤)

مشهد من ختم الله عمره وهو يكتب المصحف

روى تاج الدين السبكي أن أبا حكيم الخبرى كان يكتب المصاحف، وذكر أنه كان ذات يوم قاعدا مستندا يكتب فى المصحف، فوضع القلم من يده، واستند وقال :
والله إنَّ هَذَا مَوْتُ طَيِّبٌ وَهَنِيٌّ .

ثم مات - رحمه الله - وذلك فى ذى الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة.

من (طبقات الشافعية ج ٥ ص ٦٣)

مشهد من توفاه الله وهو يكتب الحديث الشريف

نقل تاج الدين السبكي عن القاضى أبى زُرْعَةَ رُوِّحِ بْنِ مُحَمَّدٍ سِبْطِ بْنِ السَّنَى أَنَّهُ
قال :

سمعت عمى على بن أحمد الدينورى يقول : كان أبى رحمه الله يكتب الحديث، فوضع القلم فى أنبوبة المحبرة، ورفع يديه يدعو الله تعالى فمات، وذلك فى أواخر سنة أربع وستين وثلاثمائة - رحمه الله.

من (طبقات الشافعية ج ٣ ص ٣٩)

مشهد من ختم الله حياته بكلمة التوحيد

روى الإمام أحمد وأبو داود وأبو عبد الله الحاكم عن معاذ بن جبل أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) .

قال أبو جعفر التستري حضرنا أبا زرعة الرازى وكان فى السَّوْقِ (يعنى سياق الموت) وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا إله إلا الله . فاستحيوا من أبى زرعة، وهابوا أن يلقنوه . فقالوا تعالوا نذكر الحديث ، فقال محمد ابن مسلم :

أُبَانَا الضحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحٍ وَلَمْ يَجَاوِزْ، وَالْباقُونَ سَكَتُوا.

فَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَهُوَ فِي السَّوْقِ:

حَدَّثَنَا بَنْدَارٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مَرَّةٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالرَّيِّ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٨٩)

وَزَادَ الصَّنْعَانِيُّ فِي كِتَابِهِ (جَمْعُ الشَّيْئِ) أَنَّ أَبَا زُرْعَةَ لَمَّا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَرَجَتْ رُوحُهُ مَعَ الْهَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

مشهد من تشهد فمات

نَقَلَ تَاجُ الدِّينِ السَّبْكِى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ صَاحِبِ الْمُسْتَدْرَكِ أَنَّ مُحَمَّدَ النَّيْسَابُورِيَّ وَلَدَتْ لَهُ بِنْتُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً، وَتَوَفَّى وَزَوْجَتُهُ حُبْلَى.

قَالَ: بَلَغْنِي أَنَّ زَوْجَتَهُ قَالَتْ لَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ قَدْ قَرِبْتَ وَلَدَتْنِي.

فَقَالَ: سَلِمْنِي إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ جَاءُوا بِبِرَاءَتِي مِنَ السَّمَاءِ، وَتَشَهَّدَ وَمَاتَ فِي الْوَقْتِ.

تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةً.

من (طبقات الشافعية ج ٣ ص ٧٠)

مشهد من جعل يكرر التشهد حتى مات

قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ:

صَاحِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ صَبِيحَةً عَظِيمَةً سُمِعَتْ مِنْ بَعِيدٍ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ، ثُمَّ اضْطَرَبَ سَاعَةً، ثُمَّ هَذَا، فَمَا زَالَ يَتَشَهَّدُ إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ، ثُمَّ مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ قُتَيْبَةَ أَدَبِ الْكَاتِبِ، وَغَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ.

مشهد من ختم الله حياته بالشهادة في سبيله

فِي نِهَآيَةِ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ قَامَ أَنَاسٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَفْقُدِ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ، فَوَجَدُوا فِي الْجُرْحِ الْأَصِيرِ - عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَسِيرٌ، وَكَانُوا

من قبل يَعْرِضُونَ عليه الإسلام فيآباه، فقالوا إن هذا الأصيرم ما جاء به لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر؟

ثم سأله:

ما الذى جاء بك؟ أحذب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟
فقال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابنى ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
قال أبو هريرة: ولم يصلَّ لله صلاة قط (يعنى ما بين إسلامه واستشهاده لم يمر به وقت صلاة من الصلوات).

من (زاد المعاد ج ٢ ص ٩٤)

الصف الثاني:

أما الصف الثانى فهو المتعلق بأناس رجوا أن يختم الله حياتهم بطاعة معينة، فاستجاب لهم سبحانه بفضلهم ورحمته، كما سبقت الإشارة إليهم.
إن أفراد هذا الصف كثيرون فى الإسلام، وإليك طائفة من مشاهد من كانت منياتهم على ما رجوه من الله.

مشهد فتى صغير رغب فى الشهادة فتألمها

لما توجه المسلمون إلى غزوة بدر خرج غلام اسمه عمير بن أبى وقاص وهو فى السادسة عشرة من عمره، وكان قد خاف ألا يقبله النبى صلى الله عليه وسلم لأنه صغير، فكان يجتهد ألا يراه أحد، فجعل يتوارى فسأله أخوه الأكبر سعد بن أبى وقاص عن ذلك فقال:

أخاف أن يردنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة.

فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرده، لأنه لم يبلغ مبلغ الرجال فبكى الفتى عمير، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجازه.
قال أخوه سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره.

ثم ختم الله حياة عمير بالشهادة فى بدر كما رجا، فرحمه الله ورضى عنه.

من (الإصابة ج ٣ ص ٣٦)

مشهد من استطال اللحظات الباقية من عمره قبل الظفر بالشهادة المرجوة

لَمَّا حَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ جَاءَ فِي تَحْرِيطِهِ قَوْلُهُ:

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمَ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْبِلَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ) .

وقال : (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) .

فقال عمير بن الحُمام بنخ ، بنخ^(١) : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ بَنِي بَنِي ؟) فقال :

لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا .)

فأخرج عمير تمرات من قرنه (أى جمعته) فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله ورضى عنه .

من (صحيح مسلم ج ٢ ص ١٣٩)

مشهد من رجاء أن يستشهد وأن يمثل به فتم له ما أراد

روى البغوي أن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال :

حدثني أبي سعد أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد :

ألا تأتي فندعو ؟

قال فخلونا في ناحية ، فدعا سعد فقال :

يا رب إذا التقينا اليوم ، فَلَقْنِي رجلاً شديداً حَرَدُّهُ ، أَقَاتَلَهُ فَيَكُ ، ثم ارزقني الظفر عليه ، حتى أقتله وأخذ سلبه .

قال سعد : فأمن عبد الله بن جحش .

ثم قال عبد الله :

اللهم ارزقني رجلاً شديداً حَرَدُّهُ ، أَقَاتَلَهُ فَيَكُ ، حتى يأخذني ، فيجده أنفي وأذني ،

(١) بنخ ، بنخ : كلمة تقال عند الرضى بالشئ ، وتكرر للمبالغة .

فإذا لقيتك، قلت هذا فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم فتقول صدقت.
قال سعد :

فكانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلق
فى خيط.

دفن هو وحزمة رضى الله عنهما فى قبر واحد، وكان عمر عبد الله عند استشهاده
نيفاً وأربعين سنة.

من (الإصابة ج ٢ ص ٢٧٨)

مشهد شيخين من الصحابة رغبا فى الشهادة ففازا بها

قال ابن إسحاق:

لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد رفع حسيل بن جابر (المعروف
باليمان والد حذيفة) هو وثابت بن وقش إلى الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما
فقالا:

إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار (أى مقدار ما بين الوردتين).
فنزلا ليحضرنا الحرب، فجاء طريقهما على ناحية المشركين.

فأما ثابت فقتله المشركون.

وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ، وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين، ولم
يعاتب أحداً منهم لظهور العذر فى ذلك.

من (تاريخ ابن الأثير حوادث السنة الثالثة)

وروى البخارى هذه القصة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله
عنها أنها قالت :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدِ هُزْمِ الْمُشْرِكِينَ، فَصَاحَ إِبْلِيسُ أَى عِبَادِ اللَّهِ أَخْرَاكُم، فَرَجَعَتْ
أُولَاهُم، فَاجْتَلَدَتْ هِىَ وَأَخْرَاهُم، فَنَظَرَ حَذِيفَةُ فَلِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانَ فَقَالَ : أَى عِبَادِ اللَّهِ
أَبِى، أَبِى، فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا عَنْهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ حَذِيفَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ .

قال عروة :

فما زالت فى حذيفة منه بقية خير، حتى لحق بالله.

من (الإصابة ج .. ص ٣٣٠)

وحذيفة رضى الله عنه معروف بين الصحابة بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

ولما سئل : أى الفتن أشد؟ أجاب قائلا:

أن يُعرض عليك الخير والشر فلا تدرى أيهما تركب .

إن عدد الصحابة الذين رجوا أن يرزقهم الله الشهادة فنالوها عدد كبير جدا، فمن شاء أن يعرف أسماءهم ويطلع على أحوالهم تلك، فليطلبها فى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه، وفى الفتوحات الإسلامية الأولى .

مشهد قاضٍ قادم جيش المسلمين فانتصر ثم استشهد

كان زيادة الله بن الأغلب قلد أسد بن الفرات قاضى القيروان أن يغزو صقلية، فركب إليها البحر من سوسة - فى حديث طويل - فزحف إليه (بلاطة) ملك صقلية، قيل : فى نحو مائة وخمسين ألفا .

قال ابن أبى الفضل :

لما زحفوا علينا رأيت أسد بن الفرات فى يده اللواء وهو يزمر (يعنى يتلو ويدعو) فحملوا علينا، فكانت فينا روعة شديدة، وأقبل أسد على قراءة يس، فلما فرغ منها قال للناس:

(هؤلاء عجم السواحل هؤلاء عبيدكم لانتهابهم)

ومعنى قوله : عجم السواحل أى الذين هربوا من الساحل لما فتح الله أفريقية على المسلمين .

ثم حمل أسد وحمل المسلمون معه، فهزم الله (بلاطة) وأصحابه، ولما انصرف أسد رأيت الدم وقد سال مع قناة اللواء ومع ذراعه، حتى صار تحت إبطه .
استشهد رحمه الله من جراحات شديدة أصابته، وكان عند وفاته محاصرا لسرقوسة فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين ودفن هناك .

من (معالم الإيمان ج ١ ص ١٥)

مشهد من كان يتمنى الشهادة ففاز بها

كان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الهكارى سمحا، لطيفا، دينا ، ورعا، بارا بأهله، وبالفقراء والمساكين ، كثير الصدقات .

بنى بالقدس مدرسته للشافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجدا قريبا من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائما ويقول:

ما أحسن وقع سيوف الكفار على أنفى ووجهى .

استشهد على الطور، وأبلى يومَ استشهاده بلاء حسنا، وكانت له المواقف المشهورة في قتال الإفرنج....

ولما مات شهيدا حُمل إلى بيت المقدس فدفن هناك، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة أربع عشرة وستمائة .

من (الوافي بالوفيات بتقديم وتأخير ج ٤ ص ٣٥٠)

مشهد من أحب أن تختتم حياته بالجهاد

غزا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم في البحر مع أصحابه (فأصابه إسهال) . فكان يختلف في الخلاء في الليلة التي مات فيها خمسا وعشرين مرة كل مرة يجدد الموضوع .

فلما أحس بالموت قال:

أوتروا لى قوسى .

ثم قبض عليها، وتوفى وهى فى كفه، فدفن فى جزيرة فى البحر فى بلاد الروم .
توفى - رحمه الله - سنة إحدى وستين ومائة .

من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٣١٨)

مشهد قاض تعلق بأستار الكعبة وسأل الله الشهادة فقاتلها

كان أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضى قد سمع بالقيروان من عبد الله بن أبى زيد ومن أبى الحسن القابسى، وسمع بمكة ومصر والأندلس .
قال الحميدى أخبرنى أبو محمد على بن أحمد أن أبا الوليد بن الفرضى أخبره قائلا:

تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة ثم انحرفت وفكرت فى هول القتل فندمت، وهممت أن أرجع، فأستقبل الله ذلك فاستحييت .

قال أبو محمد فأخبرنى من رآه بين القتلى، فدنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف وهو فى آخر رمق منه .

(لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِى سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرَحُهُ يَتَعَبُ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ) كَأَنَّهُ يُعِيدُ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِى ذَلِكَ .

قال : ثم قضى نجه على إثر ذلك، وهذا الحديث فى الصحيح أخرجه مسلم عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

قال الحميدى :

مات مقتولا في الفتنه أيام دخول البرابرة قرطبة سنة أربعمائه .

من (جذوة المقتبس ص ٢٣٨)

مشهد قاض أندلسي جاهد فاستشهد

كان القاضي أبو الربيع سليمان الحميري خطيبا مفوها، وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم ، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل، ولَّى الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية.

من مؤلفاته كتاب : (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء) في أربعة مجلدات.

خرج مجاهدا في واقعة (أنيشة) على ثلاثة فراسخ منها.

ولما انهزم بعض ما كانوا معه جعل يناديهم والراية بيده قائلا:

(أَعْنِ الْجَنَّةَ تَفْرُونَ ؟) وثبت - رحمه الله - إلى أن توفي مقبلاً غير مدبر ، وذلك ضحى يوم الخميس الموفى عشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائه وهو ابن سبعين سنة إلا شهرا.

ورثاه أبو عبد الله بن الأبار في قصيدة تزيد على مائة بيت ذكر منها أبو الحسن النباهي أربعة وستين بيتا منها :

سَوَافِحَ يُزْجِيهَا ثَقَالُ الْغَمَانِمِ	سَقَى اللَّهَ أَشْلَاءَ بَسْفَحَ (أَنْيْشَةَ)
بَطِيبَ أَنْفَاسِ الرِّيحِ الْتَوَاسِمِ	وَصَلَّى عَلَيْهَا أَنْفُسًا طَابَ ذِكْرُهَا
فَلَا غُرُوَ إِنْ فَازُوا بِصَفْوِ الْمَكَارِمِ	لَقَدْ صَبَرُوا فِيهَا كَرَامًا وَصَابَرُوا
تَحَنَّنَ إِلَى الْآخِرَى حَنِينَ الرُّوَائِمِ	وَمَا بَدَلُوا إِلَّا نَفُوسًا نَفِيسَةً

رحمهم الله ورضى عنهم

من (المرقبة العليا ص ١٩)

مشهد قاض مدرّس مجاهد شهيد

كان القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضى الله عنه، وكان ملازما أيام قضائه للإقراء مع التعليم، وربما نحا في أحكامه أنحاء مصعب بن عمران أحد قضاة قرطبة، فكان لا يقلد مذهبا، ويقضى بما يراه صوابا، وإن قلنا إنه كان في شذائد أحكامه أشبه علماء وقته بسحنون بن سعيد لم يكن في ذلك ببعيد.

استمر على عمله من الاجتهاد والرغبة في الجهاد إلى أن فُقد - رحمه الله - في

مصاف المسلمين يوم المناجزة الكبرى بظاهر (طريف) شهيداً محرّضاً يشحذ البصائر، ويشير على الأمير أن يكثّر من قول (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وقد كثف دابته التي كان عليها راكباً، فنزل وهو رابط الجأش مجتمع القوى، وقال لمن أشار عليه بالركوب: انصرف هذا يوم الفرح .

يشير - والله أعلم - إلى قول الله تعالى في الشهداء :
(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) آل عمران - ١٧٠ .
ولقد ظفر رحمه الله بالفرحة الكبرى في تلك المناجزة عام واحد وأربعين وسبعمائة .

(من المرقبة العليا ص ١٤٦)

من أضواء مشاهد الشهادة:

تفضل الله سبحانه علينا فعرّفنا في القرآن العظيم أن الشهداء أموات الأجسام، أحياء الأرواح ، إلا أن حياتهم ليست كالحياة المعروفة لدينا، وإنما هي حياة أخص من حياتنا الحاضرة، وأرقى منها وأكرم، ولقد وهب الله لأصحابها من مواهب التكریم ما ذكره في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آل عمران - ١٦٩ - ١٧٠ .

وروى أبو داود عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ .
فلما وجدوا طيب مطعمهم ورأوا حسن منقلبهم قالوا : يا ليت لإخواننا يعلمون ما أكرمنا الله به، وما نحن فيه، لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكّلوا عند الحرب، فقال الله:

أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تبارك وتعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ إلى آخر الآيتين .

ولقد منّ سبحانه على المؤمنين ففتح في وجوههم باب الشهادة بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة - ١١٢ .

وروى أحمد وابن حبان والطيالسي عن عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال :
القتلى ثلاثة رجال:

رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى
يقتل، فذلك الشهيد المفتخر (وفى لفظ الممتحن) فى خيمة الله تحت عرشه، لا يَفْضُلُهُ
النبون إلا بدرجة النبوة.

ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله فى سبيل
الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل، فتلك مصمص (يعنى مفصلة) محت ذنوبه
وخطايا، إن السيف محاء الخطايا. وأدخل من أى أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية
أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أسفل من بعض.

ورجل منافق جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل فى سبيل الله حتى يُقتل،
فإن ذلك فى النار، إن السيف لا يمحو النفاق.

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : ذكر الشهداء عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال :

(لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجته كأنهما ظئران أضلنا فصيلهما
فى براح من الأرض بيداء وفى يد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما فيها) .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(لا يُكَلِّمُ أحد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يُكَلِّمُ فى سبيله - إلا جاء كهيته
يوم القيامة، اللون لون دم، والريح ريح مسك) .

وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(ما من نفس تموت لها عند الله خيرٌ يسرها أن ترجع إلى الدنيا ولها الدنيا وما فيها،
إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، فيتمنى أن يرجع فيقتل مرة أخرى) .

وروى مالك فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال :

(لولا أن أشق على أمتى لأحببت ألا أتخلف عن سرية تخرج فى سبيل الله ،
ولكنى لا أجد ما أحملهم عليه، ولا يجدون ما يتحملون عليه فيخرجون، ويشق عليهم
أن يتخلفوا بعدى، فوددت أنى أقاتل فى سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا
فأقتل) .

وروى عبد الله بن المبارك بسنده إلى الضحاك في قوله تعالى :
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ البقرة - ٢١٦ .
أنه قال :

نزلت آية القتال فكرهوها، فلما بين الله عز وجل ثواب أهل القتال، وفضيلة أهل القتال، وما أعد الله لأهل القتال من الحياة والرزق لهم، لم يُؤثر أهل اليقين بذلك على الجهاد شيئاً، فأحبوه، ورغبوا فيه ، حتى أنهم يستحملون النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يجد ما يحملهم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

ثم إن الشهادة ليست مقصورة على القتل في ميدان الحرب لإعلاء كلمة الله، ولو أن ذلك القتل هو أعلى مراتب الشهادة، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشهادة أوسع مدى من القتل في سبيل الله، إذ روى مالك في الموطأ عن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(..... وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟)
قالوا : القتل في سبيل الله .
فقال صلى الله عليه وسلم :

الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد (يعنى التى تموت فى النفاس) .

وروى أحمد عن عبد الله بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(من وضع رجله فى ركابه فاصلاً (خارجاً للجهاد) فى سبيل الله فلدغته هامة ، أو وقصته دابة ، أو مات بأى حتف فهو شهيد) .

ولما توفي عبد الله بن ثابت قالت ابنته : والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً، فإنك كنت قد قضيت جهازك (أى أتممت ما تحتاج إليه فى سفرك للغزو) وسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
(إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدَرِ نَيْتِهِ) .

ثم إن الشهداء لهم مراتب متفاوتة الدرجات، يدل على هذا ما رواه أحمد وابن حبان عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل :

أىُّ الجهاد أفضلُ ؟
فقال : (مَنْ عَقَرَ جَوَادَهُ وَأَهْرَبَ دَمَهُ) .

وقال أهل العلم :

الأموات على أربعة أقسام :

(١) قسم منهم شهيد عند الله وعند الأمة ، أو هو ما يعرف بشهيد الدنيا والآخرة .
وهذا هو الذى قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، واستشهد أثناء القتال أو كان فى طريقه إليه .

أما أنه شهيد عند الله ، فلأن الله وعده بأنه سيكرمه بأعظم الكرامات ، وينزله عنده أرفع المنازل .

وأما أنه شهيد عند الأمة فلأنه لا يفعل به ما يفعل بسائر الأموات ، فلا يغسل ولا يكفن ، وإنما يدفن فى ثيابه التى استشهد فيها ، ولا يصلى عليه ، لأن الله بين أن الشهيد حى ، ولا يصلى على الحى .

(٢) وقسم شهيد عند الله لا عند الأمة ، أو هو ما يعرف بشهيد الآخرة فقط . وأفراد هذا القسم كثيرون منهم من تضمنه الحديث المتقدم وهو الذى رواه مالك فى الموطأ بسنده إلى جابر بن عتيك .

أما كون أفراد هذا القسم شهداء عند الله فقط ، فلأن الله سبحانه قد تكرم عليهم فألحقهم بالشهداء ، كما بينت ذلك الأحاديث النبوية .

وأما كونهم ليسوا شهداء عند الأمة فلأن حكمهم فى الغسل والكفن والصلاة كحكم غير شهداء القتال .

(٣) وقسم شهيد عند الأمة فقط وليس بشهيد عند الله ، وهذا هو من يموت مقاتلاً مع من يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ، ولكن نيته فى قتاله هي الحمية القبلية أو المفاخرة أو الغنيمة أو أى شىء آخر غير إعلاء كلمة الله .

أما كونه شهيداً عند الأمة ، فلأنها تعامله بظاهر حاله ، فتسن به ما تسن بالشهداء ، إذ هي لم تطلع على ما انطوت عليه نفسه .

وأما كونه ليس بشهيد عند الله فلأنه جعل لغير الله ما هو لله ، وأمثال هذا هم أول من تسجر بهم جهنم كما ورد فى الحديث الصحيح .

(٤) وقسم ليس بشهيد لا عند الله ولا عند الأمة وهو من لم يمت فى قتال لإعلاء كلمة الله ولا فى الأحوال الأخرى التى بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مشاهد المرتاحين لأحوالهم عند الموت

ورد في الأثر أنه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، وهذا الأثر أخرجه وكيع في الزهد من قول عبد الله بن مسعود.

قال السخاوي في المقاصد الحسنة: رفعه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد له بحديث عائشة رضی الله عنها: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ....) كما استشهد له آخر بقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن قوله مستريح ومستراح منه : (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ....) والمرتاحون إلى أحوالهم عند الموت كثيرون .

فمنهم من ارتاح إلى رحلة يؤمن بها وهو عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة وشيخ حفص رضي الله عنهما .

روى أبو بكر بن عياش أحد الرواة عن عاصم أنه قال : دخلت على عاصم وقد احتضر، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية يُحَقِّقُهَا حَتَّى كَأَنَّهُ يَصَلِّي : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (١)

(من (غاية النهاية ج ١ ص ٣٤٨)

ومنهم من ارتاح إلى الفقر الذي يموت عليه وهو عبد الله بن عبد العزيز العمرى .
روى أبو يحيى الزهرى أن عبد الله العمرى قال عند موته: بنعمة ربى أحدث أنى لم أصبح أملك على الناس إلا سبعة دراهم ملكتها بيدي، وبنعمة ربى أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمى لا يمنعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها ما أزلتها.

(من (الحلية ج ٨ ص ٢٨٣)

ومنهم من ارتاح إلى تعففه عن المال الحرام، وهو أبو الفرج محمد بن عبد الله البصرى.

نقل السيوطى عن ياقوت الحموى أن أبا الفرج تلقى العلم عن كثير من شيوخ بغداد والبصرة، وكان حسن المذاكرة، وله تصانيف حسان.

تولى قضاء البصرة، وتوفاه الله فى تاسع المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة .
وسمع فى مرضه يقول : ما أخشى أن الله يحاسبنى أنى أخذت شيئاً من وقف أو من مال يتيم.

(من (بغية الوعاة ص ٧٢)

(١) سورة الأنعام الآية ٦٢ .

ومنهم من ارتاح - فى شوق - إلى لقاء الله، وهو أبو عبد الله الدُّكالى.
 روى أبو عبد الله الأنصارى المعروف بالرَّصَّاع عن أبي الحسن الحياتى أنه قال :
 دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدى أبا عبد الله محمد الدُّكالى مريضاً، فوقفت على
 موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلت عليه فسألته عن حاله.
 فقال لى : يا فقيه حالى حال من اشتاق إلى لقاء الله فى هذه الحالة.
 قال أبو الحسن ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتنى وقالت : يا سيدى،
 الشيخ - رحمه الله - قضى نحبه .

من (فهرست أبى عبد الله الرصاع ص ٧٣)
 ومنهم من ارتاحت إلى مفارقة الدنيا بعد أسفها على مفارقة العبادة، وهى معاذة
 العدوية التابعة، قالت عفيرة العابدة بلغنى أن معاذة العدوية لما حضرها الموت بكّت ثم
 ضحكت.

ف قيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟
 قالت أما البكاء الذى رأيتم، فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر، فكان
 البكاء لذلك، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى، فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد
 أقبل فى صحن الدار، وعليه حلطان خضراوان وهو فى نفر، والله ما رأيت لهم فى
 الدنيا شبيها فضحكت إليه، ولا أراى أدرك بعد ذلك فرضا.
 فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة - رحمه الله.

أدركت معاذة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وروت عنها، وعن روى عن معاذة
 الحسن البصرى وأبو قلابه.

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٤)

مشاهد من ظهرت عليهم آيات التكريم

لم يزل الله حفياً بعباده المخلصين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿١﴾ ﴿يُسِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة يونس آيتا ٦٣ / ٦٤ .

(٢) سورة التوبة آيتا ٢١ / ٢٢ .

ولم يزل تكريم الله للمخلصين متناميا فى حياتهم حتى ساعة الاحتضار،
فيدعوهم - بعد غربتهم فى هذه الدنيا - بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ (١)

وتتجلى علامات التكريم الإلهى للمصطفين الأخيار فيما يختم الله به حياتهم
على سبيل التنبيه والتعريف، وذلك إما بفيض من السرور الغامر، يبدو عليهم فى حركة
لطيفة طيبة لم يعهدها الأحياء من الأموات، وإما بقول طافح بالبشر يُترجم عن الفوز
بالرضا والقبول، وإما بومضات تتلألأ من نور عجيب يشهدا منهم بعض الناس من
أصحاب البصائر النيرة، وإما بغير ذلك من المواهب والنفحات الدالة على التكريم
الإلهى العظيم.

ومن أوائل من فازوا بآيات التكريم من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ) ثلاث مرات، وهو الصحابى الجليل جليبيب الشعلبى حليف
الأنصار رضى الله عنه.

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغزى له قال : هل تفقدون من أحد؟
قالوا: نفقد فلانا، ونفقد فلانا، ونفقد فلانا.

ثم قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ؟

قالوا : نفقد فلانا، ونفقد فلانا.

ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : لا .

قال : لكنى أفقد جليبيبا فاطلبوه فى القتلى .

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَقْتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ؟
هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَقْتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ؟ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ).

فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه، ثم حفروا له، ما له سرير
إلا ساعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه فى قبره .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٧٢٣)

(١) سورة الفجر آيات ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

ومنهم ربيع بن خراش رضى الله عنه:

روى أبو نعيم عن ربيع بن خراش أنه قال : كنا أربعة إخوة، وكان ربيع أخى أكثرنا صلاة، وأكثرنا صياما وأنه توفى، فبينما نحن حوله إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم، فقلنا : وعليكم السلام أبعد الموت؟ قال : نعم إنى لقيت ربى بعدكم، فلقيت ربا غير غضبان، فاستقبلنى بروح وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم ينتظر الصلاة على، فعجلوا بى ولا تؤخرونى، ثم طفى .

فتمى الحديث إلى عائشة رضى الله عنها ، فقالت : أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ) .

قال أبو نعيم : حديث مشهور، وأخرجه البيهقى فى الدلائل .

وقال : حديث صحيح لا شك فى صحته .

وأخرجه ابن أبى شيبة بنحو ما تقدم .

من (شرح الصدور ص ٣٠)

ومنهم الفضل بن عطية :

روى أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات عن سلام بن سلام أنه قال :

زاملت الفضل بن عطية إلى مكة، فلما دخلنا من فيد أنبهنى فى جوف الليل، قلت : ما تشاء؟ قال : أريد أن أوصيك، قلت أنت صحيح، قال أريت فى منامى ملكين، فقالا: إِنَّا أَمَرْنَا بِقَبْضِ رُوحِكَ، فقلت: لو أخرتمانى إلى أن أقضى نسكى، فقالا: إن الله قد تقبل نسكك منك، ثم قال أحدهما للآخر : افتح اصبعيك السبابة والوسطى، فخرج من بينهما ثوبان ملأت خضرتهما بين السماء الأرض، فقالا: هذا كفنك من الجنة، ثم طواه وجعله بين إصبعيه .

قال سلام : فما وردنا المنزل حتى قبض - رحمه الله .

من (شرح الصدور ص ٣٢)

ومنهم مطرف بن عبد الله بن الشخير رضى الله عنهما:

روى ابن سعد عن ثابت البنانى أنه ورجلا آخر دخلا على مطرف بن عبد الله بن الشخير يعودانه، فوجداه مغمى عليه، قال : فسطعت منه ثلاثة أنوار : نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فلما أفاق قلنا له : لقد رأينا شيئا هالنا، قال: وما هو؟ فأخبرناه، قال : ورأيتم ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : تلك ألف لام ميم السجدة، وهى تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسى، وأوسطها من وسطى، وآخرها من رجلي، وقد صعدت تشفع لى، وهذه تبارك تحرسنى، قال ثابت فمات -

رحمه الله. (يعنى أن السورتين كان يقرؤهما كل ليلة).
من (شرح الصدور ص ٣٠)

ومنهم أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين :
نقل ابن خلكان عن أبى صالح المؤذن أن أبا محمد الجوينى مرض سبعة عشر يوما، وأوصانى أن أتولى غسله وتجهيزه.
فلما توفى غسلته، فلما لففته فى الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهى تتلأأ، تلالؤ القمر، فتحيرت وقلت فى نفسى هذه بركات فتأواه.
توفى أبو محمد الجوينى بنيسابور فى ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة - رحمه الله.

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧)

ومنهم أبو إسحاق السبائى القيروانى:
قال أبو الحسن القاسى : لما احتضر أبو إسحاق رأى من حضره نورا دخل من باب البيت، فدار فى البيت حتى أتى وجهه، ثم زال عن وجهه، ومر على صدره، ثم إلى رجله، ثم خرج من البيت .
فقبض الشيخ - رحمه الله، وكانت وفاته لثمان بقين من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة سبعين ومائتين .

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٧٥)

ومنهم أبو عبد الله محمد بن المنكدر:
قال صفوان بن سليم: أنه أتى إلى محمد بن المنكدر وهو فى (سياق) الموت، فقال له : يا أبا عبد الله كائى أراك قد شق عليك الموت، فما زال يهون عليه الأمر، وينجلى عن محمد، حتى أن وجهه لكأنه المصابيح.
ثم قال له محمد : لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك .
ثم قُضى - رحمه الله.

من (الحلية ج ٣ ص ١٤٧)

ومنهم أبو الوقت :
قال ابن الجوزى : كان أبو الوقت صالحا، كثير الذكر، قال أبو عبد الله: لما احتضر أسندته إلى، فكان آخر كلمة قالها : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (١)

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦٣)

(١) سورة يس آيتا ٢٦ - ٢٧ .

ومنهم أبو الحسن على بن أبي بكر العرشاني:
كان في مرض موته يصلي قائما وقاعدا، وعلى جنبه، ولما صار في النزاع سمعوه يقول: لبيك لبيك .

فقالوا: من تعنى؟ وفي رواية: من تحبب؟
فقال: الله دعاني، ارفعوني إلى ربي، ثم توفي عقب ذلك - رحمه الله - وكانت وفاته في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وخمسائة .

من (جامع الكرامات ج ٢ ص ١٦٠)
و(طبقات فقهاء اليمن ص ١٧٢)

ومنهم أبو علي حسن الغلاس:

قال محمد بن العباس لما اشتد الأمر بحسن الغلاس طلب ماء فشرب، وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون.

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٦١)

ومنهم الحسن البصري

قال ابن خلكان: أغمى على الحسن البصري عند موته، ثم أفاق فقال:
لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم .
توفي - رحمه الله - بالبصرة عشية الخميس، مستهل رجب سنة عشر ومائة، وحمل إلى مثواه بعد صلاة الجمعة.

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٢)

ومنهم أبو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي:

روى ابن الجزري عن أبي الحسن بن الفضل القطان أنه قال: حضرت النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، فجعل يحرك شفثيه، ثم نادى بعلو صوته:

﴿لَمَثَلٌ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(١)

يرددها ثلاثا ثم خرجت نفسه - رحمه الله .

من (غاية النهاية ج ٢ ص ١٢١)

ومنهم أبو بكر بن مسلم الحضرمي:

لما احتضر أبو بكر ابتداء القرآن فأنتهى في سورة طه إلى قول الله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٢)

(١) سورة الصافات الآية ٦١ .

(٢) سورة طه الآية ٨٤ .

ففاضت نفسه رحمه الله، وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٧١)

ومنهم أبو حفص عمر بن عبد الله المعروف بابن الإمام الصدفي

لما احتضر أبو حفص دعا بشراب فأثى به .

فقال : قد سقيت وشفيت، وأزويث .

ثم أوما بيده إلى السلام .

فقلنا : رأيت الملائكة ؟

قال : رأيت ..

وجعل يومئ بيده حتى فاضت نفسه .

وقال بعضهم : لما حضرت أبا حفص الوفاة قال : بُشِّرْتُ .

قلت : بماذا ؟

قال : أما تقرأ : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ

مُقيمٌ ﴾ (١)

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٥١)

ومنهم رجل أسود يدعى مقبلا:

قال أبو بكر العابر: سافرت إلى مكة في جماعة من الصوفية ، فلما بلغوا ذات عرق

كَبُوا ، ولبسوا ثياب الإحرام، وكان فيهم عبد أسود سكيت، فلم يلب ذلك اليوم مع

الناس، فقال له شيخ لنا متقدم علينا: من شرط الحج التلبية، وأنت ما لبيت .

فقال : أقول لبيك، ولم يقل لى يامقبل ؟ إذا قال لى يا مقبل قلت لبيك .

فلما كان في غد صلى بنا الشيخ الفجر، وسمعنا مقبلا يقول : لبيك اللهم لبيك، ثم

وقع ميتا، فقلنا : قد دعاه مولاه، وواريناه رحمه الله .

من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ١٦٧)

ومنهم الحكم بن المطلب القرشي المخزومي:

كان من أجواد قريش من أهل المدينة، وكان من أبر الناس بأبيه قال قبيل موته: هذا

ملك الموت يقول : إِنِّي بِكُلِّ سَخِيٍّ رَفِيقٌ .

ومات عقب كلامه هذا .

من (الوافي بالوفيات ج ١٣ ص ١٢٣)

(١) سورة التوبة الآية ٢١ .

ومنهم أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ المعروف بجوجى:

كان إماما فى التفسير والحديث والأدب والورع والزهد، قال أحمد الأسوارى الذى تولى غسله، وكان ثقة : إنه أراد أن ينحى عن سوائه الخرقه، فجذبها الشيخ إسماعيل من يده وغطى بها فرجه.

فقال الغاسل : أحياة بعد الموت ؟

توفى - رحمه الله - سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ٢٠٩)

ومنهم أبو مدين شعيب :

اسمه محمد بن أحمد بن عمران العياشى اليمانى، غلب عليه لقبه شعيب، فصار لا يعرف إلا به.

لما توفى وحُمِل إلى المقبرة إذا بمؤذن يؤذن لوقت من أوقات الصلاة وإذا بالفقيه ثقل على الذين يحملونه ثقلا خارجا عن الحد حتى عجزوا عن القيام به، فوضعوا السرير حتى فرغ المؤذن وحركوه فوجدوه خفيفا كما كان ، فحملوه وساروا به إلى القبر وهم متعجبون من ذلك، فقال لهم بعض أصحابه، كان الفقيه متى سمع المؤذن قام على قدميه، وجعل يجاوبه حتى يفرغ.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ١١٧)

ومنهم الشيخ إبراهيم السعدى:

أصله من قرية من أعمال (جنين) فى رأس جبل صغير اسمها (المزار) لأن فيها قبر أحد أجداده، وجميع أهلها من السلالة السعدية.

وكان له زوجة فى قرية (زرعين) الواقعة فى أسفل الجبل الذى عليه قرية (المزار) فذهب إلى زرعين من جنين فى تلك الأيام، فمرض وتوفى إلى رحمة الله تعالى، فجاء خبر وفاته إلى جنين، وبينها وبين زرعين نحو ساعتين، قال الشيخ يوسف النبهانى ركبت مع جماعة وذهبنا لنحضر جنازته فوجدنا كثيرا من أهالى القرى المجاورة هناك يقصدون ما قصدنا من التبرك بحضور جنازته.

وبعد غسله والصلاة عليه وحمله فى النعش أراد أهل قريته (المزار) أن يأخذوه إلى قريتهم ليدفنوه عند أجداده، فامتنع أهل (زرعين) من ذلك ، وأرادوا دفنه عندهم للتبرك بقبره، ووقع الخلاف بين أهل هاتين القريتين.

ثم حصل الاتفاق على دفنه فى قرية (المزار) فحمله الرجال وأرادوا التوجه به إلى

(المزار) فنقل عليهم النعش ولم يطعمهم، وتكاثروا عليه يشدون به إلى تلك الجهة، وهو يغلبهم، بحيث يقع بعضهم على الأرض، ثم يجتهدون فيغلبهم مرة أخرى، وهكذا وقع ذلك مرارا.

وفى آخر الأمر غلبهم غلبة قوية، بحيث لم يستطيعوا رده بوجه من الوجوه، وسار بهم جبراً قهراً عنهم بسرعة شديدة، وهم تابعوه إلى أن وصل إلى مكان خارج القرية على حافة الطريق، فنزل فيه بدون اختيارهم، وليس هناك مقبرة، فانفقوا على دفنه فى المكان الذى استقر منه فيه النعش، وهكذا كان، فحفروا له ذلك المكان، ودفنوه فيه. قال النبهاني: وهذه الأمور شاهدها بعينى مع جميع ذلك الجمع العظيم، ولا يحتمل ذلك التصنع ممن حملوا النعش لأن غلبته إياهم كانت ظاهرة لا تحتل التأويل بوجه من الوجوه.

من (جامع الكرامات ج ١ ص ٢٥٠)

مشهد من مات وعليه دين ونظرة الإسلام إلى الإستدانة

للمال عند الله حرمة عظيمة، فقد قال سبحانه: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^(١) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٣)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم - فى خطبته التى ألقاها بحجة الوداع وهو يوصى الأمة قبل وفاته بثلاثة أشهر:

(إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ).

والإنسان قد تضطره الحياة إلى التداين، وكان من لطف الله بعباده أن أباح لهم التداين، ولكن على أساس قيام المدين بقضاء كل ما عليه، وعلى أن يعمل بحرص شديد على أداء الدين فى أقرب وقت.

فإذا يسر الله أمره ولم يبادر إلى أداء ما عليه كان - فى مماطلته - ظلماً للدائن، وأصبح هدفاً للنيل من كرامته، ولاستحقاق العقاب الدنيوى مع ما سيناله فى الآخرة. روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ)

(١) سورة النساء ٢٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٣) سورة الأنفال ٢٨ .

وروى البخارى أيضاً عن الشريد بن سويد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(لَيْتُ الْوَاجِدُ يُحِلَّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر من التداين إلا فى حالة الضرورة، وفى
أضيق الحدود، فقد روى الديلمى عن عائشة رضى الله عنها أنه قال :
(الدِّينُ هُمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ) (١)

وروى أبو عبد الله الحاكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال :

(الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدُلَّ عَبْدًا وَضَعَهَا فِي عُنُقِهِ.

وروى البيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال :

(أَقْلٌ مِنَ الذَّنُوبِ يَهْنُ عَلَيْكَ الْمَوْتُ، وَأَقْلٌ مِنَ الدِّينِ تَعِشُ حَرًّا).

وروى أبو عبد الله الحاكم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال :

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالدِّينِ)

فقال رجل : يا رسول الله أتعديل الكفر بالدين ؟ قال : (نعم) .

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ)

وروى أبو داود عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال :

(إِنْ أَغْظَمَ الذَّنُوبَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَلْقَاهَا بِهَا عَبْدٌ - بَعْدَ الْكِبَائِرِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا - أَنْ
يَمُوتَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ لَا يَدْعُ لَهُ قَضَاءٌ)

ولم يقتصر النبى صلى الله عليه وسلم على التحذير من عواقب التداين بأقواله، بل
شدد التنفير منه بأفعاله، فقد روى الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :

(١) يطيل التفكير فى أداء ما عليه بالليل، وقد يتوارى من دائته أن يتجرع مطالبته بالنهار.

كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى برجل يصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم:
(هَلْ عَلَى صَاحِبِكُمْ دَيْنٌ ؟) قالوا: نعم، قال :

(فَمَا يَنْفَعُكُمْ أَنْ أَصَلَّى عَلَى رَجُلٍ رُوحَهُ مَرَّتَيْنِ فِي قَبْرِهِ، لَا يَصْنَعُدُ رُوحَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَوْ ضَمِنَ رَجُلٌ دَيْنَهُ قُمْتُ فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، فَإِنْ صَلَّاتِي تَنْفَعُهُ) .

وروى أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : توفى رجلٌ فغسلناه وكفنناه وحنطناه ثم أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه، فخطأ خطوة ثم قال :

(أَعَلَيْهِ دَيْنٌ ؟) قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملا أبو قتادة، فأتيانا، فقال أبو قتادة: الديناران على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(قَدْ أَوْفَى اللَّهُ حَقَّ الْغَرِيمِ، وَبَرَّى مِنْهُمَا الْمَيِّتَ ؟)

قال أبو قتادة: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيومين:

(مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ ؟)

قال أبو قتادة : إنما مات أمس، قال جابر فعاد إليه من الغد فقال : قد قضيتهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الْآنَ بَرَّدَتْ جِلْدَتَهُ) .

وروى الطبراني عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(أَهَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ ؟ إِنْ صَاحِبِكُمْ حُبَسَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ بِدَيْنٍ كَانَ عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَأَفْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ)

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ)

وروى الطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(صَاحِبُ الدَّيْنِ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ فِي قَبْرِهِ يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْوَحْدَةَ) .

ومن أجل ما يلقي المدين عند موته من عقاب معجل تقرر في شريعة الإسلام أن أول ما يؤخذ من تركة الميت - بعد تجهيزه من التركة بلا إسراف - هو أن يقضى ما عليه من ديون، وذلك قبل تنفيذ وصيته، وقبل قسمة التركة على ورثته، ولو كانوا أطفالا وصغارا.

روى أحمد عن سعيد بن الأطول أنه قال : مات أبونا وترك ثلاثمائة درهم وعيالا ودنيا، فأردت أن أنفق على عياله فقال صلى الله عليه وسلم :
(إِنَّ أَبَاكَ مَحْبُوسٌ بِدِينِهِ فَأَقْضِ عَنْهُ).

ومما تقرر في الإسلام أن الناس إذا ماتوا كانوا على درجات متفاوتة، وتفاوت درجاتهم هناك أعظم من تفاوتها هنا، فقد قال سبحانه : «وَلَا خَيْرَ لَكُمُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» (١)

ومن المعلوم أن أكمل الدرجات وأرقاها هي درجات الشهداء بعد مراتب الأنبياء والصديقين، ومع ما للشهداء من أعظم المنازل فإن المدين منهم لا يسعد بمقامه إلا بعد قضاء الدين الذي عليه.

روى النسائي والحاكم والطبراني عن محمد بن جحش رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا حيث توضع الجناز فرفع رأسه قبل السماء، ثم خفض بصره، فوضع يده على جبهته، فقال :

(سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ؟)

قال فعرفنا وسكتنا، حتى إذا كان الغد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: ما التشديد الذي نزل؟ قال في الدين :

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قُتِلَ رَجُلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ عَاشَ ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ).

وروى أحمد عن محمد بن جحش رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله : ما لي إن قُتِلْتُ في سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال : (الجنة). فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم :

(إِلَّا الدَّيْنَ، سَأَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنْفًا).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ).

وروى الطبراني والحاكم عن سهل بن حنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(أَوَّلُ مَا يُهْرَاقُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ كُلُّهُ إِلَّا الدَّيْنَ)

(١) سورة الإسراء الآية ٢١ .

ومن تبعات الدين الذى لا يقضى أنه يحول بين الملتين وبين أجره عن العمل الصالح، فقد روى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ قرأ كلَّ يَوْمٍ مائَتَيْ مَرَّةٍ قل هو الله أحد، مُحِيَ عَنْهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ) .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم :

(.... وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ)

جزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته على ما حذر وعرف وعلم وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

مشهد من تخرج عند وفاته من الدين الذى عليه

روى البخارى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أنه قال : جعل الزبير يوم الجمل يوصينى يديته ويقول : إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت يا أبى من مولاك؟ قال : الله .

قال عبد الله : ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقض عنه فيقضيه، وإنما دينه الذى كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير : لا ، ولكنه سلف ، فإنى أخشى عليه الضيعة، قال : فحسبت ما عليه من الدين، فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف، فقتل، ولم يدع ديناراً ولا درهما إلا أرضين، فبعتهما، يعنى وقضيت دينه. فقال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا، فقلت : والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه .

فجعل كل سنة ينادى بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم .

مشهد من تخرج بعد وفاته من الدين الذى عليه

عما يؤثر عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم السروجى قاضى قضاة الحنفية بالقاهرة ومصر أنه كان له درج يكتب فيه جميع ما عليه من الدين، فاتفق أنه لما مات أوفوا ما عليه، فجاء شخص وقال : لى عليه مائتا درهم، فنظروا فى الدرج فلم يجدوا شيئا، فقالوا له : ما كتب لك شيئا .

فرآه بعض الفقهاء فى النوم وهو يقول : أعطوا فلانا مائتى درهم، فإن له على ذلك .

فقال له : لِمَ لَمْ تَكْتُبْهَا فى الدرج؟

فقال : هى مكتوبة بخط دقيق .

فأصبح وطلب الدرج، فوجدوه كما قال ، فأعطوا المائتي درهم للطالب.
توفى رحمه الله يوم الخميس ثلثي عشر شهر رجب سنة عشر وسبعمائة (١)
مشاهد من استشهاد الثباتهم على الحق

فى طليعة هؤلاء السيدة سمى بنت خباط، كانت رضى الله عنها مولاة لأبى حذيفة
ابن المغيرة المخزومى، ولما أسلمت كانت سابعة سبعة سبقوا إلى الإسلام، فعذبها أبو
جهل، وطعنها فى قُبْلِهَا فماتت، وكانت أول شهيدة فى الإسلام رحمها الله ورضى
عنها. (٢)

إن استشهاد الثابتين على الإسلام كانت تفيض بخبره الأيام فى مختلف الأقاليم،
وعلى مدى المسيرة الراسخة لهذا الدين، فى أحوال الحرب، وفى أيام السلم.
مع اتساع ميدان الاستشهاد فى الثبات على الإسلام، رأينا ميدانا آخر قد انفتح لمن
استشهدوا من أجل تمسكهم بمذهب أهل السنة والجماعة كالشيخين الجليلين أبى
إسحاق إبراهيم بن محمد الضبى المعروف بابن البرذون ورفيقه أبى بكر بن هذيل.
كان أبو إسحاق من شيوخ السنة المعروفين بالذَّبِّ عن مذهب الإمام مالك، ولم
يكن فى نشأة القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه.

وكان أبو بكر بن هذيل على مثل طريقته، فرفع أمرهما إلى أبى عبد الله الشيعى
أولأخيه أبى العباس، وذكر أن من أمرهما أنهما يطعنان فى دولة الشيعة، فصدر الأمر
بحبس ابن البرذون وابن هذيل .

ثم أمر عامل القيروان حسن بن أبى خنزير بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط،
وبضرب رقبة ابن البرذون، فغلط ابن أبى خنزير، فضرب ابن البرذون، وقتل ابن
هذيل. ثم تنبه من الغد فقتل ابن البرذون.

ولما جرّد إبراهيم بن البرذون ليقتل ، قال له حسن بن أبى خنزير: ترجع عن
مذهبك؟

فقال له : أعن الإسلام تَسْتَبِينِى ؟

فقتل ، ثم ربطت أجسامهما بالحبال، وجرتهما البغال، مكشوفين بالقيروان، وصلبا
نحو ثلاثة أيام، ثم أنزلا ودفنا.

وكانت الحادثة سنة تسع وتسعين ومائتين. (٣)

(١) كتاب المقفى الكبير ج ١ ص ٣٤٩ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٣٤ .

(٣) ترتيب المدارك باختصار ج ٥ ص ١١٨ .

وذكر الدباغ فى معالم الإيمان أن جر الشيخين كان على وجوههما من باب تونس إلى باب أبى الربيع فصلبا هناك .

كما نقل الدباغ عن المالكى بسنده أن عبيد الله لما وصل إلى رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابين البرذون وابن هذيل، فلما وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعى، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله وأبو العباس: اشهدا أن هذا رسول الله ، وأشارا إلى عبيد الله .

فقالا جميعا بلفظ واحد :

والله الذى لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان أنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله.

فأمر عبيد الله بعقابهما على نحو ما تقدم. ^(١)

كما ذكر أبو عبد الله الحشنى قصة جلدهما وقتلهما. ووصف ابن البرذون بأنه كان تلميذا لسعيد بن الحداد، وكان ذا بأس شديد، وأبهة نبيلة، وكان شديد التحكك بالعراقيين ^(٢).

ومن استشهدوا فى هذه السبيل أبو جعفر محمد بن خيرون الماعفرى الأندلسى القيروانى .

قال الشيخ أبو الحسن القابسى رضى الله عنه : ذكر لى من أثق به أنه كان جالسا عند ابن أبى خنزير - لعنه الله - فى سقيفته، حتى دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة، وقد علاه صفار وسمت وخشوع، وعلى رأسه منديل مهلبى، فلما رآه ابن خنزير بكى ، فقال له :

ما الذى أبكاك ؟

قال : السلطان - يعنى عبيد الله - وجه إلى يأمرنى أن آمر بدوس هذا الشيخ حتى يموت، وهو ابن خيرون.

(١) معالم الإيمان ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص ٢٨١ .

ثم أمر به فأدخل إلى المجلس، ثم بَطَحَ على ظهره، وطلع السودان فوق السرير، فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات .

ولما مات أخذوه وحملوه على بغل وألقوه فى حفير .

كان ذلك لجهاده فى الدين ، وبغضه لعبيد الله وجنده، وكان الذى عمل عليه وسعى به هو المروذى لعنة الله عليه .^(١)

ومن مضى فى هذه السبيل الشيخ محمد بن إسحاق الحبلى قاضى مدينة برقة رحمه الله .

كان سبب استشهاده أنه أتاها عامل برقة المعروف بابن كافى فقال له : إن غدا العيد .

فقال القاضى : إن رُئى الهلال الليلة كان كما قلت، وإن لم يُرَ لا أخرج، لأنه لا يمكننى أن أفطر الناس يوما من رمضان، وأتقلد ذنوب الخلق .

فقال له بهذا وصل كتاب مولاى .

فالتمس الناس الهلال فى تلك الليلة فلم يروه، فأصبح العامل إلى القاضى بالطبول، والبنود، وهيته العيد .

فقال له : لا والله لا أخرج، ولا أخطب ولا أصلى العيد ولا أتقلد أن أفطر الناس يوما من رمضان ولو علقت يدي .

فمضى العامل، فجعل من خطب وصلى ، وكتب بما جرى إلى مولاة - فى القبروان - فلما وصل إليه الخبر أمر برفعه إليه، فلما وصل قال له : إما أن تتنصل وأعفو عنك، وإلا فعلت بك ما قلت .

فامتنع من الدخول فى دعوته، وقال له : اعمل ما شئت .

فنصب له صاريا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذى يلى درب المهدي، وعلّق بيده إليه فى الشمس، فأقام كذلك ضاحيا للشمس فى شدة الحر يومه ذلك، فلما كان بالعشى مات - رحمه الله .

وكان يطلب من يسقيه الماء فى ذلك الحال، فلا يجسر أحد من الناس أن يسقيه لشدة خوفهم .

(٢) رياض النفوس ج ٢ ص ٥٥ وكان محمد بن عمر المروذى معتقدا لمذهب الشيعة، فلما دخل الشيعى القبروان بادر إليه، ودخل فى دعوته ولزمه، فولاه قضاء أفريقية فتصلب وأخاف أهل السنة.

فلما مات أخذوه ومضوا به فصلبوه على خشبة بباب أبى الربيع رحمه الله. (١)
وذكر الدباغ أن الخليفة الذى جرت محنة هذا القاضى على يديه، هو إسماعيل
المنصور بن القائم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

مشاهد المجادلين لقاتليهم

لا تخلو حياة الناس من الجدل والمراجعة، فلقد كان الجدل وما يزال من طبيعة
الحياة، والله عز شأنه يقول : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٢)
غير أن المرء قد يشهد فى مسيرة الحياة أنواعا غريبة من الجدل قد تعنف أحيانا، حتى
تتحول إلى مصارعة بين طرفين قويين : طرف قوى بنفوذه وسلطانته، وطرف قوى
برسوخ إيمانه.

روى أبو نعيم أن الحجاج بن يوسف لما أتى بسعيد بن جبير التابعى المعروف قال له:
أنت الشقى بن كُسير ؟

قال: بل أنا سعيد بن جبير.

قال الحجاج: بل أنت الشقى بن كُسير.

قال سعيد: كانت أمى أعرف منك باسمى.

قال: ما تقول فى محمد ؟

قال: تعنى النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قال: نعم .

قال: سيد ولد آدم، النبى المصطفى، خير من بقى وخير من مضى .

قال: فما تقول فى أبى بكر ؟

قال: الصديق خليفة رسول الله مضى حميدا وعاش سعيدا، مضى على منهاج نبيه

صلى الله عليه وسلم لم يغير ولم يبدل .

قال: فما تقول فى عمر ؟

قال: عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله مضى حميدا على منهاج صاحبه لم

يغير ولم يبدل.

قال: فما تقول فى عثمان ؟

(١) رياض النفوس ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٤ .

قال: المقتول ظلماً، المجهز جيش العسرة، الخافر بثر رومة، المشتري بيته فى الجنة، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، زوجة النبى بوحي السماء .

قال : فما تقول فى على ؟

قال: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين.

قال : فما تقول فى معاوية ؟

قال: شغلتنى نفسى عن تصريف هذه الأمة وتمييز أعمالها .

قال : فما تقول فى ؟

قال : أنت أعلم بنفسك .

قال : بُثَّ بعلمك .

قال : إذا يسوؤك ولا يسرك .

قال : بُثَّ بعلمك .

قال : أعفنى .

قال : لاعفا الله عنى إن أعفيتك .

قال : إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى ، ترى من نفسك أمورا تريد بها الهيبة وهى تقحمك الهلكة، وسترده غدا فتعلم .

قال : أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك .

قال : إذن تفسد علىّ دنياى وأفسد عليك آخرتك .

قال : يا غلام، السيف والنطع .

قال الحسن البصرى : فلما ولى سعيد ضحك .

قال الحجاج : أليس قد بلغنى أنك لم تضحك ؟

قال سعيد : وقد كان ذلك .

قال الحجاج : فما أضحكك عند القتل ؟

قال : من جراءتك على الله، ومن حلم الله عنك .

قال الحجاج : يا غلام اقتله .

فاستقبل سعيد القبلة وقال : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

فصرف وجهه عن القبلة، فقال : ﴿فَإِنَّمَا تُوَلُّوا فِثْمَ وَجْهِهِ اللَّهُ﴾ (٢)

(١) الأنعام - ٧٩ . (٢) البقرة - ١١٥ .

قال الحجاج للغلام : اضرب به الأرض .

قال سعيد : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١)

قال الحجاج : اذبح عدو الله ، فما أنزعه لآيات القرآن . (٢)

وقال إسماعيل بن واسط دعاني خالد بن عبد الله القسري وهو يومئذ أمير على مكة ، فقال : يا ابن واسط انطلق بهذا الرجل (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) إلى الحجاج بن يوسف ، فإن عبد الملك بن مروان بعث إلى أن أبعث به إلى الحجاج .

قال : فخرج إلى سعيد بن جبر وهو أحسن الناس وجها وأفصحهم لسانا ، له وفرة إلى شحمة أذنيه ، لم أر في مثل هيئته وتشميره أحدا من أهل زماننا .

قال : فأخذته ووثقته في الحديد ، وانطلقت به حتى نزلت ماء لبنى أسد .

فقال لى يا ابن واسط ، بهذا الماء جماعة من قومي فإن رأيت أن تطلق عني هذا الحديد فعلت ، فأطلقت عنه حديده فانطلق .

فقال لك الله على أن أرجع إليك ، فانطلق ، فجعلت أدعو الله أقول : اللهم لا يرجع إلى ، ويحك يا نفس تذهبين بخير الناس إلى شر الناس ، فوالله ما لبث إلا قليلا حتى عاد ، فتركته مطلقا من حديده ، حتى دنونا قريبا من واسط ، فلما نظر إلى الخضراء قال : يا ابن واسط ما هذه الخضراء ؟ قال : قلت : قبة الحجاج ، فاسترجع فقال : (ما أظن الموت إلا قد أتى) قلت : أو يدفع الله .

قال إسماعيل فأدخلته على الحجاج وقد أوثقته قبل ذلك بالحديد ، فلما نظر إليه الحجاج استوى جالسا ، وكان متكئا ، وقال إيهًا عدو الله ، خرجت علينا مع عبد الرحمن بن الأشعث .

قال سعيد : ما فعلت ، ولكن أتيت بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنا ، فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة .

قال الحجاج : ما اسمك ؟

قال : اسمى سعيد بن جبير

قال الحجاج : الشقى بن كسير ؟

قال سعيد : أمى أعلم باسمى .

(١) طه - ٥٥ . (٢) الخلية ج ٤ ص ٢٩٤ .

قال الحجاج : شَقِيتَ وَشَقِيتَ أَمَك .

قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج : لأوردنك حياض الموت .

قال سعيد : أصابت أُمى اسمى حقا .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

قال سعيد : لو علمت أن ذلك لك لاتخذتك إلها ، لا إله إلا الله .

قال الحجاج : يا سعيد ما علمك بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال سعيد : نبي ختم الله به الرسل وصدق به الوحي ، إمام الهدى ونبي الرحمة

صلى الله عليه وسلم عليه وعلى أهل بيته .

قال الحجاج : يا سعيد ما قولك في الخلفاء ؟

قال سعيد : إنما استحفظت أمرَ بَنِي ، وخيرهم أرضاهم لخالفه .

قال الحجاج : يا سعيد أى رجل أنا ؟

قال سعيد : يا حجاج يوم القيامة تخبر أى رجل أنت ، إذا وقفت بين يديه تبارك

وتعالى ، ثم سئلت عن عملك .

قال الحجاج : فأى رجل أنت ؟

قال سعيد : أنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه .

قال الحجاج : يا سعيد مالك لم تضحك قط ؟

قال سعيد : وكيف يضحك رجل مخلوق من طين ، والطين تأكله النار ،

ولا يدرى إلى ما يصير ، إلى جنة أو إلى نار ، فإن كان مصيره إلى الجنة فقد

فاز ، وإن كان مصيره إلى النار فقد خسر خسرانا مبينا ، ثم هو يوم القيامة

يحاسب .

قال الحجاج : يا سعيد أما رأيت لهواً قط ؟

قال سعيد : ما أعلمه ، فدعا الحجاج بالعود والنأى فضرب بين يديه بهما ، فلما

سمع سعيد النأى بكى بكاء شديداً ثم قال يا حجاج والله ما شبع بطنى أبداً ما بقيت ،

ولا أزال هكذا لما رأيت فى مجلسك هذا ، أما هذه النافخة فذكرتنى قول الله عز

وجل : ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (١)
وقوله ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ﴾ (٢)

وأما هذه الأوتار فقطعت من نفس، ثم هي يوم القيامة تُبْعَثُ معك ، وأما هذه
الخشبنة فنبات أرض قطعت من غير الحق، ذكرتني يا حجاج بكاء طويلا.

قال الحجاج : يا سعيد ما قولك في علي بن أبي طالب أفنى الجنة هو أم في النار؟
قال سعيد : لو أدخلت الجنة وفيها أهلها والنار وفيها أهلها لعلمت يا حجاج، فما
سؤالك عن علم الغيب يا حجاج؟ وقد حجب عنك وقد امتحن الله قلبك بالإيمان.

قال الحجاج : الويل لك مني يا سعيد .

قال سعيد : الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار .

قال الحجاج : إنني قاتلك .

قال سعيد : إذا أخاصمك .

قال الحجاج : أَخْصُمُكَ (يعني أعلو عليك في الخصام).

قال سعيد : هَيَّاتِ يَا حجاج، القضاء يومئذ إلى غيرك، وقد فرغ الله من أمري ،
وَكُتِبَ أَجْلِي ، ومنقطع أثرى .

قال إسماعيل بن واسط فأمر بقتله .

فقال سعيد : أستودعك هذه الشهادة يا حجاج، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أستودعك هذه الشهادة حتى ألقاك فأخاصمك
بين يدي الله، فأمر به الحجاج إلى القتل ، فجعل سعيد يضحك، قالوا أصلح الله
الأمير قد ضحكك. قال: ردوه فسأله : ما أضحكك يا سعيد ؟

قال سعيد : يا حجاج ضحكك من العجب .

قال : وما ذلك العجب ؟

قال : عجبت من تجرئك على الله وحلمه عنك، فإن تكن عافية فمن الله، وإياه
أسأل تمام العافية، وأما أنت يا حجاج فلا براءة لك ولا عذر، فلو طالحت حياتي لكان
مصيرى يوما إلى الفناء، فاذا كر يا حجاج يوم الأبد، والدهر الفانى الذى لا ينجو منه
أحد سالما.

(١) الزمر - ٦٨ .

(٢) النمل - ٨٧ .

قال الحجاج : اضربوا عنقه .

قال سالم بن أبي حفصة لما قال الحجاج اضربوا عنقه قال : دعني أصلي ركعتين .

قال الحجاج : وكّوه قبله النصارى .

قال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

ثم قال الحجاج : يا غلام قم إليه فاضرب به الأرض ضربة ثم اعلُ على صدره لتذبحه، فلما وضع السيف على حلقه قال باسم الله وعلى ملة الله وملة رسوله .

فقال خلف بن خليفة أخبرني بواب الحجاج أن رأس سعيد بن جبير لما وقع على الأرض سمعته يقول لا إله إلا الله (١)

وكان قتل الحجاج لسعيد سنة خمس وتسعين وعمره ست وأربعون سنة .
وقال ابن ذكوان :

إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جبير ، فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال الرسول - وقد رَقَّ له - واللّه إننى لأعلم أنى أذهب بك إلى من يقتلك، فاذهب إلى أى طريق شئت .

فقال سعيد : أنه سيبليغ الحجاج أنك قد أخذتنى، فإن خليت عنى خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بى إليه، فذهب به، فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك .. إلى آخر ما تقدم (٢)

وروى الطبرى : أن عبد الرحمن بن الأشعث لما انهزم بدير الجماجم، ودخل الحجاج الكوفة أجلس مصقّلة بن كرب العبدى إلى جنبه، وكان مصقلة خطيبا، فقال له : أشتم كل امرئ بما فيه ممن كنا أحسنا إليه، فاشتّمه بقلّة شكره، ولؤم عهده، ومن علّمت منه عيبا فعبه بما فيه ، وصغّر إليه نفسه ، وكان لا يبايعه ، أحد إلا قال له : أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال : نعم بايعه وإلا قتله .

فجاء إليه رجل من خنعم قد كان معتزلاً للناس جميعا من وراء الفرات فسأله عن حاله، فقال : ما زلت معتزلا وراء هذه النطفة، منتظرا أمر الناس حتى ظهرت، فأبيت لأبايعك مع الناس .

قال الحجاج : أمتر بص ؟ أتشهد أنك كافر ؟ قال : بش الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة، ثم أشهد على نفسى بالكفر .

(١) كتاب المحن ص ٢١٦ .

(٢) صفة الصفوة ج ٣ ص ٨٣ .

قال الحجاج : إذا أقتلك .
قال : وإن قتلتني فوالله ما بقى من عمري إلا ظمء حِمَارٍ^(١) وإننى لأنتظر الموت صباح مساء .

قال الحجاج : اضربوا عنقه .
قال الطبرى : فزعموا أنه لم يبق حوله قرشى ولا شامى ولا أحد من الحزبين إلا رحمه ورق له من القتل^(٢)

ونقل ابن خلكان عن القاضى أبى الفرج المعافى أنه قال :
كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة، وكانت ذات نية فى رأى الخوارج تجهز أصحاب البصائر، ولم يُظفر بها .
وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة، فمكث ما شاء الله، ثم جئى له برجل فقيل له : هذا ممن جهزته فراشة، فخر ساجدا، ثم رفع رأسه . فقال : يا عدو الله .

قال : أنت أولى بها يا حجاج .

قال : أين فراشة ؟

قال : مرت تطير منذ ثلاث .

قال : أين تطير ؟

قال : بين السماء والأرض .

قال : أعن تلك سألتك عليك لعنة الله ؟

قال : عن تلك أخبرتك عليك غضب الله .

قال : سألتك عن المرأة التى جهزتك وأصحابك .

قال : وما تصنع بها ؟

قال : أضرب عنقها .

قال : ويلك يا حجاج ما أجهلك، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولى الله؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين .

قال : فما رأيك فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟

قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين .

(١) ما بين شربة وشربة .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٦٤ .

قال : ولمَ لا ، أُمَّ لك ؟
قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض .
قال : وما هي ؟
قال : استعماله إياك على رقاب المسلمين .
فقال لجلسائه : ما رأيكم فيه ؟
قالوا : نرى أن تقتله قتلة لم يُقتل مثلها أحد .
قال : ويحك يا حجاج ، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك .
قال : وأىَّ أخوى تريد ؟
قال : فرعون حين شاور في موسى فقالوا : أرجه وأخاه ، وأشار هؤلاء بقتلى .
قال : فهل جمعت القرآن .
قال : ما كان مُفَرَّقاً فَأَجْمَعَهُ .
قال : أقرأته ظاهراً ؟
قال : معاذ الله ، بل قرأته وأنا أنظر إليه .
قال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك ؟
قال : ألقاه بعملى ، وتلقاه بدمى .
قال : إذن أعجلك إلى النار .
قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك ، واتقيت عذابك ، ولم أبغ خلافاً ومناقضتك .
قال : إنى قاتلك .
قال : إذن أخاصمك ، لأن الحكم يومئذ إلى غيرك .
قال : نقمعك عن الكلام السيئ .
ثم قال : يا حرسى اضرب عنقه ، وأوماً إلى السيف ألا تقتله ؟
فجعل السيف يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف .
فلما طال ذلك رشح جبينه .
قال الحجاج : جزعت عن الموت يا عدو الله ؟
قال : لا يا فاسقى ، ولكن أبطأت على بما فيه راحة .
قال : يا حرسى أوجب جرحه .
فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله .

والله لقد أتمها ورأسه فى الأرض^(١)
ولما أسرت أم علقمة الخارجية وأتى بها الحجاج ، وكان قد وقع بينها وبين الحجاج
حروب شديدة فقال لها : يا عدوة الله تخبطين الناس من سيفك خبط العشواء .
فقالت : ويحك أعلى تبرق وترعد ، لقد خُفَّت الله خوفا صيرك فى عيني أصغر من
ذباب .

وكانت منكسة ، فقال :
ارفعى رأسك وانظرى إلى
قالت :
أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه .
فقال :

يا أهل الشام ، ما تقولون فى دمها ؟
فقالوا جميعا :
حلال ، اقتلها أيها الأمير .
فقالت :

ويحك كان جلساء أخيك فرعون خيرا من جلسائك حيث استشارهم فى موسى
وهارون فقالوا أرجه وأخاه ، وهؤلاء الفسقة أمروا بقتلى .
فأمر بها الحجاج فقتلت^(٢)

ونقل ابن خلكان عن القاضى أبى الفرج المعافى أن الحجاج لما حمل له الأسرى
وهو حيثشذ بواسط القصب قبل أن يبنى مدينة واسط قال لحاجبه : قدم إلى سيدهم
فيروز بن حصين .

فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجك مع هؤلاء ؟
قال : فتنة عمت الناس .
فقال : اكتب لى أموالك .
قال : ثم ماذا ؟
قال : اكتبها أولا .
قال : ثم أنا آمن على دمي ؟

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) الكشكول ج ٣ ص ١٠٥ .

قال : اكتبها ثم انظر .

قال فيروز : اكتب يا غلام ألف ألف حتى ذكر مالا كثيرا .

فقال الحجاج : أين هي ؟ وعند من هي ؟

قال : لا والله لا جمعت بين مالى ودمى .

فأمر الحجاج به فعذب بأنواع العذاب، وكان من جملة ما عذب به أن يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ثم يجر حتى يجرح جسده، ثم ينضح عليه الخل والملح، فلما أحس بالموت قال : إن الناس لا تَشْكُنُ أنى قتلت، ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبدا، فأظهرونى للناس ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال فأخرج، فصاح فى الناس : من عرفنى فقد عرفنى أنا فيروز، إن لى عند أقوام مالا فمن كان لى عنده شىء فهو له، وهو منه فى حل، فلا يؤدى أحد منه درهما، ليبلغ الشاهد الغائب .

فأمر به الحجاج عندئذ فقتل^(١)

كان (أَيْلَبَا) مملوكا لطغتكين، وكان فى خدمة شمس الملوك، فاتفق أن خرج شمس الملوك إلى (صيد نايا) يتصيد ، وكانت سيرته قد ساءت ، وانفرد شمس الملوك ، فضربه أيلبا بالسيف ضربة هائلة، فانقلب السيف فى يده، ورمى شمس الملوك بنفسه إلى الأرض، فضربه أخرى، فوقعت فى عنق الفرس، فأثلفه وحال بينهما الفرس وانهزم أيلبا.

وعاد شمس الملوك سالما إلى دمشق، وسار الغلمان فى طلب أيلبا فقاتلهم، وظفروا به.

فلما جاءوا به إليه قال له :

ما الذى حملك على هذا ؟

قال : لم أفعله إلا تقربا إلى الله تعالى لأريح المسلمين منك، لأنك قد ظلمت المساكين وضعفاء الناس، وإن معى فلانا وفلانا، وكلنا قد اتفقنا عليك.

فجمع المتهمين، وقتل الكل صبورا، وأول من قتل أيلبا ولم يكفه قتل المتهمين حتى اتهم أخاه (سونج) فتركه فى بيت وسد عليه الباب فمات جوعا، وذلك سنة ثمان وعشرين وخمسائة وسونج هو ابن بورى أبى طغتكين^(٢)

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) الوافى بالوفيات ج ١٠ ص ٢٥ .

مشاهد من قتلهم أقوالهم

كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانَهُ
كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الْأَقْرَانُ
من الناس من أحسنوا القول، فلم يلق قولهم إلا الغضب العاصف ممن يستمعون
القول، فلا يتبعون أحسنه، فيتعرضون بما قالوا إلى الرفض العنيد، والبطش الشديد،
كما لقي السحرة من قسوة فرعون ما لقوا لما أعلنوا عن إيمانهم برب العالمين.
وإن بطون التاريخ مملوءة بأمثال هؤلاء.

في أيام العبيديين بالقيروان دخل محمد بن موسى التمار في جماعة من رجال
القيروان على عبيد الله في سلام عيد، فاندفع محمد يصف سوء حالة الرعية وما نزل
بهم من ظلم العمال.

فوقع ذلك من عبيد الله موقع الكراهية، واتصل خبر ذلك بمن أسماهم، فعقدوا
عليه شهادة عند صاحب الخبر، ورفعها على يد محمد بن أحمد البغدادي إلى عبيد
الله.

فأمر بضربه مائتي سوط، فضرب ضرباً معنتاً، فمات رحمه الله من ذلك (١)
ومن الناس من انفلتت منهم كلمات، لم يقدروا نتائجها، فتسببت في قتلهم، مع أن
كلماتهم ليست مما يبيح الله بها دماءهم.

قال أحمد بن إبراهيم الهاشمي:

لما عفا أبو العباس السفاح عن سليمان بن هشام بن عبد الملك وعن ابنه، قربهم
وأدناهم، وباسطهم حتى كانوا يسمرون عنده بالليل، وكان سليمان إذا دخل ثنيت له
وسادة، وكذلك لابنيه، وربما طرحت لهم غمارق، ونصبت لهم كراسي.

فبينما هم عنده ذات ليلة أو ذات يوم، إذ دخل إليه أبو غسان الحاجب، فقال يا أمير
المؤمنين بالباب رجل مُلِّمٌ أناخ راحلته وقال:

استأذن لي على أمير المؤمنين، فقلت له: ضع عنك ثياب سفرك، فقال:

لا أخط رحلي ولا أسفر عمتي حتى أنظر إلى وجه أمير المؤمنين.

فقال أبو العباس: سلّه من هو؟

قال أبو غسان: قد فعلت، فذكر أنه سديف مولاك.

فقال أبو العباس: سديف، سديف، ائذن له.

فدخل رجل أحم طويل يتشنى، عليه ممطر خز، ومعه محجن يتوكأ عليه، فلما نظر

(١) قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص ٣٠١.

إلى أبي العباس أسفر عن وجهه، ثم سلم ودنا، وقبل يده، ثم انصرف إلى خلفه، فقام مقام مثله، وأنشده:

أصبح المُلْكُ ثابتُ الأساسِ	بالبهاليل من بني العباس
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثَاراً	وأُفْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَغِرَاسٍ ^(١)
ولقد ساءنى وساءَ سِوَايَ	قُرْبِهِمْ من نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا الدُّ	هُ بَدَارِ السَّهَوَانِ وَالْإِثْعَاسِ
وَأَذْكُرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدِ	وَقَتِيلَا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِحَرَآنَ أَمْسَى	ثَاوِيَاً بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسَى
نَعَمْ شَيْلُ الْهَرَّاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا	أَوْذُ مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ

فقام سليمان بن هشام فقال:

(يا أمير المؤمنين إن مولاك هذا مثل بين يديك يبعثك على قتلى وقتل ابني، ويحدوك على طلب ثأرك منا، وقد بلغنى أنك تريد اغتيالى).

فقال أبو العباس:

والله ما كان عزمي أن أقتلك، ولا أن أسىء بك، ولا أطالب بشيء مما طالبت به أهل بيتك، فأمأ إذ وقع فى خَلْدِكَ أنى أغتالك، فيا جاهل من يحول بينى وبينك، وبين تلك حتى أغتالك؟

ثم أمر بقتله، وقتل ابنه.

فقال سليمان لقاتله أبي الجهم:

إنك قد أمرت بأمر لا بد لك من إنفاذه، وحاجتى إليك أن تقدم ابني (فتقتلهما قبلى) حتى أحسبهما.

ففعل أبو الجهم.

وخرج سُديف وقد وصله أبو العباس بخمسة آلاف دينار، وهو يقول: قد قرت العينان، واشتفت النفس، فله الحمد والشكر^(٢).

ومن لم يقدر نتائج كلماته فأودت بحياته، الربيع بن يونس، فقد كانت له جارية، يقال لها أمة العزيز، وكانت فائقة الجمال، ناهدة الدينين، حسنة القوام، فأهداها إلى

(١) الرقلة هى النخلة الطويلة.

(٢) المحاسن والمساوى ص ٣٨١.

المهدى، فلما رأى المهدى جمالها وهيئتها قال: هذه لموسى الهادى أصلح، فوهبها له، فكانت أحب الخلق إليه، وولدت له بنيه الأكابر.

ثم إن بعض أعداء الربيع بن يونس قال لموسى أنه سمع الربيع يقول: ما وضعت بينى وبين الأرض مثل أمة العزيز.

فغار موسى من ذلك غيرة شديدة، وحلف ليقتلن الربيع.

فلما استخلف دعا الربيع فى بعض الأيام فتغدى معه وأكرمه، وناوله كأساً فيها شراب عسل.

قال ابن القدّاح: فقال الربيع: فعلمت أن نفسى فيها، وأنى إن رددت الكأس ضرب عنقى، مع ما قد علمت أن فى قلبه على من دخولى على أمه، وما بلغه عنى، ولم يسمع منى عذراً، فشربتها.

قال: وانصرف الربيع إلى منزله، فجمع ولده، وقال لهم: إنى ميت فى يومى هذا أو من غد، فقال له ولده الفضل: ولم تقول هذا جعلت فداك؟

قال: إن موسى سقانى شربة سم بيده، فأنا أجد عملها فى بدنى.

ثم أوصى بما أراد، ومات فى يومه أو من غده، ثم تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادى، فأولدها على ابن الرشيد.

كانت وفاة الربيع بعد ولاية موسى الهادى بأشهر، وأوذن بموته، فلم يحضر جنازته، وصلى عليه هارون الرشيد، وهو يومئذ ولى عهده، وذلك سنة تسع وستين ومائة (١)

مشاهد المعتذرين لقاتليهم

كم سرّت مباهج الحياة أناساً، ثم انقلبت أفراحهم فجأة إلى أتراح، وعندصفو الليالى يحدث الكدر.

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْأَنَامِ بِعَبْرَةٍ لَا يُعْجَبَنَّكَ حُسْنُهُ وَرَوَاؤُهُ
بَيْنَاهُ كَالرَّوْضِ النَّضِيرِ تَقْضَبَتْ أَغْصَانُهُ وَتَسَلَّطَتْ شَجَرَاؤُهُ

وكم سجلت الأيام فى دورانها من حوادث الانتقام:

وَبَعْضُ أَنْتِقَامِ الْمَرْءِ يُرْدَى بِعَقْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ إِلَّا بِأَهْلِ الْجَرَائِمِ
نقل ابن خلكان محاوراة المنصور لأبى مسلم الخراسانى فقال:

(١) تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٢٢٨ .

رتب المنصور جماعة يقفون وراء السرير الذى خلف أبى مسلم، فإذا عاتبه لا يظهرون، وإذا ضرب يدا على يد ظهوروا وضرب عنقه.
جلس المنصور ودخل عليه أبو مسلم فسلم، فرد عليه، وأذن له فى الجلوس، وحادثه ثم عاتبه، وقال فعلت وفعلت.
فقال أبو مسلم: ما يقال هذا لى بعد سعى واجتهادى وما كان منى (يعنى من قيامه بالدعوة لبنى العباس، وعمله على تقويض دولة بنى أمية).
فقال له المنصور: يا ابن الخبيثة إنما فعلت ذلك بجدنا وحظنا (يعنى بحب الناس لنا، وميلهم إلينا لقربنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت ما عملت. ثم قال له (مبيناً بعض أسباب نقمته عليه): ألسنت الكاتب إلى فتبداً بنفسك قبلى؟ ألسنت الكاتب تخطب عمتى آسية وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن العباس؟ لقد ارتقيت - لا أم لك - مرتقى صعباً.

فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها، ويعتذر إليه.
فقال له المنصور وهو آخر كلامه: قتلنى الله إن لم أقتلك.
ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى، فخرج إليه القوم وخطبوه بسيوفهم، والمنصور يصيح: اضربوا قطع الله أيديكم.
وكان أبو مسلم قد قال عند أول ضربة: استبقينى يا أمير المؤمنين لعدوك.
فقال: لا أبقانى الله إذن، وأى عدو أعدى منك؟
ولما قتله المنصور أدرجه فى بساط، فدخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور: ما تقول فى أمر أبى مسلم؟
فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل، ثم اقتل، ثم اقتل.
فقال المنصور: وفقك الله، ها هو فى البساط، فلما نظر إليه قتيلاً قال: يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك، فأنشد المنصور:

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

كان قتل أبى مسلم يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة.
(وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٣)
ونقل ابن خلكان عن (مروج الذهب) للمسعودى أن عبد الحميد بن يحيى الكاتب كان كاتباً لمروان آخر ملوك بنى أمية، ولما أيقن مروان بزوال ملكه قال له: قد احتجت

أن تصير مع عدوى، وتظهر الغدر بى، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابك يحوجهم إلى حسن الظن بك.

فإن استطعت أن تنفعى فى حياتى، وإلا لم تعجز عن حفظ حُرْمى بعد وفاتى.
فقال له عبد الحميد: إن الذى أشرت به على أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بى، وما عندى إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى أو أقتل معك، وأنشد:

أُسْرٌ وَقَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرُ غُدْرَةً فَمَنْ لِي بِعُدْرِ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرِ

كما نقل ابن خلكان عن (كتاب الوزراء) للجهشياري أن عبد الحميد الكاتب لما طلبه أبو جعفر المنصور - عند قيام دولة بنى العباس - كان مع صديقه ابن المقفع فى بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما: أنا، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال: ترفقوا بنا، فإن كلاً منا له علامات، فوكلوا بنا بعضكم ويمضى البعض الآخر، ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم، ففعلوا، ثم أخذ عبد الحميد.

كما نقل ابن خلكان عن محمد اليزيدى أن أبا جعفر المنصور أنى بعبد الحميد الكاتب - بعد قتل مروان بن محمد - فقال عبد الحميد:

استبقنى يا أمير المؤمنين.

قال المنصور: وما عندك؟

قال: أنا أبلغ أهل زمانى فى الكتابة.

فقال له المنصور: أنت الذى فعلت بنا الأفاعيل، وعملت بنا الدواهى.

فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم ضرب عنقه.

ونقل ابن خلكان أيضاً أن المنصور دفع عبد الحميد إلى الجبار بن عبد الرحمن

صاحب شرطة المنصور، فكان يحمى له طستا بالنار، ويضعه على رأسه حتى مات.

ثم عقب ابن خلكان على الحالتين قائلاً: والله أعلم أى ذلك كان.

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٢٨)

وأقول:

إذا كان القصد إنهاء حياته للتخلص من وجوده فما الفائدة من التعذيب، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالإحسان فى قتل الحيوان المؤذى وبالإحسان فى ذبح مأكول اللحم فقال:

(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَخْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَخْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلِكَيْدٍ أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ وَلِكَيْرِخٍ ذَبِيحَتُهُ) رواه مسلم عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

فإذا وجب هذا في الحيوان فكيف الأمر في الإنسان؟ ألا إنها الغفلة المطبقة عن قول الله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» سورة الزلزلة.

وهذا أبو الحسن علي بن جبلة الشاعر الضرير المعروف بالعكوك كان قد مدح أبا دُلف العجلى بقصيدة فلما بلغ المأمون خبر القصيدة غضب غضباً شديداً وقال: اطلبوه حيثما كان وأتوني به.

فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيماً بالجل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية، وقد كانوا كتبوا إلى الأفاق أن يؤخذ حيثما كان، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات فظفروا به، فأخذوه، وحملوه مقيدا إلى المأمون. فلما صار بين يديه قال له:

يا ابن اللخناء أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى أبي دلف:
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ يَبْنِي بَادِيَهُ إِلَى حَضْرَةٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرَةٍ
جعلتنا بمن يستعير المكارم منه والافتخار به.

قال العكوك: يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده، وآتاكم الكتاب والحكمة، وآتاكم ملكاً عظيماً، وإنما ذهبت في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس.

فقال المأمون: والله ما أبقيت أحداً، ولقد أدخلتنا في الكل، وما أستحل دمك بكلمتك هذه، ولكني أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم، وجعلت معه مالكا قادرا وهو قولك:

أنت الذي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنْزِلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدَتْ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
ذاك الله عز وجل يفعله، ثم قال:

أخرجوا لسانه من قفاه.

فأخرجوا لسانه من قفاه فمات، وكان ذلك ببغداد سنة ثلاث عشرة ومائتين عن أربع وخمسين سنة.

قال الجاحظ:

كان العكوك أحسن خلق الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً.

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٨)

مشاهد من صلوات ركعتين عند قتلهم

لا أخرج للعبد من لحظات الموت، ولا أقرب إلى المؤمن من ربه، ولا أشرف من أن يتوجه إليه بالصلاة وفي الصلاة، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١) ثم ألم يكن من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة، وفي رواية أنه إذا حز به أمر صلى.^(٢)

من أجل ذلك كان الذين يقدمون إلى القتل يرغب بعضهم في تلك الساعة أن يتوجهوا إلى الله بالصلاة راغبين وراهيين.

فمن هؤلاء خبيب بن عدي الأنصاري الأوسي:

وكان من أمره رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه إلى المشركين عينا فوق بأيدي المشركين أسيراً، ولما عزموا على قتله خرجوا به من مكة حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم:

إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال:

أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال:

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال:

اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً.

ثم قتلوه، فكان خبيب بن عدي رضى الله عنه أول من سن هاتين الركعتين للمسلمين عند القتل.

من (حياة الصحابة ج ١ ص ٧٨٤)

(١) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٢) روى ذلك أحمد وأبو داود عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه.

ومن هؤلاء إبراهيم بن ميمون الخراسي الصائغ:

كان إبراهيم - رحمه الله - من القانتين، وكان إذا رفع المطرقة وسمع النداء تركها وورد الصلاة.

ولما أمر أبو مسلم الخراساني بقتله قال: دعوني أصلي ركعتين، وقال: اللهم إن كان العمل الذي عملته غير رضا فاجعل هذا القتل كفارة.

قال يحيى بن معين تولى قتله رجل لم يحسن القتل، فبقى يومه ذلك يتشحط في دمه، وكان قتله - رحمه الله - سنة إحدى وثلاثين ومائة.

من (كتاب المحن ص ٢٧٥)

ومنهم أبو سعيد خلف بن مسعود الرعيني :

وكان من أمره أنه لما ثارت الفتنة بقرطبة، وقاموا على البرابر أول قيام المهدي اتصلت الثورة بالأندلس، فأغرى العامة به بعض أعدائه، فشدخوه بالحجارة.

وقيل أنه لما أرادوا قتله سألهم أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين، فأمهلوه ثم أضجعوه وذبحوه، وطاقوا برأسه - رحمه الله - وكان ذلك آخر سنة أربع مائة.

من (ترتيب المدارك ج ٧ ص ١١١)

ومنهم أبو نصر محمد بن منصور عميد الملك الكندي:

وكان أبو نصر أول وزير لبني سلجوق، استوزره طغرل بك، ولما توفي طغرل بك وقام بالملكة من بعده ابن أخيه ألب أرسلان عزله لسبب يطول شرحه وولى مكانه الوزير

نظام الملك فحبسه بنيسابور، ثم نقل إلى مرو الروذ فحبس في دار فيها عياله.

ولما أحس بالقتل دخل إلى حجرة، وأخرج كفته، وودع عياله، وأغلق باب الحجرة، واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار وقال له:

حقى عليك أن تكفنتني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم.

وقال لجلاده: قل للوزير بثسما فعلت، علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب

الديوان، ومن حفر مهواة وقع فيها، ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وأنشد عند قتله:

إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتي فالموت قد وسع الدنيا على الناس

قضيت والشامت المغرور يتبعني إن المنية كأس كلنا حاسي

والعجب أن ألب أرسلان ونظام الملك ماتا مقتولين، وكان قتل أبي نصر سنة ست

وخمسين وأربع مائة - رحمه الله - وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة.

من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٧٤)

مشهدان من أفضع أحوال الموت قتلاً

كان محمد بن داود بن الجراح كاتباً عارفاً بارعاً، عالماً بأيام الناس وأخبارهم، ودول الملوك، له في ذلك مصنفات، وكان مع ابن المعتز.

فلما انحل ابن المعتز وقتل اختفى ابن داود.

قال أبو عمر محمد بن يوسف القاضي:

لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب، ومحمد ابن داود بن الجراح، وكنا في دار (الحبس) في ثلاثة أبيات متلاصقات، وبيتى في الوسط، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدر، وأوصى بعضنا إلى بعض. فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى بيت محمد بن داود بن الجراح وأخرجوه وأضجعوه للذبح فقال:

يا قوم ذبحاً كالشاة؟ أين أنتم من المصادرات؟ أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدى نفسى بكذا وكذا. فلم يسمع منه وذبحوه، وأخذوا رأسه، وألقوا جثته في البئر. ثم أخرجوا أبا المثنى بعدما ذهبوا وعادوا، وقالوا له: يا عدو الله يقول لك أمير المؤمنين: بم استحلت نكت بيعتى؟ فقال لعلمي أنه لا يصلح.

فقالوا: أمرنا أن نستتيك من الذنب فإنه كفر، فقال أعوذ بالله من الكفر. فذبحوه وأخذوا رأسه، وألقوا جثته في البئر، ومضوا وعادوا فأخرجوني وقالوا: يقول لك أمير المؤمنين:

يا فاعل ما الذى حملك على خلع بيعتى؟

قلت: الشقاوة، وقد أخطأت، وأنا تائب إلى الله تعالى، فحملوني إلى دار الخلافة وابن الفرات جالس، فوبخنى، وتنصلت واعتذرت.

فقال: وهب لك أمير المؤمنين ذنبك واشتريت دمك وحرملك بمائة ألف دينار.

فقلت: والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط، فغمزنى الوزير، فأديت البعض وسومت بالباقي.

كانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين.

ومن شعره قوله:

قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَلَا نَاسُ وَصَارَ بَعْدَ الطَّمَعِ الْيَاسُ
وَسَادَ أَمْرَ الْقَوْمِ أَذْنَاهُمُ وَصَارَ تَحْتَ الذَّنْبِ الرَّاسُ

من (الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٦١)

مشهد قتل لا أفضح منه

أبو بكر محمد الرملى كبير أهل الرملة المعروف بابن النابلسى كان فقيهاً، زاهداً، مالكي المذهب ذا يسار وظهور، وكان شديداً على بنى عبيد حين ملكوا مصر والشام، ذاماً لهم، منفراً للعامة عنهم، وكان يستنفر الناس لقتال بنى عبيد.

وكان الحسن بن أبى منصور القرامطى الملقب بالأعصم قد دخل بجيوشه الرملة ولم يَسْعَ أباً بكر بن النابلسى إلا مداراته لثلاثي عشر بلده .

ثم زحف الأعصم القرامطى إلى مصر، فهزمه المعز العبيدى، وفر الأعصم إلى بلده الأحساء سنة أربع وستين وثلاثمائة.

ولما انبعثت عساكر العبيديين فى الشام خرج ابن النابلسى من الرملة خائفاً إلى دمشق فقبض عليه بها ، ثم حمل مع ابنه إلى مصر فى جملة من الأسرى المنهزمين وطيف بجمعهم على الجمال، ثم ضربت أعناق الأسرى، وألقيت جثثهم فى النيل.

أما ابن النابلسى فقد أمر به أن يُسلخ من جلده وهو حى بعد أن قتل ابنه بين يديه. فلما سمع أنه سيسلخ من جلده وهو حى رمى بنفسه عن الجمل، وقال لجوهر غلام المعز:

عرّف السلطان أنى أقدى نفسى بخمسمائة ألف، فدخل جوهر، ثم خرج فقال : اذهبوا به واسلخواه.

فرمى بنفسه ثانية، فلطم شديداً، وحُمِلَ إلى المنظر، فبطح على وجهه بالأرض وجلس على ظهره ووركيه ، ومُسكٌ جداً وشق السلاخون عرقوبيه، ونُفخ كما تنفخ الشاة، ثم سلخ، وهو فى كل هذا يقرأ القرآن بصوت قوى وترتيل، إلى أن انتهى السلخ إلى كتفيه، فتغاشى ثم مات، فصلب جسده بناحية، وجلده بعد أن حُشى بناحية أخرى. رحمه الله .

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ٢٨٤)

من أضواء هذا المشهد

إذا استحل العبيدى قتل ابن النابلسى بأى وجه، فكان يكفيه قتله، وهو متمكن من ذلك، أما أن يمثل به على تلك الصورة الفظيعة الشنيعة فذلك مالم يأذن به الله.

روى البخارى عن عبد الله بن زيد الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النهبة والمُثلة.

كما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن حفص أن يعلى بن مرة الشقفي رضى الله عنه كان عند زياد جالسا، فأتى برجل شهد، فغير شهادته، فقال :
لأَقْطَعَنَّ لِسَانَكَ، فقال له يَعْلَى :

أَلَا أَحَدْتُكَ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُمَثِّلُوا بِعِبَادِي) قال فتركه زياد .

إن التمثيل بكل ذى روح حرام فى دين الله، ولو كان تمثيلاً بحيوان.
روى الإمام أحمد عن سعيد بن جبير أنه قال : مررت مع ابن عمر وابن عباس فى طريق من طرق المدينة، فإذا فتية قد نصبوا دجاجة يرمونها، لهم كل خاطئة، قال : فغضب، وقال من فعل هذا ؟ قال : فتفرقوا، فقال ابن عمر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يمثل بالحيوان.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله سيمثل يوم القيامة بمن يمثل بذى الروح ما لم يتب من ذلك.

روى أحمد عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ مَثَّلَ بَذَى رُوحٍ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مَثَلَ اللَّهِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . «وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا»
الإسراء ١٧ .

أما ابن النابلسى فلعل الله قد أكرمه بالشهادة فإن أبا الحسن بن جهضم ذكر فى كتابه فى صدق فراسة المؤمن أن أبا بكر ابن النابلسى خرج مع أبيه فى جماعة يستقبلون الشيخ أبا الحسن على بن محمد بن سهل لما قدم إلى الرملة، فلما نظر الشيخ إلى أبى بكر قال له : مرحبا بشهيد مصر، وكان قوله هذا سنة عشرين، واستشهد أبى بكر سنة أربع وستين وثلاثمائة. رحمه الله .

ونقل ابن أبيك الصفدى فى كتابه (الوافى بالوفيات) عن ابن الشماخ المصرى أنه رأى ابن النابلسى فى النوم فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

حَبَانِي مَالِكِي بِدَوَامِ عَزٍّ وَوَأَعَدَّنِي بِقُرْبِ الْإِنْتِصَارِ
وَقَرَّبَنِي وَأَذْنَانِي إِلَيْهِ وَقَالَ أَنْعَمَ بِعَيْشٍ فِي جَوَارِي
وكان ابن النابلسى - رحمه الله - ممن روى عنهم الدارقطنى.

من (الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٤٤)

مشهد من أسوأ أحوال الموت

روى ابن عساكر عن مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال :
جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصُهب الرومي، وبلال
الحبشي رضى الله عنهم فقال :

هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء ؟
فقام معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخذ بتليبيه - يعنى أمسك بشيابه من عند صدره
- حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقاتله، فقام صلى الله عليه وسلم
مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودى، الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

يا أيها الناس إنّ الرّبَّ ربّ واحد، وإنّ الأبَّ أب واحد، وإنّ الدين دين واحد. ألا
وإنّ العربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هى لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى.
فقال معاذ: وهو أخذ بتلييب ابن مطاطية:

يا رسول الله ما تقول فى هذا المنافق؟
فقال صلى الله عليه وسلم : دَعْنِى النَّارَ .
قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فكان ابن مطاطية فيمن ارتد فقتل فى الردة.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٣٦)

مشهد من أسوأ أحوال الموت

كان إبراهيم بن سيار البصرى المعروف بالنظام ابن أخت أبى الهذيل العلاف شيخ
المعتزلة، وكان النظام رأساً من رؤوس المعتزلة، وهى الطائفة المعروفة بالنظامية، وكان
يقول : إن الإجماع ليس بحجة فى الشرع، وكذلك القياس، وإنما الحجة قول الإمام
المعصوم وكان يميل إلى الرفض، وقد وقع فى أكابر الصحابة رضى الله عنهم،
وقد ذهب جماعة إلى أن النّظام كان فى الباطن على مذهب البراهمة الذين ينكرون
النبوة، وأنه لم يظهر ذلك خوفاً من السيف، فكفره معظم العلماء، وكفره جماعة من
المعتزلة حتى خاله أبو الهذيل والإسكافى وجعفر بن حرب، كل منهم صنف كتاباً فى
تكفيره، وكان مع ذلك فاسقاً مدمناً للخمر.

وكان آخر كلامه والقدح فى يده وهو سكران فى عُلبة له يشرب فيها :
اشْرَبْ عَلَى طَرَبٍ وَقُلْ لِمَهْدَدٍ هَوْنٌ عَلَيْكَ يَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ
فلما فرغ من كلامه سقط من العُلبة فمات من ساعته فى سنة ثلاثين ومائتين .

من (الوافى بالوفيات باختصار ج ٦ ص ١٨)

مشهد من أسوأ أحوال الموت

كان أسعد بن السديد الماعز القبطى قد أسلم فى الدولة الأشرفية، وكان (مستوفى) الديار المصرية.

قال ابن أبيك صاحب كتاب (الوافى بالوفيات) حكى لى شهاب الدين محمود - رحمه الله - فقال :

لما مرض المذكور توجهنا إليه نعوذه، فوجدناه ضعيفا إلى الغاية، وقد وضعوا عنده أنواعا من الحلى والمصاغ المجوهر والعقود، وفيها العنبر الفائق، وأنواعاً من الطيب، ثم قال :

ارفعوا هذا عني .

وأسر إلى خادم كلاماً، فمضى وأتى بحق، ففتحه وأقبل يشمه وقمنا من عنده، ثم إنه مات، فسألنا ذلك الخادم فيما بعد: ما كان فى ذلك الحق؟ فقال :
شَعْرَةٌ مِنْ اسْتِ الرَّاهِبِ الْفَلَانِي الَّذِي كَانَ لَهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا لِمَسَ الْمَاءَ وَلَا قَارَبَهُ.

قال شهاب الدين فأنشدت :

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْساً مِنْ نفوسِهِمْو
إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عود
توفى أسعد بن السديد سنة بضع وتسعين وستمائة

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ٤٦)

مشهد من أسوأ أحوال الموت

نقل القاضى عياض من كتاب (المغرب عن أخبار المغرب) أنه فى أيام
أبى العباس عبد الله بن طالب التميمى قاضى القيروان تم إعدام إبراهيم الفزارى، ثم قال :

وكان إبراهيم شاعرا متفننا فى كثير من العلوم مع استهزاء وطيش، وكان يحضر مجلس ابن طالب لمناظرة الفقه، فقبل إنه كان يزرى به، ويتضحك بأمره، وغمث عنه أمور منكرة، فانتهى ذلك إلى ابن طالب، فطلبه وحبسه، وشهد عليه أكثر من مائتين بالاستهزاء بالله، وبكتاب الله وأنبيائه، وبنينا صلى الله عليه وسلم قيل : كان منهم ثلاثون عدلا .

فجلس له ابن طالب، وأحضر العلماء، يحيى بن عمر وغيره، وأمر بقتله، فطعن بسكين فى حنجرته، وصلب منكسا، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق بالنار.
وحكى بعضهم أنه لما رفعت خشبته وزالت عنه الأيدي استدارت وتحولت عن

القبلة، فكانت آية للجميع، فكبر الناس، وجاء كلب فولغ فى دمه، فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسند حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لَا يَلْغُ الْكَلْبُ فِي دَمِ الْمُسْلِمِ) .

من (ترتيب المدارك ج ٤ ص ٣١٣)

مشهد من كانت وفاته عبرة

القاضى عبد العزيز بن عبد الواحد المعروف بالرفيع الجبلى كان عنده شهود زور، ومن يدعى زوراً.

فيُحضر الرجل المتمول إلى مجلسه، ويُحضر المدعى عليه بألف أو ألفين، فينكر. فيُحضر الشهود، فيلزمه، ويحكم عليه، فيصالح غريمه على النصف أو أكثر أو أقل.

فاستبيحت أموال الناس.

قال أبو المظفر بن الجوزى:

حدثنى جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة، دهرى، مستهتراً بأمور الشرع، يجرى إلى الصلاة سكران، وأن داره كانت مثل الحانة.

وفى ثانى عشر ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وستمائة أخرج الرفيع من داره، وجلس بالمقدمة، ثم أخرج ليلاً، وسجن فى مغارة فى نواحي البقاع، وقيل ألقى من شاهق .

قال ابن واصل:

حكى لى ابن صبيح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى (شقيف أرنون) فعرف أنى أريد أن أرميه فقال :

بالله عليك، دعنى أصلى ركعتين.

فأمهلته حتى صلاهما، ثم رميته فهلك.

وحكى بعض الذين باشره أنه لما رموه فى تلك الهوة تحطم فى نزوله، وكأنه تعلق فى بعض جوانبها بشيابه، فبقينا نسمع أنيته نحو ثلاثة أيام، وكلما مر يوم يضعف ويخفى، حتى تحققنا موته، ورجعنا عنه، نسأل الله تعالى حسن العاقبة. (١)

وقال شمس الدين الذهبي :

حدثنى الإمام محمد بن متتاب أن عز الدين الموصلى كتب إليه وأرانى كتابه، قال :

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥٣ .

كان لنا رفيق يشهد معنا فى سوق الطعام يقال له (شمس الدين بن الحشيشى) كان يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويبالغ، فلما ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترقص (القان خربندا) افترى وسب فقلت :

يا شمس قبيح عليك أن تسب وقد شبت، مالك ولهم، وقد درجوا من سبعمائة سنة، والله يقول : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فكان جوابه: والله إن أبا بكر وعمر وعثمان فى النار، قال ذلك فى ملا من الناس، فقام شعر جلدى، فرفعت يدى إلى السماء وقلت :

اللهم يا قاهر فوق عباده، يا من لا يخفى عليه شىء، أسألك بنبيك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بى آية، وإن كان ظالما فأنزل به ما يعلم هؤلاء الجماعة أنه على الباطل فى الحال .

فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه، واسود جسمه حتى بقى كالقير^(١) وانتفخ، وخرج من حلقه شىء يصرع الطيور، فحمل إلى بيته، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات، ولم يتمكن أحد من غسله مما يجرى من جسمه وعينه ودفن .

وقال ابن متتاب جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة، وكانت وفاة (ابن الحشيشى) سنة عشر وسبعمائة .^(٢)

من أضواء هذا المشهد :

إن هذا المسكين المغرور قد حملة الطيش على اقتحام ثلاثة مخاطر :
أولها: إصراره على معرفة غيب لا يعلمه إلا الله .

ثانيها: إعلانه عن مخالفة ما ثبت عن الله ورسوله، من حيث إن أولئك الثلاثة قد شهد الله بأنه سبحانه رضى عنهم، إذ يقول فى القرآن : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(٣) وجميعهم من أهل بيعة الرضوان إضافة إلى أنهم من العشرة المبشرين بالجنة، إلى ما لا يكاد يحصى من فضلهم وجهادهم فى الله حق جهاده.

(١) القير هو القطران. (٢) الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٢٢ .

(٣) سورة الفتح الآية ١٨ .

ثالثها: تأليه على الله بأن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبين قد أدخلهم الله فيما ذكر هذا الطائش المسكين .

إن التآلى^(١) على الله أمر محرم ، والمتآلى يقتحم الهلكة هذا إذا كان التآلى فى شأن أحد العصاة، فكيف إذا بلغ فى تطاوله إلى النيل من أهل الفضل وخيرة هذه الأمة .

روى مسلم فى صحيحه عن جندب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث (أن رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان، إن الله تعالى قال : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَىَّ أَنِّي لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) .
وروى أحمد وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَتَوَاحِشَيْنِ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مَذْنِبًا وَالْآخَرُ مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ ، فَقَالَ خَلْنِي وَرَبِّي ، أُبْعِثَ عَلَىَّ رَقِيبًا .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ لَا يَدْخُلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ .

فَقُبِضَ رُوحُهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدُ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا ؟ وَقَالَ لِلْمَذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) .

مشاهد من جرى القدر بموتهم عند الدعاء عليهم

قد يحمل الطيش وضعف الإيمان بعض الناس على الظلم، مع أن الله سبحانه قد قال فى الحديث القدسى : (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا) .

رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه .

واتفق البخارى ومسلم على أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له :

(اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)

(١) التآلى هو الخلف .

كما روى الطبراني في معجمه الصغير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه :

(اَشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرِي) .

وكان زيد بن حكيم يقول : ما هبت أحدا قط هييتى رجلا ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول حسبي الله، الله بيني وبينك .

وقال بعض الشعراء :

لَا تَظْلَمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالْظَّلْمَ مَرْجِعَ عِقَابِهِ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنَ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ

والمظلومون كثيراً ما يضرعون إلى الله أن ينتقم من ظالمهم، فيستجيب الله لهم في الوقت .

وقد يفرغ المظلومون إلى من يرون أنه مرجو الإجابة من الله، فيدعو على ظالمهم، فيقبل الله دعاءه عاجلاً .

وإليك نماذج من هلاك الظالمين عند الدعاء عليهم :

أكان مطرف بن عبد الله عبد الناس وأنسكهم، وذكروا أنه وقع بينه وبين رجل منازعة، فرفع يديه - وكان في مسجد البصرة - وقال :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَلَّا يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تَكْفِيَنِي إِيَّاهُ .

فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرَّع الرجل فمات، ثم أخذ مطرف وقدموه إلى القاضي، فقال القاضي : لم يقتله، وإنما دعا عليه فأجاب الله دعوته، فكان بعد ذلك تتقى دعوته .

مات مطرف - رحمه الله تعالى - سنة سبع وثمانين وقيل خمس وتسعين .

من (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١١)

مشهد من شتم عليا فدعا عليه

سعد فهلك في الحال

روى أبو عبد الله الحاكم عن قيس بن أبي حازم أنه قال :

كنت بالمدينة، فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة، وهو يشتم على بن أبي طالب رضى الله عنه ، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم فقال :

ما هذا ؟

قالوا : رجل يشتم على بن أبي طالب رضى الله عنه .

فتقدم سعد، فأفرجوا له، حتى وقف عليه، فقال :

يا هذا علام تشتم على بن أبي طالب كرم الله وجهه؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألم يكن أزهـد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر أشياء حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم إن هذا يشتم وكيًا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك
قال قيس :

فو الله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته، فرمته على هامته فى تلك الأحجار، فانفلق دماغه فمات .

قال أبو عبد الله الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ومسلم، ووافقه الذهبى.

كما أخرج هذا الحديث أبو نعيم فى دلائل النبوة عن ابن المسيب بنحو السياق المتقدم.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥)

مشهد مصرع جرى يتصرف بلا نظر للدين

لما مات سليمان بن عبد الملك وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه خالد بن الريان متقلدا سيفه فى اليوم الذى استخلف فيه عمر، فقال له عمر:
يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه فى بيتك، واقعد فيه، فإنه لا حاجة لنا بك، أنت رجل إذا أمرت بشيء فعلته، لا تنظر لدينك.
فلما ولى خالد نظر عمر فى قفاه فقال:

اللهم يا ربّ إني قد وضعتك لك، فلا ترفعْه أبداً، فما لبث خالد إلا جمعة حتى ضربَه الفالج فقتله.

من (المحاسن والمساوىء ص ٥١٦)

مشهد مصرع حاكم حكم الله عليه

كان عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من أجمل الناس، وكان قد جعل على كل زوج (من الأبقار) تحرت ثمانية دنانير، فضاق الأمر بالناس، فقدم حفص بن عمر الجزرى مع رجال صالحين من أهل الجزيرة، فدخلوا على أبى العباس، فقال له حفص:

أيها الأمير، اتق الله الذى إليه مصيرك . وأرحم شبابك هذا، واحذر على وجهك

الجميل النار، وخفف عن الناس، وأسقط عنهم ما وضعت على الأزواج من هذه الدنانير .

فقال : لست أفعل ، ولا أحطهم شيئا .

فخرجوا من عنده يريدون القيروان، فقال لهم حفص :
تصلون ركعتين تخلصون فيهما الدعاء، ونضرع إلى الله، لعله يكفيناه، فإننا قد
يشتنا من المخلوقين فنرجع إلى الخالق عز وجل، فتوضأوا وصلوا ركعتين .
ففعلوا ثم قال حفص :

اللهم إن هذا الرجل الذى فضلته على عبادك فى هذه الدنيا، ومكنته فى بلادك قد
ظلمنا، وعمل علينا ما لا نقوى ولا نطيق دفعه، ولا نستطيع منعه، فاكفناه، واحكم بيننا
وبينه وأنت خير الحاكمين .

فما لبث أبو العباس إلا خمسة أيام ثم خرجت له قرحة عظيمة تحت أذنه مات منها
فى اليوم السابع من دعائهم .

من (رياض النفوس ج ١ ص ٢٣٨)

مشهد من نوى سحق طرابلس الغرب

جاء فى كتاب الدول المنقطعة أن باديس بن منصور بن بلكين الصنهاجى قصد
طرابلس، ولم يزل على قرب منها عازما على قتال أهلها، وحلف على ألا يرحل عنها
حتى يعيدها قدنا للزراعة لسبب اقتضى ذلك .

فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز، وقالوا يا ولى الله قد بلغك ما قاله
باديس، فادع الله أن يزيل عنا بأسه، فرفع يديه إلى السماء وقال :
يَا رَبَّ بَادِيسَ اكْفِنَا بَادِيسَ

فهلك باديس فى ليلته بالذبحه والله أعلم .

وكان ذلك لما مضى نصف الليل من ليلة الأربعاء سلخ ذى القعدة سنة ست
وأربعمائة عن اثنين وثلاثين عاما .

مشهد من دعا مفوضاً أمره وأمر خصمه إلى الله

خرج عبد الله الأموى على حفيد أخيه عبد الرحمن بن الحكم، ولما صلى الجمعة
عازما على أن يخرج يوم السبت قال فى خطبته :

اللهم إِنْ كُنْتُ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَفِيدِ أَخِي فَأَنْصِرْنِي عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ
هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي وَأَنَا صَنَوْتُ جَدَّهُ فَأَنْصِرْهُ عَلَيَّ .

فَأَمَّنُوا عَلَى دَعَائِهِ، وَلَمْ يَسْتَتِمْ كَلَامَهُ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ، فَسَقَطَ مَقْلُوجاً،

فَكَمَّلَ النَّاسَ صَلَاتَهُمْ بِغَيْرِهِ، وَافْتَرَقَ الْجَمْعَ وَصَارَ إِلَى بَلْتَسِيَّةَ فَمَاتَ بِهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ .

من (المغرب فى حلى المغرب ص ٤٧)

مشهد مصرع ظالم دعا عليه أبو إسحاق الجبنيانى فمات

كان رجل من أهل السنة، وبقرته مشاركة ومعتزلة، ليس فيهم سنى غيره، وعلى قريرتهم كتمانى يقال له : (أبو دُكْرُكْ) وهو فرعون من الفراعنة، فقال جيران السنى لأبى دكرك:

نكتب عليه محضراً أنه يسب السلطان، وتأخذ أنت ماله ونقتله، فإذا سألك السلطان عن قتله أخرجت المحضر.

فأمر أبو دكرك باعتقال دار الرجل لينزل عليها بالليل.

فتحصيل السنى حتى خرج من الدار، ووصل إلى الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن على الجبنيانى، وقد ذهل عقله، فسلم عليه سلاماً محتملاً، فقال له :
ما بالك؟

فقال : أبو دكرك جرى على منه كذا وكذا.

فقال له : ومن هو أبو دكرك، دكرك الله به الأرض؟

ثم قال لمن حوله:

إن صاحبكم مضطر فاقصدوا فيه باب الملك الجبار .

وأقبل على الدعاء، ومن حضر يؤمن ثم قال :

اللهم دكرك بأبى دكرك الأرض؟

فلما كان الغد أتانا الخبر فعرفنا أن أبا دكرك قتله عبيد والى البلد وأخفوه، فاجتهد فى طلب جسده، وبذل السلطان عليه مالا، فما وُجد له أثر.

لقد دكرك الله تعالى به الأرض، وسلم السنى .

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٣٥)

مشهد سكير دعا عليه أبو إسحاق فمات

قال التستري :

وصل إلينا (حمى الترجمان) وطلب من أهل موضعنا خمرا، فقالوا له :

ما بهذا البلد أحد يشربها، لأننا بجوار هذا العابد، يعنون الشيخ أبا إسحاق إبراهيم الجبنيانى ، فقال :

مَنْ الْعَابِدُ؟ أُنَا أَخْرَجَ قَلْبَهُ عَلَى رُمْحِي، مَا يَعْرِفُ هُوَ غَيْرَ مَوْلَاهُ، يَعْنِي السُّلْطَانُ.
فَمَضَى أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَبْكُونَ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ فَعَرَفُوهُ، وَقَالُوا إِنَّا خَائِفُونَ عَلَى أَنْفُسِنَا
وَحَرِيمِنَا، وَقَدْ تَرَكُوا مَعَهُ أَحَدَهُمْ يَلَاظِفُهُ.

فوجدوا أبا إسحاق مستقبل القبلة، فدعا بدعاء عظيم ثم قال :
تُكْفَوْنَ مَوْتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَدْخُلُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا .
قال أبو القاسم :

فرجعوا ورجعت معهم ، فوجدناه قد شد على خيله متوجها إلى الجبل، فسقط في
جُرُفٍ، وسقط عليه فرسه فمات.

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٣٦)

مشهد من هدد السبائي فدعا عليه فأمامته الله

دخل إلى السبائي رجل من حاشية السلطان فتجهمه الشيخ، فخرج من عنده ، فلقى
بعض أصحاب الشيخ، فذكر له قصته معه، ثم قال له :
ليس ثم إلا الخير، قل له سوف ترى أنت .

قال فخرجت من عنده إلى داري، فبعد ساعة خرجت، فإذا الناس يقولون :
مات فلان، فجئت إلى الشيخ فأخبرته، فقال قد كفيينا ما نحذر والحمد لله.

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٦٦)

مشهد ظالم دعا عليه السبائي فمات

قال محمد بن إدريس :

خرجت أريد الخانوت، فلقيت أبا العباس بن غانم، فقال لي : وأنتم هنا ؟ والله لا
سكتتم هذا الدرب معي، فاعملوا على الانتقال، لأنكم من حزب السبائي، وهددني
وخوفني، فجئت إلى السبائي فأخبرته وبكيت، فقال لي :

ليس عليك منه شيء، إنما هو كلب ينبج، اللهم عاجله ولا تمهله.

فلما خرجت من عنده وقربت من داري إذا هو قد أوتى به ميتاً من الحمام.

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٦٦)

مشهد من سقط فانتثر دماغه وقد دعا عليه القابسي

كان بالمهدية رجل نصراني - وكان عمه من خاصة باديس بن حبوس صاحب
القيروان - قد افتض صبية شريفة .

فلما سمعت بذلك العامة رجعوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك باديس فعظم عليه أمر

ذلك، وأرسل قائداً بعسكر إلى المهديّة فقال لهم اقتلوا من هو قد السيف إلى ما فوق (يعنى من كانت قامته تساوى طول السيف فأكثر) .

وبلغ ذلك أبا الحسن القابسي، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء فى كشف هذا الأمر.

فلما وصل القائد إلى قصر مسور قرب المهديّة مات فيه، قام بالليل وهو سكران يمشى على السطح فمشى فى الهواء، وسقط على رأسه، وانتشر دماغه. وجاء البريد بذلك إلى باديس، وأعلم بدعاء أبى الحسن، فرُعبَ لذلك، وقال لأبى العرب وكبراء رجاله تمشون للشيخ الخ

تمشون للشيخ (يعنى لتخفيف وقع الحدث) فمشوا له.

فلما ضربوا عليه الباب وأعلم بهم، قال لهم:

تمضون إلى الجامع حتى يأتاكم العلماء، ولم يدخلهم داره، ووجه إلى أصحابه أبى بكر بن عبد الرحمن، وأبى عمران الفاسى، وأبى القاسم بن الكاتب، وأبى محمد اللوى، وأبى عمرو بن العتاب، والخواص، وابن سفيان، وأبى عبد الله المالكى، ومكى القرشى، وابنى الأجدابى والربعى، وابن سمحان وغيرهم، وأملى عليهم رسالة فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم بالله أستعين، وعليه أتوكل، الغوث، الغوث بما حل بالمسلمين من الافتيات عليهم ثم ينادى بمثل هذا .

وفى فصل منها :

كيف يحل لمن يعتقد الإسلام أن يقوم فى دم كافر اغتصب صبىة من سلالة المصطفى عليه السلام؟ ولو انطبقت السموات والأرض من أجل هذا الفعل كان قليلا .
وهى رسالة طويلة، وقال لأصحابه إذا وصلتكم إلى الجامع فليقرأها واحد منكم على المنبر ممن له صوت، ففعلوا ذلك، فجعل القواد يقول بعضهم لبعض :
والله ما السلطان إلا هذا الشيخ .

من (ترتيب المدارك ج ٧ ص ٩٧)

مشهد من طيرت دماغه سارية وقد دعا عليه ابن المضاء

قال أحد الناس :

كنت فى مسجد إبراهيم بن المضاء الأسدى القيروانى أحد تلاميذ سحنون، والقراء والناس مجتمعون، إذ أتى رجل فقال :
يا معشر المسلمين إنى رجل فقير ذو بنات، ولى دار جوار دار عامر بن عمرو بن

زرارة من أصحاب السلطان، وإنه بنى عُلْيَة، وفتح أبوابا مطلة على دارى، وبناتى فدعا إبراهيم ودعا الناس .

قال من سمع الدعاء : فما برحت حتى أتى رجل فقال :
تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه، أو نحو هذا ، فقد انهدمت عُلْيَة عامر، ضربته سارية طيرت دماغه، فتفرق الناس.
مات ابن المضاء سنة خمسين ومائتين.

من (ترتيب المدارك ج ٤ ص ٢٣٦)

مشهد هلاك مفتر دعا عليه ابن التبان

قال الليبى إن أبا محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان ذكر يوما - فى المنستير - كراهية مالك بن أنس الاجتماع على قراءة القرآن وأن ذلك بدعة .
فقال له رجل :

كيف تقول إن قراءة القرآن بدعة ؟

فقال أبو محمد : لم أقل هذا .

فخرج الرجل وصاح : إن ابن التبان قال : قراءة القرآن بدعة، فزحف الناس من كل جهة منكرين لهذا، وأتوا حجرته، فجعل يرفق بهم ويلين لهم، فمنهم من يفهم ومنهم من لا يفهم .

ثم حول أبو محمد وجهه للذى شنع عليه وقال له :

أنجعت قلبى ، أنجع الله قلبك، أنجعك الله بنفسك وولدك ومالك.

قال الليبى : فأجيب دعوة الشيخ فيه، تهوس ولده فصار من جملة المجانين، وذهب ماله، وابتلى بداء البطن، فكان منه موته.

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٥١)

مشهد من ضربته حية فمات وقد دعا عليه أبو جعفر

أتى رجل إلى أبى الحسن الكاظمى رضى الله عنه بالمنستير يسأله الدعاء ، فقال له :
امض إلى مدينة سوسة إلى أبى جعفر القمودى، وذلك فى شهر رمضان، فإذا قرعت بابه ولم يفتح لك فأعد القرع ، وقل : نأتى مضطرين، وقد أقرحنا، ونزلت النوازل بنا إلى قوم رغبة فى دعائهم، فغلقوا أبوابهم فى وجوهنا، اللهم لا تغلق أبواب رحمتك عنا، وارفع بذلك صوتك حتى يسمعك.

قال : فلما وصل الرجل فعل كما أمره أبو الحسن .

فلما سمعه أبو جعفر نزل إليه، فقال له بخفض صوت:

أى يوم هذا؟

فقال له: يوم الجمعة.

فقال له: وأى شهر هذا؟

فقال له: شهر رمضان.

فقال له: فى يوم جمعة، فى شهر رمضان يكلم الناس الناس ويرفعون

أصواتهم؟

فقال له: أنا رجل مضطر.

فقال: ما خبرك؟

فقال له:

غلام ابن أبى سعيد الضيف وكيل المنزل الذى أنا فيه حل علىّ منه كذا وكذا، فهربت منه بروحى، وأسلمت أهلى وولدى ومالى فى يديه، فقال له أبو جعفر:

كفاك الله مؤنته، وأقلبك بمغفرة.

فمضى الرجل، فلجأ إلى جامع سوسة، فهو فى اليوم الثانى جالس فى الجامع رأى رجلاً من أهل منزله يدور عليه، فلما التقى معه قال له:

أبشر فقد مات الوكيل.

فقال له: وكيف ذاك؟

فقال: هو بالأمس فى أحسن ما مر به حتى ضربته حية، فهو فى النزع إلى البارحة، فلما كانت البارحة مات.

فقال له: أى وقت ضربته الحية بالأمس؟

فوصف له الوقت، فلإذا هو الوقت الذى مضى هو فيه إلى أبى جعفر ودعا له فيه.

.... ومن أحوال أبى جعفر أنه قال مرة لأبى جعفر الأربسى: ماتريد بجلوسك مع

هؤلاء الذين يدخلون إليك ويشغلونك؟

فقال له: أستأنس بهم.

فقال له أبو جعفر القمودى:

لو ذقت حلاوة الأنس بالخالق ما احتجت إلى مؤانسة المخلوقين، فقد جاء في الحديث القدسي: (أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي).

ودخل أبو عبد الله بن دارة المتعبد على أبي جعفر القمودي فأقبل يحدثه فأكثر عليه في حديثه، فقال له أبو جعفر:

يا أبا عبد الله أَبْعَدَ الْمَوْتِ عَمَلٌ ؟

فقال : لا .

فقال : سلام عليك .

واستقبل القبلة وأحرم للصلاة .

من (رياض النفوس ج ٢ ص ٢١٥ - ٢٢٥ وما بعدها)

مشهد من تلا القرآن تعريضا بيحيى بن عمر

فدعا عليه فمات

قال أبو بكر الزويلي :

ألف يحيى بن عمر كتابا في النهي عن حضور (مَسْجِدِ السَّبْتِ)
فدسوا عليه رجلا أندلسيا كان حسن الصوت بالقراءة، فأتى إلى مسجد
يحيى بن عمر وهو المسجد الذي بحذاء (حَمَامِ النُّعْمَانِ) فلما فرغ
يحيى بن عمر من صلاة الظهر وسلم استفتح الأندلسي بصوت حسن
وقرأ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة - ١١٤ . فبكى يحيى بن عمر حتى سالت دموعه على لحينه ثم
قال :

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْقَارِئَ مَا أَرَادَ بِقِرَاءَتِهِ رَضَاكَ وَلَا مَا عِنْدَكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ، نَقْصِي
وَعَيْبِي، اللَّهُمَّ فَلَا تَمْهَلْ بَعْدَ ثَلَاثَ .

فيقال : إنه ما بلغ ثلاثة أيام حتى مات فيها، واستجاب الله فيها دعوته .

من (رياض النفوس ج ١ ص ٤٩٣)

من أضواء هذا المشهد وقضية مسجد السبت

كان مسجد السبت يقع فى الجنوب الشرقى لمقام أبى زمعة البلوى رضى الله عنه على نحو مائتى متر، وكان يحضره جمع من الشيوخ، ويحضر معهم الزهاد وأهل الصلاح، وتقرأ فيه بعض الآيات والأشعار الواعظة وأخبار العباد والزهاد.

وكان ثلاثة من علماء القيروان لا يحضرونه ، وهم أبو الحسن القابسى ، وأبو عمران الفاسى، ويحيى بن عمر، حتى أن ابن عمر ألف تأليفا دعا فيه إلى عدم حضوره لكونه يرى ذلك بدعة، وشدد النكير على من يحضره.

وكان من شأن ابن عمر أنه يتصدى إلى كل ظاهرة تطرأ على خلاف ما كان عليه السلف فيبادر إلى وضع تأليف فيها، ومن تأليفه فى هذا الشأن رسالة فيمن تأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة.

ومع أن ابن عمر دعا إلى عدم حضور (مَسْجِدِ السَّبْتِ) فإن أبا بكر بن اللباد كان لا ينقطع عن التردد عليه، حتى أنه ذهب إليه فى يوم مطير، فكان يخوض فى الطين ، متوجهاً إليه ، فلقى رجلاً فسلم عليه، وقال له :

أصلحك الله، فى هذا الطين؟ يعز على يحيى بن عمر لو رآك، فقال له الشيخ أبو بكر:

ليس أنا غلام ابن عمر (أى حتى لا أقدر أن أخالفه) قال الله تعالى :
﴿ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ التوبة - ١٢٠ وحضور هذا المسجد يغيب بنى عبید.

من (معالم الايمان ج ٣ ص ٢٧)

وزاد المالکى :

ثم قال أبو بكر : نحن قوم محبوسون نأتى إلى هذا المسجد للراحة والفرجة، ونقترح عليهم أشعار أبى معدان، فإن فيها الزهد، فسكت الرجل .

من (رياض النفوس ج ٢ ص ٢٨٦)

مشاهد من جرى القدر بموتهم عند الدعاء على أنفسهم

إذا استوفى المرء ما حدد الله من عمره، فقد حان أجله، فيتوفاه الله سبحانه، وقد يقترن انتهاء عمره بأمر ما، فيقال: أنه مات عند كذا وكذا، كأن يقال: مات عندما دعا عليه بعض الناس.

ولعل من الناس من يأتون - في آخر حياتهم - بأعمال سيئة تحمل أناساً على الدعاء عليهم بالموت، فيقترن صعود الدعاء بنزول الموت، ويشفى الله بذلك الاقتران صدور قوم مؤمنين، وكم لله من تصرف في أمر يربطه بأمر آخر، وله في ذلك عجائب الحكم البالغة.

والعبد الصالح قد يتبرم - في آخر عمره - بالحياة لسبب ما فيدعو على نفسه بالموت ويقترن دعاؤه بوفاته، وقد تكرر هذا الأمر في حياة الناس.

إن أعمار الناس معلومة المقادير عند الله، فإنه سبحانه قد علم كل شيء قبل كونه فقدره تقديراً، وكتب الأعمار عنده، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر - ١١. أما تعمير الإنسان فهو تجاوزه السبعين سنة، وأما التنقيص من عمره فقليل هو ما يمضي منه، كأن يمضي يوم، يومان، ثلاثة.... الخ وعلى هذا المعنى ورد قول القائل:

حَيَاتِكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكَلَمًا مَضَى نَفْسٌ مِنْهَا انْتَقَصَتْ بِهِ جِزَاءُ

هذا وجه في تفسير الآية، ويؤيده ما رواه مسلم والنسائي، وابن أبي شيبه وأبو الشيخ عن عبد الله بن مسعود أن أم المؤمنين أم حبيبة رضی الله عنها لما قالت: اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقال لها: إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَنَارَ مَوْطِئَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يَعَجَلُ شَيْئاً مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَعْفِيكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْراً لَكَ

وفي تفسير الآية وجه آخر ذكره الشيخ ابن عاشور رحمه الله قائلا:

(فَكَيْفَ يَثْبُتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلْأَعْمَارِ زِيَادَةٌ وَنَقْصٌ مَعَ كَوْنِ الْأَعْمَارِ فِي كِتَابٍ وَعِلْمٍ لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ؟)

وكيف يرغب في الصدقة مثلاً بأنها تزيد في العمر؟ وأن صلة الرحم تزيد في العمر؟
ثم قال :

والمخلص من هذا ونحوه، هو القاعدة الأصلية الفارقة بين كون الشيء معلوماً لله تعالى، وبين كونه مراداً، فإن العلم يتعلق بالأشياء الموجودة والمعدومة، والإرادة تتعلق بإيجاد الأشياء على وفق العلم بأنها توجد.

فالناس مخاطبون بالسعي لما تتعلق به الإرادة، فإذا تعلقت الإرادة بالشيء علمنا أن الله علم وقوعه وما تصرفات الناس، ومسايعهم إلا أمارات على ما علمه الله لهم ، فصدقة المتصدق أمانة على أن الله علم تعميره، والله تعالى يظهر معلوماته في مظاهر تكريم أو تحقير، ليتم النظام الذي أسس الله عليه هذا العالم، ويلتزم جميع ما أَرَادَهُ اللهُ من هذا التكوين على وجوه لا يُخِلُّ بعضها ببعض، وكل ذلك مقتضى الحكمة العالية.
ثم قال :

ولا مخلص من هذا الإشكال إلا هذا الجواب، وجميع ما سواه- وإن أقنع ابتداء - فمآله إلى حيث ابتداء الإشكال .

(التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٧٨)

إن انتهاء عمر الإنسان معلوم عند الله مذ كان في بطن أمه، فإذا توفي الله عبده عند انقضاء أجله، وكانت الوفاة من غير مرض سابق، فإنها تفاجئ الناس، فيربطونها بأى سبب آخر غير المرض، كتناول الميت لبعض المواد السامة، أو إصابته بصدمة عنيفة في حادث، أو استجابة الدعاء عليه، وكم في الحياة من أناس جرى القدر بموتهم عند دعائهم على أنفسهم، أو عند الدعاء عليهم.
وإليك طائفة من تلك المشاهد :

مشهد من دعا على نفسه أن يموت بالطاعون

روى شهر بن حوشب عن رابة - رجل من قومه كان شهد طاعون عمواس^(١) أنه قال:

لما اشتعل الوجد قام أبو عبيدة عامر بن الجراح في الناس خطيباً فقال :

(١) عمواس بليدة في فلسطين بين الرملة وبيت المقدس.

أيها الناس إن هذا الوجد رحمة ربكم، ودعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه.

قال : فطعن أبو عبيدة فمات - رحمه الله - واستخلف على الناس معاذ بن جبل.
من (صفة الصفوة ج ١ ص ٤٩٨)

مشهد من دعا أن يموت هو وأهله بالطاعون

قال عبد الله بن رافع :

لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف على الناس معاذ بن جبل، فلما اشتد الوجد بالناس قالوا لمعاذ : ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز فقال :

إنه ليس برجز، ولكنه دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص بها الله من يشاء من عباده منكم.

أيها الناس أربعُ خلال من استطاع أن لا يدركه شيء منها فلا يدركه شيء منها، قالوا:

وما هن ؟

قال :- يأتي زمان يظهر فيه الباطل.

- ويصبح الرجل على دين، ويمسى على آخر.

- ويقول الرجل والله لا أدري على ما أنا؟ لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة.

- ويُعطى الرجل من المال مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله.

اللَّهُمَّ آتِ آلَ مَعَاذِ نَصِيْبِهِمُ الْأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ.

فطعن ابنه، ثم طعنت امرأته، وطعن هو في إيهامه، فجعل يمسحها بفيه ويقول :

اللَّهُمَّ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَبَارِكْ فِيهَا، فَإِنَّكَ تَبَارَكُ فِي الصَّغِيرَةِ، حَتَّى هَلَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٤٩٩)

مشهد من دعا على نفسه مخافة الفتنه فمات

روى ابن الجوزي عن عبد الله بن عامر أنه قال :

قام عامر بن ربيعة يصلى من الليل، وذلك حين نشب الناس في الطعن على عثمان، فصلى من الليل، ثم نام فأتى في المنام، فقليل له: قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاد منها صالح عباده، فقام فصلى - يعنى وسأل الله - ثم اشتكى، فما خرج إلا على جنازة.

قال ابن سعد قال الواقدي:

كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام ، وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا بجنازته قد أخرجت رضى الله عنه.

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٤٤٩)

مشهد من أحب لقاء الله فدعا على نفسه فمات

قال حميد بن عبد الرحمن:

كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حُمة خرج إلى أصبهان غازيا (وفتحت في خلافة عمر رضى الله عنه) فقال :
اللَّهُمَّ إِنِّ حُمَّةٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَكَ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَأَعِزِّمْ لَهُ عَلَيْهِ بِصَدَقِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَأَعِزِّمْ لَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَرِهَ ، اللَّهُمَّ لَا تَرُدِّ حُمَّةً مِنْ سَفَرِهِ هَذَا .
فمات رضى الله عنه بأصبهان.

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٧٤٢)

مشهد من دعا الله أن يخرجته من دار الفتن

قال يونس:

ما رأيت أحداً سُرَّ بالموت من أبى الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفى ،
كان يقول :

والله لو أعلم أن أحداً تجاب دعوته لسألته أن يسأل الله تعالى لى الموت:
فقلت له :

أصلحك الله أو تحب أن تموت ؟
فقال :

وكيف لا أحب الخروج من دار فيها الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها
الاجتماع مع محمد صلى الله عليه وسلم ؟

وتحدث أبو على الحسن بن فتحون فقال :

كنت يوما جالسا عند أبى محمد البرقى حتى دخل عليه أبو الفضل فقال له :
إِنْ شِئْتَ تَدْعُو وَتُؤْمِنُ ، أَوْ نَدْعُو وَتُؤْمِنُ .

فقال أبو الفضل :

أَيُّ ذَلِكَ شِئْتَ .

وأخذ أبو الفضل فى الدعاء وأخذ الآخر يؤمن على دعائه يسألان الله تعالى

الموت، فما أتى بعد ذلك شهر حتى مات أبو الفضل، ثم شهر آخر بعده حتى مات أبو محمد البرقي - رحمهما الله تعالى.

من (رياض النفوس ج ٢ ص ٢٣٦)

كان من دعاء أبي محمد عبد الله بن محمد العنمي :
اللهم لا تمتني حتى تزهدني في الدنيا وأترك الدكان والعيال.
فكان كذلك، ترك الدكان، وفرق ما فيه على أهله وجيرانه، وخير زوجته، ودفع إليها حقها يوم الخميس، وعزم على سكنى بعض الثغور والرحلة إليه يوم السبت فتوفى يوم الجمعة قبله.

وكان من دعائه :
رَبِّ أَمْتِنِي بَعْتَهُ، وَلَا تَفُوتَنِي صَلَاةَ .
فأجاب الله دعاءه، صلى المغرب ودخل ليفطر، فما غاب الشفق إلا وهو من أهل الآخرة.

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ١٣٣)

مشهد قاض دعا على نفسه فهات

قال أبو الحسن النباهي :
ومن باب التمتع عن المسارعة إلى الأمور التي يخاف من الدخول فيها السقوط في الفتنة ما جرى لجعفر بن الحسن الأمدى قاضى بلنسية آخر أيام قضائه بها، وذلك أنه بويج لمروان بن عبدالعزيز بلنسية في صفر سنة أربعين وخمسائة، وطلب من القاضى جعفر أن يشهد على بيعته، فقال :

والله لا أفعل وبيعة تاشفين في عنقي ، ثم قال :
اللهم اقْبِضْنِي إِلَيْكَ .

قال ابن الأَبَّارِ صاحب (كتاب التكملة) فتوفى في ليلته، ودفن في الغد .

من (كتاب المراقبة العليا ص ١٦)

مشهد من خشى الإكراه على تولي القضاء فدعا فهات

قال أبو الحسن النباهي :

ومن أهل (سَرْقُسْطَة) قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهرى صاحب كتاب (الدلائل في شرح غريب الحديث) دُعِيَ للقضاء ببلده فامتنع من ذلك و (سَرْقُسْطَة) هي إحدى مدن جزيرة صقلية الواقعة بالشمال الشرقي للبلاد التونسية.

فلما اضطره الأمير وعزم عليه استمهله ثلاثة أيام يستخير فيها الله عز وجل ، فمات خلال تلك المدة، فكان الناس يرون أنه دعا الله عز وجل في الاستكفاء، فكفاه وستره، وصار حديثه موعظة في زمانه .

توفى - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وثلاثمائة .

من (المرقبة العليا ص ١٣)

مشهد من فرغ إلى الله مخافة تولى القضاء فمات

قال أبو الحسن النباهي :

ومن عرض عليه القضاء بأفريقية فامتنع منه أبو ميسرة أحمد بن نزار، فلما عُرض عليه قال :

اللهم إنك تعلم أني انقطعت إليك وأنا ابن ثمانى عشرة سنة، فلا تمكّنهم مني، فما جاء العصر إلا وقد تُوفّي يوم الاثنين منتصف ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

من (المرقبة العليا ص ١٦ - ورياض النفوس ج ٢ ص ٣٦٢ -

وترتيب المدارك ج ٥ ص ٢٤٩ - ومعالم الإيمان ج ٣ ص ٥٠)

مشهد من فرغ من تولى القضاء فتوفاه الله بعد ثلاث

كان أبو بكر بن أحمد بن على دعسين فقيها كثير الفنون، قانعا من الدنيا باليسير، متواضعا باذلاً نفسه للطلبة، انتفع به جمع كثير من أهل التهائم والجبال، وكان رئيس المفتين بمدينة زبيد، وشرح سنن أبي داود في نحو أربعة مجلدات.

أراد الملك المجاهد أن يوليه القضاء بمدينة زبيد، فكره ولم يساعد إلى ذلك، فلم يقبل منه السلطان ولا عذره، فلما رأى الإلزام من السلطان امتهل منه ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث توفى إلى رحمة الله تعالى ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، ودفن بمقبرة باب سهام.

من (كتاب جامع الكرامات ج ١ ص ٢٦٠)

مشهد من ثبت على تمنعه من تولى القضاء إلى أن مات

قريب من المشاهد السابقة مشهد من ثبت على تمنعه من تولى القضاء، لكنه لم يحمل عليه بما يجعله يدعو الله أن يجيره منه، وهو أبو عبد الله بن عتاب بن محسن.

كان له صندوق مقفل قد وصّى أن لا يفتح إلا بعد موته، فلما مات فتح، فإذا فيه أربعة كتب من أربعة رؤساء :

- ابن عباد .

- وابن الأَفْطَسِ .

- وابن صُمَادِحِ .

- وابن هود .

كل منهم يدعوه إلى نفسه، وإلى تقلد القضاء ببلده، وقد كتب على كل كتاب منها: (تركته لله).

توفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

من (ترتيب المدارك ج ٨ ص ١٣٤)

أضواء على التمتع من ولاية القضاء

الفرع من تولى القضاء.

دأب الخلفاء - فى جميع مراحل التاريخ - على إسناد القضاء إلى غيرهم ولكن كثيراً من المدعويين إلى القضاء كانوا يفرعون منه فزعا عظيما، ويمتنعون من تقلده مهما تكن الضغوط المسلطة عليهم.

وأول من بلغنا من الممتنعين من تولى القضاء عبد الله بن عمر رضى الله عنه، دعاه عثمان بن عفان رضى الله عنه، فقال له :

- أفض بين الناس .

- قال عبد الله : لا أفضي بين رجلين ما بقيتُ .

- قال عثمان : لتفعلنَّ .

- قال عبد الله : لا أفعل .

- قال عثمان : فإن أباك كان يفضي

- قال عبد الله : كان أعلم مني وأتقى

من (المرقبة العليا ص ١١)

وممن فرعوا من تولى القضاء

ابن فروخ :

فقد نقل أبو الحسن النباهي عن ترتيب المدارك للقاضى عياض أن الأمير روح بن حاتم أرسل إلى ابن فروخ ليؤليه القضاء فامتنع، فأمر به أن يربط، ويصعد به على سقف الجامع (ففعل به ذلك) وقيل له : تقبل ؟ فقال : لا، فأخذ ليطرح، فلما رأى العزم قال قبلت، فأجلس فى الجامع ومعه حرس، فتقدم إليه خصمان، فنظر إليهما وبكى طويلا، ثم رفع رأسه فقال لهما : سألتكما بالله إلا أعفيتما نى من أنفسكما، ولا

تكونا أول مشوش علىَّ فرحماء وقاما عنه، فأعلم الحرس بذلك روحا، فقال اذهبوا إليه فقولوا له يشير علينا بمن نولى، إذ ما قبل.

فقال إن يكن فعبد الله بن غانم، فإنى رأيت شابا له صباة، يعنى بمسائل القضاء، فعليك به فإنه يعرف مقدار القضاء، فولى ابن غانم فكان يشاوره فى كثير من أموره وأحكامه، فأشفق ابن فروخ من ذلك، وقال له يا ابن أخى لم أقبلها أميراً أقبلها وزيراً، وخرج إلى مصر هرباً من ذلك وورعاً ومات هنالك .

من (المرقبة العليا ص. ١٦)

آراء العلماء فى الأكفاء الممتنعين من تولي القضاء

لما كانت ظاهرة الامتناع من تولي القضاء قد غمرت المشارق والمغارب من بلاد المسلمين، كانت الأسئلة ترفع إلى علماء تلك القرون المشهود لها بالخيرية، فيسألهم الأمراء وغيرهم عن الحكم الشرعى فى الرجل الكفء الممتنع من تولي القضاء .

فقد سئل ابن وهب عن ذلك، فروى عن مالك فى الرجل يدعى للعمل فيكره أن يجيب إليه، وخاف على دمه وجلد ظهره وهدم داره، كيف ترى فى ذلك؟ فقال: أما هدم داره، وجلد ظهره وسجنه، فإنه يصبر على ذلك ويترك العمل خيراً له، وأما أن يباح دمه، ولا أدرى ما حد ذلك، ولعله فى سعة من ذلك إن عمل .

وقال الأبهري : أما الضرب والسجن فإن صبر فهو أفضل، وأما دمه فإن عمل فلعله فى سعة أن يجرى العدل والإنصاف، وإن لم يمكنه لم يجز له أن يتعدى الحق، ويصبر على ما يلحقه من المكروه، إذ لا يجوز له أن يبطل حق المسلمين وحريمهم لنفسه.

ونقل عن سحنون أنه قال : إذا كان الرجل أهلاً لخطبة القضاء فاستعفى منها عوفى إن وُجد لها عوض منه، وإن لم يوجد أجبر عليها ، فإن أبى سجن، فإن أبى ضرب.

وفصل بعض أهل العلم بين أن يكون الداعى إلى العمل غير عدل فلا يجوز إعانته على أموره لأنه متعد فى فعله ويجب على المدعو أن يصبر على المكروه ويدع العمل معه، وبين أن يكون الداعى إلى العمل عدلاً فتستحب إعانته فى ذلك .

سبب خوف العلماء من تولي القضاء

لقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطر هذه المهمة، فمن ذلك ما رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم عن بريدة رضى الله عنه، أنه صلى الله

عليه وسلم قال : (الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ ، اثنان في النَّارِ وَوَاحِدٌ في الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ) .

ولقد راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المهمة من دقائق إقامة العدل ما لم تبلغه قوانين البشرية جمعاء لا ماضيا ولا حاضرا، ألم يقل صلى الله عليه وسلم (مَنْ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَعْدِلْ بَيْنَهُمْ فِي لَحْظِهِ وَإِسَارَتِهِ وَمَقْعَدِهِ وَمَجْلِسِهِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أُمِّ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَمَا رَوَاهُ عَنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَنْ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى أَحَدٍ الْخَصْمَيْنِ مَا لَا يَرْفَعُ عَلَى الْآخَرِ) وَإِنْ مَرَاعَاةُ الدِّقَّةِ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ كُلِّهَا لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يُلْتَزَمَ بِهَا كُلُّ أَحَدٍ .

وما أروع تصوير رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلية القضاء فيما رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم إذ قال :

(مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ) .

ومن تحذيره صلى الله عليه وسلم من عواقب هذه الخطئة وما إليها ما رواه عنه أبو أمامة في مسند أحمد : (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ مَغْلُولًا يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَكَهَّ بِرَأْسِهِ ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ ، أَوْ لَهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطَهَا نَدَامَةٌ ، وَآخَرَهَا خَزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

(وقال يحيى بن سعيد: وليت قضاء الكوفة وأنا أرى أنه ليس على الأرض شيء من العلم إلا وقد سمعته، فأول مجلس جلست للقضاء اختصم إلي رجلان في أمر ما سمعت فيه شيئا).

من (المرقبة العليا ص ١٠)

وفي المستخرجة قال مالك قال عمر بن الحسين ما أدركت قاضيا استقضى بالمدينة إلا رأيت كآبة القضاء وكرهيته في وجهه .

من (المرقبة العليا ص ١٠)

ومن أغرب ما وقفت عليه من عواقب أمر القضاء ما روى عن مسلمة بن زرعة أنه قال رأيت في الأندلس قاضيا يدعى مهاجر بن نوفل القرشي، ما رأيت مثله في العبادة والورع، ولقد بلغني في موته أعظم العجب أخبرني به ثقات من أهل بلده، وذلك أنه لما دفن في مقبرتهم ليلاً، وأظنه عهد بذلك فلما أهيل عليه التراب سمعوا من القبر كلاماً فاستمعوا له فسمعه ينادي: أنذركم ضيق القبر وعاقبة القضاء، فكشفوا عنه وظنوه حياً، فوجدوه مكشوف الوجه ميتاً بحالته التي قبر عليها - رحمه الله تعالى .

من (المرقبة العليا ص ١١ - ١٢)

ومن العلماء من كان يتولى القضاء وبعد فترة يمتنع من مواصلة عمله لسبب ما .

ومن هؤلاء عافية بن يزيد كان يلى القضاء ببغداد للمهدى، فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدى وهو خال، فاستأذن عليه فلما دخل استأذنه فيمن يسلم إليه القمطر الذى فيه قضايا مجلس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيه من ولايته، فظن المهدى أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه، فقال له: إن كان عارضك أحد لتكرن عليه، فقال القاضى: لم يكن شئ من ذلك، قال: فما سبب استعفائك من القضاء؟ قال: يا أمير المؤمنين كان تقدم إلى خصمان منذ شهر في قضية مشككة، وكل يدعى بينة وشهودا، ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما، فسمع أحدهما أنى أحب الرطب، فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب، فجمع رطباً لا يتهياً في وقتنا جمع مثله لأمر المؤمنين، وما رأيت أحسن منه ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على، ولا يبالي أن يرد عليه، فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق فرد عليه، فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى، فما تساويا في عيني ولا قلبي، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت؟ ولا آمن أن تقع على حيلة في دينى فأهلك وقد فسد الناس، فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفنى عفا الله عنك، فأقاله .

من (العقد الفريد ص ١٧٠)

مشاهد من موت بعض المبتلين بالمعاصي

يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد والترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه :

(كلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

والله سبحانه قد ربط فلاح الجميع بالمتاب فقال : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور - ٣١ .

كما تفضل بقبول توبة كل تائب فقال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ النساء - ١١٠ .

وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ . وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الشورى - ٢٥-٢٦ .
والتوبة المقبولة هى التى يقوم بها الآثم من قريب، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ، وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تَبْتُ الْآنَ ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾
سورة النساء - ١٧ - ١٨ .

لكن من الآثمين من يسوف ويماطل بالمتاب، ولا يستفيق من غشية الآثام إلا عندما تأخذه سكرة الموت بالحق، فىرى ما سلف من سيئاته، وتشتد به آلام الندامة على ما فرط فى جنب الله ، بل إن منهم من تكون معصيته سبباً لوفاته .

فمن هؤلاء إبراهيم المعروف بابن هرمة

هو إبراهيم بن على بن سلمة الفهرى ، وهو من شعراء الدولتين (الأموية والعباسية) وكان شيخ الشعراء فى زمانه وكان منهوماً فى الشراب ، لا يكاد يصبر عنه ، وقد حده والى المدينة أكثر من مرة .

ومر يوماً على جيرانه وهو ميت سكرأ حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد عاتبوه على الحالة التى كان عليها ورأوه فيها ، فقال : أنا فى طلب مثلها منذ دهر ، أما سمعتم قولى :

أَسْأَلُ اللَّهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصَبَاحَ الصَّبِيَّانِ يَا سَكْرَانُ

فنهضوا من عنده، ونفضوا ثيابهم، وقالوا: ما يفلح هذا أبدا.

وكان قد أذرك أنه إذا مات لا يشهد الناس جنازته. فقال :

مَا أَظُنَّ الزَّمَانَ يَا أُمَّ عَمْرُو تَارِكًا إِنْ هَلَكْتُ مِنْ يَبْكِينِي

وكذلك كان، لقد مات، وما يحمل جنازته إلا أربعة نفر، لا يتبعهم أحد، حتى دفن بالبقيع، وكانت وفاته سنة خمسين ومائة.

من (فوات الوفيات ج ١ ص ٣٤)

ومنهم أبو الهندي غالب بن عبد القدوس

قال صدقة بن إبراهيم البكري :

كان أبو الهندي يشرب معنا، وكان إذا سكر يتقلب تقلبا قبيحا، في نومه، فكننا كثيرا ما نشد رجله لئلا يسقط، فسكرنا ليلة في سطح، وشددنا رجله بحبل طويل، ليهتدي عند القيام لبوله، فتقلب، فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقى معلقا منكسا، فأصبحنا فوجدناه ميتا.

فمررت على قبره بعد حين، فوجدت عليه مكتوبا:

اجْعَلُوا إِنْ مِتَّ يَوْمًا كَفَنِي وَرَقَ الْكَرْمِ وَقَبْرِی الْمَعْصَرَةِ

إِنِّي أَرْجُو مِنَ اللَّهِ غَدًا - بَعْدَ شَرْبِ الرَّاحِ - حَسَنَ الْمَغْفَرَةِ

وكان الفتیان يجيئون إلى قبره فيشربون، ويصبون القدح إذا وصل إليه على قبره.

من (فوات الوفيات ج ٣ ص ١٧١)

ومنهم يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس :

لما ولي يحيى أساء السيرة، وخالف طريق سلفه، فدخل الحمام المقصور على النساء بسبب امرأة جميلة من اليهود يقال اسمها حنة، فأنكر الناس ذلك وثاروا به مع عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي، واعتصم منهم بإحدى العدوتين عدوة الأندلس. فذكر أنه مات في ليلته أسفا على ما جناه على نفسه .

من (القسم الثالث من أعمال الأعلام ص ٢٠٧)

ومنهم فناخسرو بن بويه:

هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه ركن الدولة.

قال السيوطي : كان فاضلا نحويا شيعيا، وكان حسن السياسة شديد الهيبة، له في

الأدب يد متمكنة، تولى ملك فارس، ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة (جزيرة ابن عمر)

وهو أول من خُطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لُقّب في الإسلام بشاهنشاه، ومن شعره قوله:

لَيْسَ شُرْبُ الرَّاحِ إِلَّا فِي الْمَطَرِ وَغَنَاءُ مِنْ جَوَارِ فِي السَّحَرِ
غَانِيَّاتُ سَالِبَاتٍ لِلنَّهْيِ نَاعِمَاتُ فِي تَضَاعِيفِ الْوَتْرِ
مُبَرَّرَاتُ الْكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا سَاقِيَاتُ الرَّاحِ مِنْ فَاقِ الْبَشْرِ
عَضْدُ الدَّوْلَةِ وَأَبْنُ رُكْنِهَا مَلِكُ الْأَمْلاكِ غَلَابُ الْقَدَرِ

قال السيوطي: فلم يُفلح بعد هذا البيت، ومات بعلّة الصرع يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

ولما احتضر لم ينطق إلا بتلاوة «مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» سورة الحاقة - ٢٨ - ٢٩.

من (بغية الوعاة ص ٣٧٤)

وزاد ابن خلكان على ما تقدم:

أنه ما عاش بعد تلك الأبيات إلا قليلا ومات ببغداد ثم نقل إلى الكوفة، ودفن بمشهد (١) أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه، وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام.

من (وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٤)

ومنهم محمد بن مغيث:

قال ابن رشيّق:

كان محمد بن مغيث مفتونا بالخمر متبذلا فيها، مدمنا عليها، لا يفريق منها، مولعا ببيت الخمار ومخالطة العامة، فطار اسمه لذلك واشتهر به.

سأله بعض إخوانه - ليختبر قوة نفسه في المرض الذي مات فيه - هل تقدر على النهوض لو رمته؟ فقال: لو شئت من هاهنا إلى حانوت أبي زكريا الخمار.

فقال له: أفلا قلت إلى الجامع؟

فقال: لكل امرئ من دهره ما تعودا، ولم تجر العادة بذلك.

توفي ابن مغيث آخر سنة ثلاث وأربعمائة وقد بلغ الخمسين والسن ظاهرة عليه.

(١) يعني بالمشهد المكان الذي دفن فيه أمير المؤمنين

من (أَمْوِذَج الزمان ص ٤٠٤)

مشاهد من اشتهاوا شيئاً عند وفاتهم

قال ابن خلكان :

لما حضرت الوفاة أبا العتاهية قال أشتهى أن يجيء مخارق المغنى ويغنى عند رأسى،
والبيتان له من جملة أبيات :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن عَزَاءَ الباقيات قليل
سُيُعرض عن ذكرى وتُنسى مَودتي ويحدث بعدى للخليل خليل
مات يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين ببغداد
رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٢)

وتحدث ابن خلكان عن المعتضد بالله أبى عمرو عباد اللخمى فقال :
لما أحس بتداني حمامه استدعى مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فألا، فأول ما غنى :
نَطَوِي اللَّيَالِيَ عِلْمًا أَن سَتَطَوِينَا فَشَعَشَعِيهَا بِمَاءِ الْمِزْنِ وَاسْقِينَا
فتطير من ذلك، ولم يعيش سوى خمسة أيام، وتوفى يوم الاثنين غرة جمادى
الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة، ودفن ثانى يوم بأشبيلية .

من (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٤)

ونظر عبد الملك بن مروان - عند موته - من قصره إلى قَصَّارٍ يضرب بالشوب
المغسلة فقال :

يا ليتنى كنت قَصَّارًا، ولم أتقلد الخلافة .

فبلغ كلامه أبا حازم فقال :

الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت
لم نتمن ما هم فيه .

من (الكشكول للعالمى ج ١ ص ١١)

ولما مرض ذو النون المصرى مَرَضَهُ الذى مات فيه قيل له :

ما تشتهى ؟

قال : أن أعرفه قبل موتى بلحظة .

من (طبقة الأولياء ص ٢٢٢)

وقال الحسين بن الفضيل :

حضرت أبا الحسن النورى وهو فى الموت، فقلت ألك حاجة؟ أو: أفى نفسك شهوة؟

فرفع رأسه، وقد انكسر لسانه وقال :

إى والله أشتهى شهوة كبيرة.

قلت : وما هى ؟

قال : أشتهى أن أرى الله .

ثم تنفس ثلاثا عالياً كالواجد بحاله وفارق الدنيا .

من (طبقات الأولياء ص ٦٩)

مشاهد الناطقين بالشعر عند الموت

اللغة هى أداة التعبير عما يجرى بين الناس فيما ألفوه فى الحياة، وجميع الأحياء لم يألّفوا الاحتضار، ولم يذوقوا طعمه، ومن هنا كانت اللغة لا تحتوى على عبارة تصف لحظات الاحتضار بدقة.

فهل نقول : إنها لحظات (عجيبة) ؟ ربما أمكن ذلك.

فلنكتف إذن بوصف تلك اللحظات بأنها لحظات (عجيبة) ولنعترف - مع هذا - بالعجز عن تصورنا لحالة هى أعظم من أنها عجيبة، فإن مشاهدة أحوال المحتضرين تبعث على الاندهاش.

إن الإنسان عند احتضاره ينزل به كرب عظيم، وهول شديد، بصورة لم يسمع قط بمثلها، ولم يشهد لها فى حياته مثيلاً.

ففى ساعة احتضاره يؤمن بأن بقاءه فى الدنيا قد انتهى، وبأن اترحاله إلى العالم الآخر وشيك، إنه عالم مجهول لديه بكل محتوياته، ويُدرك أنه مفارق لكل مألوفاته حتماً، ولا يصحبه فى رحلته المحتومة لا الأصدقاء، ولا الأهل، ولا الولد، ولا ما جمع وأوعى، ويعلم أنه - فى هذه السفرة - قد تقدّمته حقائب حسناته وسيئاته، فتتوزع مشاعره بين ما قدم وما أخر.

فمن المحتضرين من يذعرون لذلك، فتتوقف ألسنتهم عن الكلام، فيخرجون من الدنيا صامتين .

ومنهم من يكاشفه الله - فى تلك اللحظات - ببعض المشاهد المغيَّبة عن الأحياء ،
فيتكلم معرباً عن بعض مكاشفاته، ومن هؤلاء من قال فى حال احتضاره:

الحمد لله ثمَّ الحمد لله كم ذا على الموت من ساءٍ ومن لاهٍ

ماذا يشاهد ذو العينين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :

(احضروا أمواتكم وذكروهم، فإنهم يرون ما لا ترون)

وفى رواية عنه أنه قال :

(لَقِّنُوا أمواتكم لا إله إلا الله، واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم، فإنه تُجلى

لهم أمور صادقة (١)

إنَّ بوادٍ الاحتضار كثيراً ما تحمل بعض الشعراء على تصوير القليل مما شغلهم فى
تلك اللحظات، فيرسمون بعض مشاعرهم بآخر ما ينظمون، ويطوون بها الصفحة
الأخيرة من حياتهم، وهم - وقتئذٍ - بين فكر مندهش، وقول متلجلج ، ولسان ثقيل،
لا يسعف إلا بالقليل. ولكن منهم من يُبَيِّنُ الله فيُفصِّح غير متلجلج.

(١) من شفاء الصدور ص ٣٣ .

واليك نماذج من خواطر المحتضرين

مشهد من عذاب ثم قتل، ولم يترد عن الاسلام

كان خبيب بن عدى رضى الله عنه قد عزم المشركون على قتله بمن قُتل منهم يوم بدر، فلما رفعوه على الخشبة ليقتلوه قال :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
فقد جمعوا أبناءهم ونساءهم (١)
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى
وذلك فى ذات الإله، وإن يشأ
وقد خيرونى الكفر والموت دونه
ولست بمبد للعدو تخشعا
وما بى حذار الموت إنى لميت
ولست أبالى حين أقتل مسلما
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقربت من جذع طويل ممنع
وما أُرصد الأحزاب لى عند مصرعى
فقد بضعوا لحمى (٢) وقد بان (٣) مطمعى
يبارك على أوصال شلو (٤) مُمزع
وقد هملت عينائى من غير مجزع
ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
ولكن حذارى جحيم نار مُلقع (٥)
على أى جنب كان فى الله مضجعى
ولما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه :

يا خبيب أتحب أن محمدا مكانك ؟

فقال : لا ، والله العظيم ما أحب أن يفدينى بشوكة يشاكها فى قدمه.

فضحكوا من كلامه ...

من (كتاب حياة الصحابة ج ١ ص ٧٨٦)

مشهد من شكا تبريح الموت ورأى عمره الطويل كلمة

قال ابن بسام كان أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد نادرة الفلك الدوار، وأعجوبة الليل والنهار ...

وكان قديرا على فنون الهزل، إلا أنه غلبت عليه البطالة، فلم يحفل فى إشارها بضياح دين أو مروءة، وكان منهمكا فى الجود، حتى شارف الإملاق عند موته.... وقاسى فى مرضه شدة، فقال عند موته:

(١) يشير إلى أبناء ونساء من قتلوا يوم بدر .

(٢) بضعوا أى قطعوا .

(٣) بان : ذهب .

(٤) الشلو : العضو جمعه أشلاء .

(٥) ملقع : من قولهم لفته النار إذا أحاطت به .

خليلي من ذاق المنية مرة فقد ذقتها خمسين قولة صادق
وكان موته من فالج أقام به مدة، ورام أن يقتل نفسه لشدة الآلام، وقال في تلك
العلقة :

تأملتُ ما أفنيت من طول مدتي فلم أره إلا كلمحة ناظر
وحصّلت ما أدركت من طول لذتي فلم ألفه إلا كصفقة خاسر
وما أنا إلا أهل ما قدّمت يدي إذا أخلفوني بين أهل المقابر
سقى الله فتياناً كأنّ وجوههم وجوه مصابيح النجوم الزواهر
يقولون قد أودى أبو عامر العلا أقلوا فقدماً مات آباء عامر
هو الموت لم يخرس بأسجاع خاطب بليغ ولم يعطف بأنفاس شاعر
توفى يوم الجمعة آخر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة رحمه
الله.

من (المغرب في حلى المغرب ص ٨٤)

مشهد من شقه الاغتراب والاوصاب

حكى الصولي عمن أخبره أنه قال :
خرجنا للحج، فخرجنا عن الطريق للصلاة، فجاءنا غلام فقال :
هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟
فقلنا : كلنا منها .
فقال : إن مولاي منها، وهو مريض يدعوكم .
قال : فقمنا إليه، فإذا هو نازل على عين ماء، فلما أحس بنا رفع رأسه وهو لا يكاد
يرفعه ضعفاً، وأنشأ يقول :

يا بعيد الدار عن وطنه مفردا يبكي على شجانه
كلما جدّ الرحيل به زادت الأسقام في بدنه
ثم أغمى عليه طويلاً، فجاء طائر فوق على شجرة كان مستظلاً بها، وجعل يغرد ،
ففتح عينيه ، وجعل يسمع التغريد ثم أنشد :
ولقد زاد الفؤاد شجى طائر يبكي على فننه
شقه ما شافني فبكي كلنا يبكي على سكنه
ثم تنفس الصعداء ففاضت نفسه .

قال ففسلناه وكفناه ودفناه، وسألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الأحنف التميمي
وكانت وفاته سنة ١٩٣

من (الكشكول ج ٢ ص ٢٢٤)

مشهد من أنشد أبياتاً واعظته ثم مات

قال أبو عمر أحمد بن الحباب:

خرجت مع يحيى بن مالك بن عائذ المحدث من صلاة العتمة ليلاً من المسجد،
فشيعته إلى داره، فقعده معي في دهليزه، وقال أنشدني ابن المنجم ببغداد لعمه :

تَغْنَمُ بَعْضَ مَا فَاتَكَ وَلَا تَأْسَى لِمَا فَاتَكَ
وَلَا تَرْكُنْ إِلَى الدُّنْيَا أَمَا تَذْكُرُ أَمْوَاتَكَ

قال : فدعوت له بطول البقاء، والنَّسَبِ (١) في الأجل، وسلَّمت عليه وانصرفت، فما
بلغت طرف الشارع حتى سمعت الصراخ عليه وقد مات.
توفي - رحمه الله - في شعبان سنة ست وسبعين وثلاثمائة .

من (جذوة المقتبس ص ٣٥٧)

مشهد من حذر من مثل أمره

قال القاسم بن عُبَيْد الله عند موته:

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمْنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي حَالًا وَلَمْ يَزَعْ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَتْرِكْ عَلَى ظَهْرِي خَلْقًا
وَأَفْنَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ بَارِعٍ فَشَتَّتُهُمْ غَرْبًا وَشَرَّدْتُهُمْ شَرْقًا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي فَهَآنِذَا فِي حَفْرَتِي مَيِّتًا أَلْقَى
وَلَمْ يُغْنِ عَنِّي مَا جَمَعْتُ وَلَمْ أَجِدْ لَدَى قَابِضِ الْأَرْوَاحِ فِي فِعْلِهِ رَفْقًا

من (المحاسن والمساوي ص ٣٤٨)

ولما مات القاسم بن عبيد الله شمت به بعضهم وقال :

خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا ذَمِيمًا إِلَى الْقَبْرِ فَلَا أَحَدٌ يَأْسَى وَلَا دَمْعَةٌ تَجْرِي
وَتَرْتِ رَسُولَ اللَّهِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ طَالِبَ الْوَتْرِ

مشهد من استسلم لرضه فلم يتداوم منه

قال القاضي عياض :

يقال إن أحمد بن محمد الأشعري المعروف بابن حمديس القطان من ولد

(١) النسأ : التأخير

الصحابى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان من أصحاب سحنون رضى الله عنه.

وروى عياض عن أبى سعيد بن محمد بن سحنون أنه قال :
لما اعتل حمديس أحضرنا له طبيبا، فتبسم وقال : ما أقبح المخالفة بعد الموافقة، من
أراد الله به حالا وأراد هو غيره أليس قد خالف؟
ثم قال :

بيد الله دوائى	الذى يعلم دوائى
إنما أظلم نفسى	باتباعى لهوائى
كلما داويت نفسى	غلب السوء دوائى

توفى - رحمه الله - سنة تسع وثمانين ومائتين، وصلى عليه محمد بن سحنون
من (ترتيب المدارك ج ٤ ص ٣٧٩)

مشهد من أمر الباكية بادخار الدمع لما بعد فقده

كان أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح ينعت بالمعتصم
التجيبى، وكان صاحب المرية، وبجاية والصمادحية من بلاد الأندلس.

ونقل ابن خلكان عن ابن بسام فى (الذخيرة) أنه كان بين المعتصم وبين الله
سريرة، أسلفت عند الحمام يدا مشكورة، فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به إلا
أيام يسيرة، فى سلطانه وبلده وبين أهله وولده.

حدثنى من لا أرد خبره عن أروى (وهى بعض حسان حظايا أبيه) قالت :
إننى لعنده وهو يوصى بشأنه، وقد غلب على أكثر لسانه ويده،
ومعسكر ابن تاشفين يومئذ بحيث نعد خيامهم، ونسمع اختلاط
أصواتهم، إذ سمع وجبة من وجباتهم فقال: لا إله إلا الله نغص علينا كل شئ حتى
الموت.

قالت أروى: فدمعت عيناي، فلا أنسى طرفاً إلى يرفعه، وإنشاده لى بصوت لا أكاد
أسمعه:

ترقق بدمعك لا تُفنه فَبَيْنَ يَدَيْكَ بكاء طويل
مات على إثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول
سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية رحمه الله.

(من (وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٤))

مشهد من جابهته سكرة الموت بالحق

كان محمد بن يحيى بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسى قد قيل إنه سم فى بادنجان بفاس .

ولما حضرته الوفاة كان يُنشد :

أقول لنفسي حين قابلها الردى فرأغت فرارا منه يُسرَى إلى يُمنى
قفى تحملى بعض الذى تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى هنا (١)
توفى - رحمه الله - فى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وقيل سنة
خمس وعشرين.

ولما مات وقف على قبره أبو بكر بن الحمارة وأنشد :

يا صاحب القبر القريب ودونه هم تبیت له الكواكب تسهر
قم إن أظقت وهات عن صور الردى خبراً أفقد عاينت كيف تصوّر
واخبر عن الملكوت كيف رأيت إن الغريب عن الغرائب يخبر
من (الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢٤١)

مشاهد من عبروا عن اقتراب أجلهم

كان القاضى أبو محمد محمد بن يعقوب البصرى حسن السيرة... صالحا ورعا عفيفا، حاكما بالحق.

ولما احتضر قيل له : كيف تجددك؟ قال :

أرأنى فى انتقاص كل يوم ولا يبقى مع النقصان شىء
طوى العصران ما نشره منى فأخلق جدتى نشر وطى
مات - رحمه الله - مصروفا عن القضاء فى شهر رمضان سنة سبع وتسعين
ومائتين غير مطعون عليه فى شىء عن تسع وثمانين سنة .

من (الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٢٢١)

قال عبد الملك العوانى القيروانى :

دخلت على أبى عبد الله محمد بن يوسف العوانى الحسينى عائداً له فى مرضه
الذى مات فيه، فسألته عن حاله، فاستند وأنشدنى :

عشنا الثمانين وعمر طويل لم يبق للصحة إلا القليل
لا تحسبونى ثاوياً بينكم فقد دنا الموت وأن الرحيل

(١) هنا بنون مضاعفة مشددة لغة فصيحة فى كلمة هنا

توفى - رحمه الله - سنة ستين وستمائة

من (معالم الإيمان ج ٤ ص ١٩)

روى أبو عبد محمد الحميدى عن أبى الوليد بن حريش أنه قال : لما احتضر أبو العباس بن جهور قال :

أأرجو لى الحياة وقد نأيتم
تقضى النَّحْبَ وانقطع الكلام
ثم مات على إثر ذلك.

من (جذوة المقتبس ص ٣٧٨)

مشهد من عبر عن أن كل حي ميت

قال أحد الشعراء فى مرض موته :

نَمْضَى كما مضت الأوائل قبلنا
لَسْنَا بأول من دعاه الداعى
تبقى النجوم دوائراً أفلاكها
والأرض فيها كل يوم ناعى
وزخارف الدنيا يجوز خداعها
أبدأ على الأبصار والأسماع

من (كتاب الكشكول ج ٢ ص ٦)

مشهد من عبر عن فواجع مآسيه القاتلة

قال تاج الدين بن السبكي :

روى ابن السمعاني بسنده أن أبا الحسن على بن زريق البغدادى قصد أبا عبد الرحمن الأندلسى وتقرب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه، ويختبره فأعطاه شيئاً نزرًا.

فقال ابن زريق : إنا لله وإنا إليه راجعون .

سلكت البرارى والقفار، والمهامه والبحار إلى هذا الرجل فأعطانى هذا العطاء النزر.

فانكسرت إليه نفسه ، فاعتل ومات.

وشغل عنه الأندلسى أياماً، ثم سأل عنه، فخرجوا يطلبونه، فانتهوا إلى الخان الذى هو فيه، وسألوا الخانية عنه، فقالت إنه كان فى هذا البيت، ومنذ أمس لم أبصره، فصعدوا، فدفعوا الباب، فإذا هو ميت وعند رأسه رقعة مكتوب فيها:

لا تَعْذِلِيه فَإِنَّ الْعَذْلَ يُولِّعُه
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لَوْمِهِ حَدّاً يَضُرُّ بِهِ
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعِمِّلِي الرِّقْقَ فى تَأْنِيهِهِ بدلاً
من عَنَفِهِ فهو مضنى القلب موجهه

قد كان مضطلعا بالبين يحمله
 يكفيه من روعة التفنيد أن له
 ما آب من سفر إلا وأزعجه
 كأنما هو من حل ومر محل
 إذا الرّماع أراه في الرحيل غنى
 تأبى المطامع إلا أن تُجشّمه
 وما مجاهدة الإنسان واصلة
 والله قسم بين الخلق رزقهم
 لكنهم ملثوا حرصا فلسست ترى
 والحرص في الرزق والأرزاق قد قسّمت
 والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه
 أستودع الله في بغداد لى قمراً
 ودعته وبودى أن يودّعنى
 وكم تشفّع بى أن لا أفارقه
 وكم تشبّث بى يوم الرحيل ضحى
 لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
 إنى أوسّع عذرى فى جنايته
 أعطيست ملكاً فلم أحسن سياسته
 ومن غدا لا بسلاً ثوب النعيم بلا
 اعتضت من وجهه خلى بعد فرقه
 كم قائل لى ذقت البين قلت له
 إنى لأقطع أيامى وأنفذا
 بمن إذا هجع النّوأم أبت له
 لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا
 ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى

فضلعت بخطوب البين أضلعه
 من النوى كل يوم ما يروعه
 رأى الى سفر بالعزم يجمعه
 موكل بفضاء الأرض يذرعه
 ولو إلى السند أضحى وهو يزّمعه
 للرزق كذاً وكم ممن يودعه
 رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
 لم يخلق الله مخلوقا يضيّعه
 مسترزقا وسوى الفاقات تقنعه
 بغى إلا إن بغى المرء يصصره
 يوما ويطعمه من حيث يمنع
 بالكرخ من فلك الأزارار مطلع
 صفو الحياة وأنى لا أودّعه
 وللضرورات حال لا تشفعه
 وأدمعى مستهلات وأدمعه
 عنى بفرقه لكن أرقعه
 بالبين عنى وقلبى لا يوسعه
 وكل من لا يسوس الملك يخلعه
 شكر عليه فعنه الله ينزعه
 كأساً تجرع منها ما أجرعه
 الذنب والله ذنبى لست أرقعه
 بحسرة منه فى قلبى تقطعه
 بلوعة منه ليلى لست أهجمه
 لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
 به ولا أن بى الأيام تفجعه

حتى جرى البين فيما بيننا بيد
بالله يا منزلَ القصر الذي دَرَسَتْ
هل الزمان معيد فيك لذتنا
فى ذمة الله من أصبحت منزله
من عنده لى عهد لا يضيّعه
ومن يصدّع قلبى ذكره وإذا
لا صبرن لدهر لا يمتنعنى
علماً بأن اصطبارى معقب فرجا
عسى اللىالى التى أضنّنت بفرقتنا
وإن ينل أحد منا منيته
قال ابن السمعاني : فلما وقف أبو عبد الرحمن على هذه الآيات بكى حتى خضب لحيته ، وقال : وددت أن هذا الرجل حى ، وأشاطره نصف ملكى .
وكان فى الرقعة :

(منزلى ببغداد فى الموضع الفلانى المعروف بكذا ، والقوم يعرفون بكذا) .

فحمل إليهم خمسة آلاف دينار ، وعرفهم موت الرجل .

من (طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٣٠٨ - ٣١٢)

مشهد من أوصى أن يدفن حذاء حليلته

كان أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى من شيوخ الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وكان شاعرا بليغا ، ويُعد أعجوبة زمانه فى الاطلاع على علوم الأوائل .
قال لسان الدين :

ولما فُلجَ لزم منزلى لمكان فضله ، ووجوب حقه ، وقد كانت زوجته توفيت ، وصحبه عليها وجُد ، فلما ثقل وقربت وفاته ، وكاد لسانه لا يبين أوصانى قائلا :

إذا مت فادفنى حذاء حليلتى
ولا تدفنتى فى البقيع فإتنى
ورتبّ ضريحى كيفما شاء الهوى
لعلّ إله العرش يجبر صدعتى
يخالط عظمى فى التراب عظامها
أريد إلى يوم الحساب التزامها
تكون أمامى أو أكون أمامها
فيُعَلِّى مقامى عنده ومقامها

مات - رحمه الله - فى الخامس والعشرين من ذى القعدة عام ثلاث وخمسين وسبعمائة، ودفن بحذاء زوجه كما عهد.

من (نفع الطيب ج ٨ ص ١٢)

مشهد من قدّم ليُقتل فجعل يصبر أبويه

كان هذبة بن خشرم العذرى قد قتل ابن عمه زياد بن زيد العذرى، وكان هذبة شاعرا فصيحاً من أهل بادية الحجاز، فلما قدّم ليُقتل بابن عمه قصاصاً كان أبواه حاضرين فجعلا يبكيان، فقال :

أبليانى اليوم صبراً منكما	إن حزننا منكما بادٍ بشرّ
لا أرى ذا الموت إلا هيناً	إن بعد الموت دار المستقرّ
اصبراً اليوم فإننى صابر	كلّ حى لفناء وقدر

وقتل هذبة سنة خمسين للهجرة.

من (كتاب المحن ص ٢٦٣)

مشهد من طلب أن يودعه العواد ويدعوا له

قال ياقوت الحموى :

لما احتضر أبو بكر محمد بن داود غشى عليه ساعة. ثم أفاق وفتح عينيه ، ف قيل له :
أرى قلبك قد سكن، و عرق جبينك قد انقطع، وهذه أمانة العافية.
فأنشأ يقول :

أقول لصاحبى وسلّيانى :	وغرهما سكون حمى جبينى
تسلّوا بالتعزى عن أخيكم	وخوضوا فى الدعاء وودّعونى
فلم أدع الأنين لضعف سقم	ولكنى ضعفت عن الأنين

ثم مات من ليلته وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين .

من (معجم الأدباء ج ١ ص ١١٦)

مشاهد من أوصوا أن تكتب أبيات على قبورهم

من المحتضرين من نظموا ما أوصوا به أن يكتب على قبورهم، وغالب ما نظموا يدور حول التبرؤ مما أسلفوا من معاصى، ونراهم فزعين من أثقال ذنوبهم، ولكنهم يستدركون أنها لا وزن لها فى جنب عفو الله سبحانه.
ومنهم من يستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم متذرعاً بحبه، وكثير منهم

يطلب من الواقف على قبره أن يدعوه له، لكن منهم من قصر نظره على أن الموت منغص للعيش.

وبعضهم أغرب فنبه الشامتين بموته إلى أنهم سيصيرون إلى ما صار إليه وبادر - بذلك - إلى مقابلة الشماتة بالشماتة..

وأغرب منه من اعتبر الحياة جناية يقترفها الآباء إذا أُنجبوا، وأنه قد تبرأ منها.
قال ابن خلكان :

لما حضرت أبا الصلت الأديب الحكيم الوفاة نظم أبياتا وأوصى أن تكتب على قبره، وهي آخر شيء قاله :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مَصَدَّقًا	بِأْتِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْلَمُ أَنِّي رَاجِعٌ بَعْدَ مَوْتِي	إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فِيَالَيْتَ شَعْرَى كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا	وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي	بَشَرٌّ عَقَابِ الْمَجْرِمِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مِنْهُ عَنِّي وَرَحْمَةٌ	فَتُحْمٌ نَعِيمٍ دَائِمٍ وَسُرُورُ

مات - رحمه الله - يوم الاثنين مستهل سنة تسع وعشرين وخمسائة بالمهدية ودفن بالمنستير.

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٤٦)

عندما قربت منية عبد الرحمن بن الجوزي أوصى أن يكتبوا الأبيات التالية على شاهد قبره :

يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَمَّنْ	كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
جَاءَكَ الْمَذْنِبُ يَرْجُو	الْصَّفْحَ عَنْ جُرْمٍ يَدِيهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ	الضَّيْفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

من (جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٩٢)

قال ابن خلكان :

كان أبو القاسم الحسين المعروف بالوزير المغربي قد توفى في ميّا فارقين ، وحمل إلى الكوفة بوصية منه، ودفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام على بن أبي طالب رضى الله عنه، وأوصى أن يكتب على قبره ما يلي :

كنت في سَفَرَةِ الْغَوَايَةِ وَالْجَهْ ———— لَمَاقِيْمَا فَحَانَ مِنِّي قُدُومُ

تُبْتُ مِنْ كُلِّ مَاثِمٍ فَعَسَى يُمَ — حَىٰ بِهَذَا الْحَدِيثِ ذَاكَ الْقَدِيمِ

بعد خمس وأربعين لَقَدْ مَا طَلْتُ إِلَّا أَنَّ الْغَرِيمَ كَرِيمِ

توفى يوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمانى عشرة وأربعمائة - رحمه الله .

من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧٦)

كان عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن باق الأموى مُرسى الأصل غرناطى النشأة، وقد أعد لنفسه قبرا بين شيخيه الخطيبين أبى عبد الله الطنجالى وأبى عثمان بن عيسى ثم أوصى أن تكتب على قبره هذه الأبيات :

تَرْحَمُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمِنْ حَقِّ مَيِّتٍ الْحَيَّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ

وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَنَ رَوْعَةً خَائِفٍ لَتَفْرِيطُهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغِيهِ

قَدْ اخْتَارَ هَذَا الْقَبْرَ فِي الْأَرْضِ رَاجِيًا مِنْ اللَّهِ تَخْفِيفًا بِقُدْرٍ وَلِيهِ

فَقَدْ يَشْفَعُ الْجَارُ الْكَرِيمَ لَجَارِهِ وَيَشْمَلُ بِالْمَعْرُوفِ أَهْلَ نَدِيهِ

وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَأَثَقُ وَحَسْبِي - وَإِنْ أَذْنُبْتُ - حَبَّ نَبِيهِ

توفى - رحمه الله - بمالقه فى اليوم الثامن والعشرين من محرم عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

من (نفع الطيب ج ٨ ص ٣٧٢)

قال ابن خلكان :

أوصى أبو العتاهية أن يكتب على قبره :

إِنْ عَيْشًا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٍ مَعْبُورٍ التَّنْفِيسُ

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٢)

قال ابن خلكان :

بلغنى أن أبا العلاء المعرى أوصى أن يكتب على قبره البيت الآتى :

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

وهو متعلق باعتقاد الحكماء ، فإنهم يقولون : ايجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات .

وكان مرض المعرى ثلاثة أيام ، ومات فى اليوم الرابع ، ولم يكن عنده غير بنى عمه ، فقال لهم فى اليوم الثالث :

اكتبوا عني ، فتناولوا الدوى والأقلام فأملى عليهم غير الصواب .

فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت .
توفي يوم الجمعة ثاني أو ثالث ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة عن ست
وثمانين سنة ودفن بالمعرة .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٥)

نقل السيوطي عن ابن الخطيب أن محمد بن أحمد النميري الوادياشي كان صدرا
في أهل الأحساب والمعارف والمروءات جميل الخلق، مليح البزة، خرج عن بلده إلى
سبته في الفتنة ثم رجع إلى الأندلس، فولى القضاء على حداثة سنه إلى أن مات قاضيا
ببسطة في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة أربع وتسعين وستمائة
وأوصى أن يكتب على قبره من شعره ما يلي :

أُنبِتُ إِلَى خَالِقِي خَاضِعاً	وَمَنْ حَذَّهْ فِي الثَّرَى يَخْضَعُ
وإن كنت وافيته مجرماً	فإنني في عفوه أطمع
وكيف أخاف ذنوباً مضتْ	وأحمد في زلتني يشفع

من (بغية الوعاة ص ١٧)

وأورد ابن الأبار قول ابن خفاجة فيما كتبه (هكذا) على قبره :

خليلي هل من وقفة بتألم	على جدتي أو نظرة بترحم
خليلي هل بعد الردى من ثنية	وهل بعد بطن الأرض دار مخيم
وإنّا حيّينّا أو ردينّا لإخوة	فمن مرّ بي من مسلم فليسلم
وماذا عليه أن يقول مُحِيّاً	الأعم صباحاً أو يقول ألا اسلم
وفاء لأشلاء كرم من على السبلى	فعاج عليها من رفات وأعظم
يُردّد طوراً آهة الحزن عندها	ويذرّف طوراً دمعاً المترحم

من (الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٠)

قال السيوطي :

إن محمد بن إبراهيم القرشي العامري ذكره الصفدي وقال : أوصى أن تكتب على
قبره الأبيات التالية :

لئن نفذ القدرُ السابق	بموتى كما حكم الخالق
فقد مات والدُنّا آدم	ومات محمد الصادق

ومات الملوك وأشياعهم ولم يبق من جمعم ناطق
فقل للذي سره مهلكي تأهب فإنك بي لاحق

من (بغية الوعاة ص ٧)

كان أبو علي أحمد بن بقاء بزازاً، وكان متدينا صالحا ذا أمانة، وأوصى أن يكتب
على قبره :

يا خير منـزول به إننى ضيف وحق الضيف أن يُقرى
واجعل قرأى منك يا سيدى غفران ما فى صحيفتى يقرأ

من (الوافى بالوفيات ج ٦ ص ٢٦)

مشهد من أوصى أن توضع أبيات على كفنـه

كان محمد بن إبراهيم أصيل الدين العوفى قد أوصى - رحمه الله - أن توضع
الأبيات التالية فى كفنـه، وهى من نظمه :

إذا ما جاء قوم فى المَعَاد بصوم مع صلاة واجتهاد
ومعروف وإحسان جزيل وحجّ واعتمار مع جهاد
أتيت بحبـكم يا آل طه وما أعددت من صدق الوداد
فذاك ذخيرتى فى يوم حشرى وحسن الظن من ربّ العباد

كان - رحمه الله - الخطيب بجامع دمشق إلى أن توفى سنة ثمان وستين وستمائة
فى بيت الخطابة قبل الصلاة، وقد لبس ثياب الخطابة ليخرج إلى الصلاة، فجاء رئيس
المؤذنين فوجده لايسهّا، وقد سجد وهو ميت، فأحضرُوا وَلَدَهُ فخطب عوضه وصلى
بالناس.

من (الوافى بالوفيات ج ٢ ص ٢)

كان محمد بن محمود المروزى من بيت مشهور بالعلم والدين والرواية والفضل .
أوصى أن يكتب على كفنـه بيت العباس بن الأحنف التميمى وهو :

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

من (الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٧)

قال ابن النجار :

اجتمع أحمد بن علي بن المقرئ الحاجب البغدادي، اجتمع بصبي من جيرانه، من أولاد آصف بيه أمير الحاج ، وجرت بينهما معاتبة وموافقة أدت إلى أن ضرب ابن المقرئ ابن آصف بيه بسكين فجرحه جراحاً أثختته، وحمل وقيداً إلى منزله، وهرب ابن المقرئ، واختفى، ومات المجروح من ليلته نصف جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة، واشتد الطلب على ابن المقرئ إلى أن وُجد تاسع عشر جمادى الأول فقبض عليه وحمل إلى حبس الجرائم، فلما كان من الغد وقت صلاة العصر سلم إلى أولياء المقتول فحملوه إلى الموضع الذي جرح فيه، وقتلوه ضرباً بالسيوف ووطئوه بخيلهم، وبقي ملقى على وجه الأرض على حاله إلى ليلة ثلاث وعشرين جمادى الأولى، فحمل إلى منزله وغسل وكفن وما أظنه بلغ الثلاثين، سامحه الله وإيانا، وعمل بيتين قبل أن يقتل بساعة في الحبس، وقال لوالده اجعلهما في كفني وهما :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بِغَيْرِ زَادٍ مِنْ الْأَعْمَالِ بِلِ قَلْبٍ سَلِيمٍ
وَسَوْءُ الظَّنِّ أَنْ يَعْتَدَّ زَادٌ إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ

من (الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٢١٠)

مشاهد أموات نطقوا بالشعر في المنام

كان الملك بهرام شاه صاحب بعلبك قدم إلى دمشق واتفق أنه كان له غلام محبوس في خزانة في الدار (التي نزلها) ولما جلس يلهو بالنرد ولع الغلام برزة الباب ففكها، وهجم على بهرام فقتله ثاني وعشرين شوال وهرب الغلام، ورمى بنفسه من السطح فمات.

وقيل : لحقه المماليك عند وقعته فقطعوه.

ويقال أنه رآه بعض أصحابه في المنام، فقال له : ما فعل الله بك؟

فقال :

كُنْتُ مِنْ ذَنْبِي عَلَى وَجَلٍ زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْوَجَلُ
أَمِنْتُ نَفْسِي بِوَأَثْقَاهَا عَشِنْتُ لَمَّا مَتَّ يَا رَجُلُ

من (الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٣٠٤)

مشاهد من ماتوا غرياء

لقد علم الله أن العبد إذا مات في الغربة شق الأمر عليه كثيرا فأجزل له العطاء الكريم من أجل ما ناله من حرارة الغربة وحرقتها .

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَوْتُ الْغَرِيبِ شَهَادَةٌ)

ولو أن هذه الشهادة لا تبلغ به مرتبة من قاتل لإعلاء كلمة الله فاستشهد في المعركة.

وروى ابن حبان عن أبي عبد الرحمن الحبليّ دفين القيروان عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال : توفي رجل بالمدينة فصرى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (يَا لَيْتَهُ مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلَدِهِ) فقال رجل : لم يا رسول الله ؟ قال :

(إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلَدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلَدِهِ إِلَى مُتَقَطِّعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ) (١)
يعنى من مكان ولادته إلى الموضع الذى مات فيه .

ومن ماتوا في الغربة أبو على إبراهيم بن محمد بن محمد الشريف الحسيني .
قال أبو البركات عمر النحوى صاحب شرح اللمع : مَرَضَ أَبِي إِمَامًا بدمشق أو بحلب ، فرأيته يبكى ويجزع ، فقلت له :

يا سيدى، ما هذا الجزع والموت لا بد منه؟
فقال : أعرف، ولكن أشتى أن أموت بالكوفة، وأدفن بها، حتى إذا نشرت يوم القيامة أخرج رأسى من التراب، فأرى بنى عمى ووجوها أعرفها .
مات رحمه الله بالكوفة - فى ما ذكر السمعاني - سنة ست وستين وأربعمائة .
من (الوافى بالوفيات ج ٦ ص ١٢٠) .

ومنهم أبو الحسن على بن حمزة الكسائى أحد القراء السبعة :
روى ابن الجزرى أن الكسائى خرج صحبة هارون الرشيد إلى خراسان، فمرض بقرية (رنبويه) من عمل الرى ومات بها سنة تسع وثمانين ومائة .
كما روى عن نصير أنه قال : دخلت على الكسائى فى مرضه الذى مات فيه، فأنشأ يقول :

قَدَرِ أَحَلَّكَ (ذَا النَّخِيلِ) وَقَدْ أَرَى وَأَبَى ، وَمَالِكَ (ذُو النَّخِيلِ) بِدَارِ

(١) من موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للمحافظ نور الدين الهيثمى ص ١٨٩ .

إِلَّا كَدَّارِكُمُو بِذِي بَقَرِ اللَّوَى
 هَيْهَاتَ دَارِكُمُو مِنَ الْمَزَوَارِ
 قال نصير : فقلت كلا ويمتع الله الجميع بك .
 قال الكسائي : أنا قلت ذلك ؟

من (غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٧)

ومنهم أبو الحسن علي بن الجهم القرشي :
 قال ابن خلكان : نفاه المتوكل إلى خراسان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، لأنه هجا
 المتوكل، وكتب إلى طاهر بن الحسين أنه إذا ورد عليه أن يَصْلِبَهُ يوما .
 فوصل إلى (شاذياخ نيسابور) فحبسه طاهر، ثم أخرجه فصلبه مجرداً نهارة كاملاً،
 فقال ابن الجهم في ذلك :

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْـ
 نَصَبُوا - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِلءَ قُلُوبِهِمْ
 إِثْنَيْنِ مَسْبُوقاً وَلَا مَجْهُولاً
 شَرْقاً وَمِلءَ صَدُورِهِمْ تَبْجِيلاً
 ثم خرج إلى العراق ثم إلى الشام .

بعد ذلك ورد على المستعين كتاب من صاحب البريد بحلب أن ابن الجهم خرج من
 حلب متوجها إلى العراق فخرج عليه وعلى جماعة معه أناس من بني كلب فقاتلهم
 قتالا شديداً، ولحقه الناس وهو جريح بآخر رمق، فكان مما قال :

أَزِيدُ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ ؟ أَمْ سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلٌ ؟
 ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ ؟ (١)

وتوفي في وقته - رحمه الله - ولما نُزِعَتْ ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة وقد كتب
 فيها :

يَا رَحْمَةً لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّا
 فَارَقَ أَحَبَّاءَهُ فَمَا انْتَفَعُوا
 زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
 بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا

وكان الكتاب الذي ورد على الخليفة المستعين في شعبان سنة تسع وأربعين
 ومائتين.

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥)

(١) دُجَيْل : نهر بأعلى بغداد، مخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد.

ومنهم مالك بن عبد الرحمن بن المرحل المالحي.

قال ابن الجزري: هو أديب زمانه بالمغرب، وإمام وقته، توفي -رحمه الله- عن خمس وتسعين سنة، ولم يُخْتَلَّ عليه من علم ولا نظم حتى مات.

وكان آخر ما قال يوم موته، وأمر أن يُكتب على قبره:

زُرْ غَرِيباً بِمَغْرِبِ	نَازِحاً مَالَهُ وَلِي
تَرْكُوهُ مُجَدِّلاً	بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدَلٍ
وَلْتَقُلْ عِنْدَ قَبْرِهِ	بِلِسَانِ التَّذَلُّلِ
رَحِمَ اللَّهُ عَبْدَهُ	مَالِكَ بْنَ الْمَرْحَلِ

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وستمائة.

من (غاية النهاية ج ٢ ص ٣٦)

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر:

ولد بغزة، وكان قد خرج من مرو إلى بلخ فمات في الطريق، وحمل إلى بلخ فدفن بها.

وكان يقول لما حضرته الوفاة: أرجو أن يغفر لي ربي لثلاثة أشياء: كوني من بلد الإمام الشافعي، وأنى شيخ كبير، وأنى غريب.

توفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة رحمه الله وحقق رجاءه

من (الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٥٢)

مشاهد من ماتوا منتحرين

كل الأنفس ملك لله تعالى، فله سبحانه ملك السموات والأرض وما بينهما، ومع أن الله قضى في سابق علمه ما أخبرنا به في قوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (١) فقد قال: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» (٢)

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النساء الآيتان ٢٩-٣٠ .

ومن هنا تبين رعاية الله لصيانة حياة الإنسان، ويتضح عقابه لمن يتجرأ فيعتدى على نفسه بالانتحار.

إن الإنسان العادى لا يتجرأ على قتل غيره، بل يستعظم ذلك أيما استعظام. غير أن الشاذ من الناس كثيراً ما تدفعه نزوات الطيش إلى أعظم المكاره بكل استهانة واستخفاف، وربما تجره رعونة الطيش إلى قتل نفسه على اعتبار أن ذاته تخصه هو وحده فله - بهذا الاعتبار الخاطئ - أن يتصرف فيها بما يشاء، وكما يشاء.

والقاتلون لأنفسهم لا يلجأون إلى الانتحار إلا ظناً منهم أن ذلك سينتهى به ما يتجرعون من الآلام الجسدية أو النفسية، معتقدين أن الموت هو النهاية التامة للإنسان، مع أن الواقع الحق هو أن الموت نهاية جانب من الإنسان، وليس نهاية لجميع مكوناته، لأن الهيكل الجسماني يتوقف نموه بالموت، فتتبدد عناصره وتبلى، أما الروح فلا يلحقها بالموت إلا صورة من التحول والانتقال من عالم إلى عالم مصحوبة بما كانت عليه في عالمها الدنيوي، فتتعم أو تتعذب قبل يوم الحساب، ثم تتبوأ منزلها بعد الحساب.

ويخطئ كثير من الناس حين يرون أن كل من مات قد استراح، ويتبين خطؤهم بما رواه أحمد وأبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لما قام بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ماتت فلانة واستراحت، فغضب صلى الله عليه وسلم وقال: (إِنَّمَا اسْتَرَأَحَ مَنْ غُفِرَ لَهُ).

ولقد سجل هذه الحقيقة من قال:

فَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تَرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفنا بما يلقي المنتحر من غضب الله وعقابه وذلك في ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال:

(مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا، خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِداً مُخَلِّداً فِيهَا أَبَداً).

كما روى البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (... وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وروى البخارى ومسلم أيضاً عن الحسن البصرى أنه قال: حدثنا جندب ابن عبد الله فى هذا المسجد، فما نسينا منه حديثاً، وما نخاف أن يكون جندب كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كَانَ - فِيمَنْ قَبْلَكُمْ - رَجُلٌ بِهِ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللَّهُ: بَدَرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ).

وليس العقاب الإلهى خاصاً بمن يقدم على الانتحار قصداً، بل يتناول أيضاً كل من يفعل بنفسه ما يفضى به إلى الموت من غير تحفظ، ولا نظر فى عواقب ما يفعل.

روى البخارى ومسلم عن جندب البجلي أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ فُرْحَةٌ^(١) فَلَمَّا أَذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَتَكَأَهَا^(٢) فَلَمْ يَرْقُبْ الدَّمَّ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللَّهُ: عَبْدِي بَادَرْنِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ).

وقد كان من المنتحرين من روى البخارى فى شأنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه - يدعى الإسلام - هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل أشد القتال، وكثرت به الجراح، فجاء رجل، فقال يا رسول الله: أرايت الذى تحدث أنه من أهل النار، قد قاتل فى سبيل الله أشد القتال فكثرت به الجراح، فقال صلى الله عليه وسلم أما أنه من أهل النار، فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك، إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع سهماً فانتحر بها، فاشتد رجل من المسلمين (يجرى) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: صدق الله حديثك، قد انتحر فلان، وتل نفسه. فقال صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أشهد أنى عبد الله ورسوله. يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

ومن المنتحرين أبو القاسم محمود بن عزيز العارضى الخوارزمى:

نقل السيوطى عن ياقوت الحموى أنه كان من أفضل الناس فى عصره فى اللغة والآداب، لكنه تخطى إلى علم الفلاسفة فصار مفتوناً به بين المسلمين، وكان سكوتاً وقوراً.

(١) خُرْجَاجٌ .

(٢) قشرها فجرها .

وكان الزمخشري يدعو الجاحظ الثانى لكثرة حفظه، وفصاحة لفظه.
أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزم شاه، ثم ارتحل إلى مرو، فذبح نفسه بيده، فى
أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ووجد بخطه رقعة كتب فيها:
هذا ما عملته أيدينا، فلا يؤخذ به غيرنا.

من (بغية الوعاة ص ٣٨٨)

إن أبا القاسم الخوارزمى - عفا الله عنا وعنه - قد أحسن فى دفع التهمة عمن
سيشتبه بهم فى ذبحه، وأساء فى قتله لنفسه، نسأل الله سبحانه أن يجعل عواقب
أمورنا كلها إلى خير، وأن يمن علينا من فضله بحسن الخاتمة.
مشهد من قتل وصلب لادعائه النبوة

شهد تاريخ أمتنا أناسا مصابين فى عقولهم بحماقة حادة، وقد تفاقمت إصابتهم
بسكراتها إلى درجة أن الواحد منهم يجن فيزعم أنه رسول الله.
لكن من لا ينطق عن الهوى قد أخبرنا بأنهم سيظهرون فى الأمة بكثرة.
روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال:

(... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ - قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ - كُلُّهُمْ يَزْعُمُ
أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ).

وروى الترمذى والحاكم عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال:

(... وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابًا كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، لَا
نَبِيَّ بَعْدِي)

والله سبحانه قد بين لنا كذلك أنه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم، فقال
تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (١)

وادعاء الأفاكين للرسالة حدث فى بعض الأقاليم الإسلامية عدة مرات، فكانوا
بخداع الحيل يستهوون البله والمغفلين من جهلة الناس، حتى يصير لهم أتباع من أولئك
البسطاء.

وكان ممن ادعوا النبوة رجل مؤذن بناحية تلمسان. قال على بن أبى زرع الفاسى: إنه

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

فى سنة سبع وثلاثين ومائتين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوة، ويتأول القرآن على غير وجهه وتأويله، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء.

وكان من بعض شرائعه أنه ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر، ونسف الإبطين، والاستحداد «خلق العانة» وأخذ الزينة، ويقول: لا تبديل، ولا تغيير لخلق الله.

فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه، فهرب وركب البحر من مرسى هنين إلى بلاد الأندلس، فشاع بها خبره وأمره، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة، فبعث إليه ملك الأندلس فاستتابه، فلم تب، فقتله وصلبه، وهو يقول عند قتله: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» (١).

من (الأنيس المطرب ص ٩٦)

مشهد موت يزعم أنه موت رحيم

إن بعض المرضى يبلغ بهم المرض إلى درجة اليأس من حياتهم، وقد تستمر بهم آلام المرض المستعصى عن العلاج زمناً ليس بالقصير، حتى يشفق عليهم كل من له صلة بهم من أقاربهم وأطبائهم، إلى أن يظنوا ينتظرون موتهم لحظة بلحظة، ويتمنون لهم فى كل لحظة أن يموتوا حيث لا أمل فى شفائهم ولا صبر للأصحاء على تحمل ما يرون من تبريح الألم بأولئك المرضى وشدته عليهم.

ولقد سجلت مسيرة التاريخ أن هناك من استعصى مرضهم الطويل عن العلاج، فتولى أناس تعجيل الموت لأولئك المرضى بوسيلة أو بأخرى ليخلصوهم من معاناة الآلام التى دونها ألم الموت كما يزعمون.

وربما دفعت شدة الألم بعض المرضى إلى الانتحار، لكن كلا من هذا وذاك كان يحدث نادراً بين الناس، ويعتبر من التصرفات الشاذة عبر مراحل التاريخ.

وأما فى النصف الثانى من القرن العشرين فقد أصبحت قضية التعجيل بقتل من لا أمل فى شفائه من المرضى قضية تشغل كثيراً من الناس، وهم فيها ما بين داع إليها، ومعترض عليها، وطال اضطراعهم بشأنها كاضطراع أولئك المرضى مع آلامهم، ولم يلتق الأصحاء فى نقطة يتم عليها الاتفاق وسوف لن يلتقوا أبداً ما دام للبشر منهجان فى الأرض: منهج يتقيد به المؤمنون ويقفون فيه عند حدود الله، معتقدين أن تدبير الله

(١) سورة غافر الآية ٢٨ .

لكل ما فى الكون لحكمة تفوق مدارك البشر. ومنهج يقوم فيه أصحابه على الجحود
لسلطان الله وقدرته التى هى فوق كل قدرة.

أما الداعون لقتل الميئوس من شفائه فقد سموا ذلك القتل بعدة أسماء، منها:

- القتل الرحيم، أو الموت الرحيم.

- القتل يأساً من الشفاء.

- القتل من أجل الشفقة والرحمة.

واستندوا - فيما دعوه بالقتل الرحيم - إلى ما اعتبروه من المبررات الداعية إلى

التعجيل بقتل أولئك المرضى، فقالوا:

- إننا نرحمهم من عذاب لا نهاية له.

- إننا نريحهم من وخز الإبر الذى يؤذيهم بلا انقطاع.

- إننا نساعدهم على مفارقة الحياة بموت رحيم.

- إننا بذلك القتل نتوقف عن علاج لا جدوى له، ونوفر جهودنا لمن يتوقع شفاؤهم

من المرضى الآخرين.

- إننا بذلك القتل نريح أسرهم من ثقل الأعباء النفسية والمادية التى يتحملونها من

أجل أقارب لهم، ليسوا من الأحياء ولا من الأموات.

وأما المعارضون على قتل أولئك المرضى فيقولون:

- على كل من الطبيب والمريض ألا ييأس من رحمة الله مهما تكن حالة المريض.

- إن من المرضى من يبلغ اليأس من حياتهم مبلغ اليقين، ومع ذلك يمن الله

بالشفاء على ذلك المريض من غير سبب ظاهر، فيختار الأطباء فى أمره، ولكنها إرادة

الله ومشيئته.

- إن الأمراض المستعصية كالسيذا (الإيدز) ليس من الحكمة أن نعجل بقتل

المصاب بها، وإنما نعالجه حتى يستوفى آخر أيامه، فيموت، ولعله فى أثناء تلك الأيام

يسعف بما عسى أن يكتشفه الباحثون من دواء ناجع لمرضه القاتل، ولذلك يكون

التعجيل بقتله نافياً لهذا الأمل السعيد.

- إذا وقع التفويض للأطباء فى قتل من يرون أنه لا شفاء له، فإن هذا التفويض قد

يفضى إلى مخاطر لا حد لها، وكم ظهر فى العالم من تجاوزات بشعة قام بها من

يتاجرون بأعضاء الأدميين، فإن فتح باب القتل لمن يتوقع ألا شفاء لهم قد يغرى أناساً

بالإكثار مما يدعونه (القتل الرحيم) لاستغلال أعضاء المقتولين.

-إن قتل المريض بحجة التخفيف من آلامه جريمة فى حقّه وإرّكاس لكرامة الإنسان.

تلك خلاصة حجج الفريقين فى هذه القضية.
وإذا نظرنا إليها فى ضوء تعاليم الإسلام فإننا نجد التعجيل بقتل الميئوس من شفائه أمراً محرماً، ولا رخصة فيه بأى وجه، سواء طلبه المريض أو أقاربه، أو قام به الطبيب حسب نظره الخاص.

يقول شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق:

إن كل إنسان صاحب إرادة فيما يتعلق بشخصه، وإن كانت إرادة مقيدة بالنطاق المستفاد من قول الله تعالى فى سورة البقرة من الآية رقم ١٩٥ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وقوله سبحانه فى الآية رقم ٢٩ من سورة النساء ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (١)

ويقول الشيخ جاد الحق:

ويمنع تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية متى بان للطبيب أن هذا كله لا جدوى منه، وأن الحياة فى البدن هى فى سبيل التوقف. (٢)
أما إيقاف الأجهزة المساعدة على التنفس وعلى النبض فإن ذلك مباح عند الاقتضاء، كما جاء فى قرارات مجمع الفقه الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى فى دورة مؤتمره الثالث المنعقد بالأردن بين ٨ - ١٣ صفر سنة ١٤٠٧ الموافقة لأيام ١١ - ١٦ أكتوبر ١٩٨٧ حول أجهزة الإنعاش، وهو ما يلى:
يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات، وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.
 - إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه فى التحلل.
- وفى هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آلياً بفعل الأجهزة المركبة.

(١) الفتاوى الإسلامية (المجلد العاشر) ص ٣٧٠٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧١٤ .

وإذا تعجب الإنسان المؤمن مما دعاه بعض الناس فى هذا العصر بـ (الموت الرحيم) فقد ظهر ما هو أعجب منه، وهو (تيسير الانتحار) على كل من يريد ذلك من الأصحاء والمرضى على حد سواء.

فى شهر أبريل سنة ١٩٩١ نشرت جمعية (هيملوك) كتاباً بعنوان (المخرج الأخير) تأليف (ديريك همفرى) يصف فيه أكثر من طريقة للانتحار، ويقدم بياناً كاملاً بالأقراص التى يستطيع الشخص تناولها للانتحار وعددها. وسرعان ما أصبح ذلك الكتاب فى مقدمة أكثر الكتب مبيعاً فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد امتدح مؤيدو الكتاب مضمونه، واعتبروه مادة قيمة لمساعدة المرضى الميئوس من شفائهم...

ويخشى الكثيرون من أن يؤدى انتشار الكتاب على هذا النحو إلى دفع أصحاب الأمراض العصبية نحو هوة الانتحار. (١)

مشاهد تلقين المحتضرين وتنوع ردودهم

الإنسان فى حاجة أكيدة إلى من يساعده على اجتياز صعوبات الحياة، وفى حاجة أوكد إلى من يُنجدّه إذا أحاطت به المكاره، ومهما تكن شدة آلام المكاره فإن الإنسان لا يلقى المأ أشد عليه من غمرات الموت.

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(لَمْ يَلْقَ ابْنُ آدَمَ شَيْئاً قَطُّ مِنْذُ خَلَقَهُ اللَّهُ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَأَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ).

وروى أبو نعيم فى الحلية عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(والذى نفسى بيده لَمُعَابِيَّةُ مَلَكِ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا تَخْرُجُ نَفْسُ عَبْدٍ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَأَلَّمَ كُلَّ عِرْقٍ مِنْهُ عَلَى حَيَالِهِ).

والناس يهولهم جداً مشهد من يأخذ فى النزع وهو يعالج سكرات الموت،

(١) صحيفة (العالم الإسلامى) عدد ١٣٧٩ بتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ الموافق ٢٤ أكتوبر

فياخذهم الإشفاق عليه أخذاً عظيماً ، ولكن جانباً خطيراً من معاناته لا يشعر به الناس ، ولا يآبه له كثير منهم ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف الأمة به ونبهها إليه ، وهو فتنة الشيطان للمحتضر عند النزح .

إن أكمل الناس عقلاً يتحير عند الاحتضار ، وتلك الحال من أنسب الفرص التي يستغلها الشيطان ليفتن المؤمن في عقيدته ، فيسول له أن يخرج من الدنيا على غير دين الإسلام والعياذ بالله .

وقد نبه الله المؤمنين إلى أن يدعو قائلين : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) . ومن تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلك الفتنة ما رواه النسائي والحاكم عن أبي اليسر من أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى الله داعياً ولأتمه معلماً ، فقال : (...) وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ .

كما ذكر القرآن أن يوسف عليه السلام دعا قائلاً : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

قال عمرو العتابي كان سفيان الثوري رضى الله عنه ، قد قال : ما من موطن من المواطن أشد على من سكرة الموت ، أخاف أن يشدد على فأسأل التخفيف فلا أجاب فأفتن .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : مات سفيان عندي ، فلما اشتد به الأمر جعل يبكي ، فقال له رجل :

يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب .

فرفع شيئاً من الأرض فقال :

(والله لذنوبى أهون عندي من ذا ، إنى أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت) .

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ١٤٨)

فمن أجل ما يلاقى المحتضر من شدة سكرة الموت ومحاربة الشيطان له في تلك الحال ورد الترغيب في إعانته ، حتى يفارق الدنيا وهو على أكمل الحالات إن شاء الله .

(١) سورة آل عمران آية ٨ .

(٢) سورة يوسف آية ١٠١ .

روى أبو نعيم فى الحلية عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(اَحْضَرُوا مَوْتَاكُمْ، وَلَقِّنُوهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبَشِّرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْخَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَحَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ).

وهناك أمور وردت الآثار باتخاذها لمساعدته حتى يثبت - بمشيئة الله - على الإيمان، وحتى يجد بعض التخفيف من حدة النزع، وهى الستة التالية:

١) تعطير المحل الذى فيه المحتضر لاقتبال الملائكة الموكلين بقبض الأرواح :
فقد أمر سلمان الفارسى رضى الله عنه زوجته بأن تنضح حول فراشه خليط ماء ومسك، وقال لها: إنه يأتينى الآن من يجدون الريح، ولا يأكلون الطعام.
٢) تنزيه المحل من كل مؤذ للملائكة الكرام كالروائح الكريهة من تبغ وغيره،
وكالتماثيل والتساوير والكلاب، ومن هم على جنابة رجالاً كانوا أو نساء :
روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
(لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ تَمَاثِيلٌ أَوْ تَصَاوِيرٌ).
وروى كل من البخارى ومسلم عن أبى طلحة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ، إِلَّا رُفِّمَ فِي ثَوْبٍ).
كما روى أبوداود والنسائى عن على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ وَلَا جَنْبٌ).

قال الشيخ المناوى فى شرحه للجامع الصغير (والمراد بالملائكة هنا، ملائكة الرحمة، لا عموم الملائكة، فَإِنَّ الْحَفَظَةَ مِنْهُمْ لَا يَفَارِقُونَ الْعَبْدَ، وَذَكَرَ الْمَلَائِكَةُ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْعَامِّ الَّذِى أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ).

وإذا لم تحضر ملائكة الرحمة من كان فى النزع لوجود ما ينفرها فى المحل فقد فات المحتضر ما فاته من الخير .

٣) تنوير المحل بقراءة القرآن :

فقد وردت بعض الآثار باستحباب قراءة سورة يس عند نزع الميت وورد بعضها بقراءة سورة الرعد، وبعضها بقراءة سورة البقرة.

روى ابن أبي شيبعة وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان عن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(اقرأوا على موتاكم يس) .

وروى أحمد عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأُ عِنْدَ رَأْسِهِ يَسُ إِلَّا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ)
وروى ابن أبي شيبعة عن جابر بن زيد أنه قال : كان يَسْتَحَبُّ إِذَا حَضَرَ الْمَيِّتَ أَنْ يَقْرَأَ
عِنْدَهُ سُورَةَ الرَّعْدِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَخْفَفُ عَنِ الْمَيِّتِ ، وَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وَأَيْسَرُ لَشَأْنِهِ .
وروى ابن أبي شيبعة أيضا عن الشعبي أنه قال : كانت الأنصار يقرءون عند الميت
سورة البقرة .

٤ (تَرَكَ التَّكْلِمَ عِنْدَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ :
روى الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي بكرة أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ الْمَيِّتَ ، فَيُؤْمِنُونَ عَلَى مَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَيْتِ)
وروى أحمد وابن حبان والحاكم عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال :

(إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) .
وروى الحاكم عن شداد بن أوس أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَيِّتَ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ - يَعْنِي بَصَرَ الْمَيِّتِ - فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّبِعُ الرُّوحَ ،
وقولوا خيرا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَوَكَّنُ عَلَى دَعَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ) .

٥ (الدُّعَاءُ لَهُ بِمَا قَدْ يَنْفَعُهُ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :
روى ابن أبي شيبعة عن جابر بن زيد أيضا أنه قال : كان يقال قبل أن يموت الميت
بساعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، وَبَرِّدْ
عَلَيْهِ مَضْجَعَهُ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِ قَبْرَهُ ، وَأَعْطِهِ الرَّاحَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحَقَّةَ بَنِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَتَوَلَّ نَفْسَهُ ، وَصَعَّدْ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ ، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي دَارِ تَبَقَى
فِيهَا الصَّحَّةُ ، وَيَذْهَبْ عَنَّا فِيهَا النَّصَبُ وَاللُّغُوبُ .

ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرر ذلك حتى يقبض .

٦) تلقينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى ينطق بها فتكون آخر ما تختتم به حياته :

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقُولُوا الثَّبَاتَ الثَّبَاتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).
وروى أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) .

وروى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمَاً مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ).

من (مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ١٨٤)

وروى ابن ماجه بسنده إلى يحيى بن طلحة عن أمه سعادى المرية أنها قالت :

مرَّ عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

مالك كئيباً؟ أساءتكَ إمرة ابن عمك؟

قال : لا، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا كَانَتْ نُوراً لَصَحِيفَتِهِ، وَإِنْ جَسَدُهُ وَرَوْحُهُ لِيَجْدَانِ لَهَا رَوْحاً عِنْدَ الْمَوْتِ) فلم أسأله حتى توفى.

قال عمر : أنا أعلمها، هي التي أراد عمه عليها، ولو علم أن شيئاً أنجى له منها لأمره.

وروى أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) .

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري

رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

قال الله : صدق عبدى لا إله إلا أنا، وأنا أكبر .
 فإذا قال : لا إله إلا الله وحده .
 قال الله : صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا وحدى .
 فإذا قال : لا إله إلا الله لا شريك له .
 قال الله : صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا شريك لى .
 فإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد .
 قال الله : صدق عبدى لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد .
 فإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .
 قال الله : صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى .
 ثم قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَزَقَهُنَّ عند الموت لم تمسه النار)
 نسأل الله أن يرزقنا إياهن عند الموت .
 قال تاج الدين ابن السبكي رحمه الله :

فإن قلت : إذا كتتم معاشر أهل السنة تقولون : إِنَّ مَنْ مات مؤمنا يدخل الجنة لا محالة، وإنه لا بد من دخول من لم يعفو الله عنه من عصاة المسلمين النار، ثم يخرج منها، فهذا الذى تلقنونه عند الموت كلمة التوحيد إذا كان مؤمنا ماذا ينفعه كونها آخر كلامه؟

قلت: لعل كونها آخر كلامه قرينة أنه ممن يعفو الله عن جرائمه فلا يدخل النار أصلا كما جاء فى اللفظ الآخر (حَرَّمَ الله عليه النار) وإذا كنا لا نمنع أن يعفو الله عن بعض عصاة المسلمين ولا يؤاخذهم بذنوبهم، فضلا منه وإحسانا، فلا يستبعد أن ينصب الله النطق بكلمة التوحيد آخر حياة المسلم أمانة دالة على أنه من أولئك الذين يتجاوز عن سيئاتهم.

من (طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٦٥)

على الملحن أن يراعى أدب التلقين :

إن من يكون فى سياق الموت تحضره مخلوقات عجيبة لا يراها إلا هو، يخاطبونه ويرد عليهم بصوت ضعيف أو شديد واضح، والحاضرون عنده من الناس يسمعون كلامه ولا يسمعون كلام تلك المخلوقات.

وكلام المحتضر قد يكون متوجها به إلى تلك المخلوقات وقد يكون متوجها به إلى من عنده من الناس، ويظن المستمعون إليه أنه لا يخاطب سواهم، أو أن الوجد غلبه فصار يهذى.

والمرء إذا كان فى سياق الموت قد تحضره أرواح بعض من سبقوه بالوفاة. كما تحضره الشياطين الذين يشاغبونهم أو يفتنونهم، فىكون مشغولاً بهؤلاء وهؤلاء وبالملائكة الذين جاءوا يتوفونه، وبمن يلقنونه كلمة التوحيد من الأحياء. فعلى الملقن له أن يراعى الآداب التالية :

(١) أنه يلقنه كلمة التوحيد، فيقول له : قل لا إله إلا الله.

قال الشيخ المناوى - رحمه الله - فى شرحه للجوامع الصغرى :

لا يقول له قل لا إله إلا الله، وإنما يذكرها عنده، لينبهه إلى النطق بها.

ولعل هذا الاختيار من الشيخ المناوى لئلا يرد المحتضر على الشيطان بقوله (لا) فيظن الملقن أنه امتنع من النطق بكلمة التوحيد.

غير أن من سلف الأمة من كانوا يلقنون المحتضر بقولهم قل لا إله إلا الله والله يتولى الجميع باللفظ والثبات.

(٢) أن يعيد تلقينه إذا تكلم بشيء آخر بعد النطق بكلمة التوحيد .

قال الحسن بن الربيع :

سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير يقول له :

يا أبا عبد الرحمن قل لا إله إلا الله.

فقال له :

يا نصير ، قد ترى شدة الكلام علىّ، فإذا سمعتنى قلتها فلا تردّها علىّ حتى

تسمعنى قد أحدثت بعدها كلاماً .

من (صفة الصفوة ج ٤ ص ١٤٦)

(٣) أن لا يلحّ عليه بتكرارها، إذا نطق بها وكانت آخر كلامه حتى لا يضجره.

قال القرطبى :

وينبغي أن ينبه الميت على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر فيفسد عليه

عقيدته.

فإذا تلقنها الميت وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر.

(٤) أن لا يظن به سوء إذا ظهر منه - عند التلقين - ما يدل على التمتع بقوله (لا)

بإشارة تدل على التمتع .

(٥) أن يكون الملقن غير مكروه من المحتضر كعدو له أو حاسدٍ، أو وارث مبغضٍ

مشاهد من فتنة الشيطان للمختصر:

قال صالح بن أحمد بن حنبل :

حضرت أبى الوفاء، فجلست عنده، ويبدى الخرقه لأشد بها لحيته، فجعل يعرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا، بعد ، لا ، بعد ، لا ، بعد. فقلت يا أبت، أى شىء هذا الذى قد لهجت به فى هذا الوقت ؟

قال : يا بنى ما تدرى ؟

قلت : لا

قال : إبليس لعنه الله قائم بحذائى عاضا على أنامله، يقول يا أحمد فتنى (يعنى لحوت منى) فأقول : لا، حتى أموت.

من (طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٧٥)

وكان أبو الحسن حسن بن محمد الخولانى الكاشى قد سُمع عند احتضاره يقول :
لا يا عدو الله حتى يردوا الرداء.

ف قيل له : ما هذا ؟

قال إبليس عند رأسى يقول : لحوت منى
كما سُمع يقرأ عند خروج نفسه ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (١).

توفى رحمه الله سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهو ابن تسع وتسعين
من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ٥٠)

قال القرطبى :

سمعت شيخنا أبا العباس أحمد بن عمر القرطبى بثر الإسكندرية يقول :
حَضَرْتُ أَخَا شَيْخِنَا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيَّ بِقُرْطُبَةٍ وَقَدْ احْتَضَرَ، فَقِيلَ لَهُ:
قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَانَ يَقُولُ : لا ، لا ، فلما أفاق ذكرنا ذلك له، فقال :
أتانى شيطانان عن يمينى وعن يسارى يقول أحدهما مت نصرانيا فإنه خير الأديان،
والآخر يقول مت يهوديا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما لا، لا، أى لا تقولوا، وقد
كتبت بيدى كتاب الترمذى والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم .
(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ ، فيقول له : مُتْ يَهُودِيًّا ، مت نصرانيا) فكان
الجواب لهما، لا لكم.

(١) سورة القمر آية ٥٤ .

قال القرطبي : وقد تصفحت كتاب الترمذى والنسائى فلم أقف فيهما على هذا الحديث، فإن كان فى بعض النسخ فالله أعلم.

وذكر المناوى فى شرحه للجامع الصغير أن ابن عربى رضى الله عنه قال :

إنى أعلم بشخص بتونس لقن عند احتضاره، وقد شخص بصره، فقال لا، وكان صالحا، فخيف عليه، فاتفق أنه رد إليهم فقال :

جاءنى الشياطين بصورة من سلف من آبائى، فقالوا إياك والإسلام، مُتْ يهوديا، أو نصرانيا فهو الحجى، فكنت أقول لا ، فعصمنى الله منهم.

من (فيض القدير ج ٥ ص ٢٨٢)

تنوع ردود المحتضرين عند التلقين :

- رأينا الناس - عند الاحتضار - تتنوع أحوالهم إلى أربع :
- (١) منهم من يثبتته الله عند النزاع، فينطق بالشهادة من تلقاء نفسه وتكون تلك الكلمة الطيبة آخر ما يلفظ به فى حياته.
 - (٢) منهم من ينطق بها متى لقنها .
 - (٣) منهم من يلقتها فلا يستطيع النطق بها، بل يحال بينه وبينها، رغم أنه يتكلم عند الاحتضار ، وكان ممن يقولونها فيما سلف من أيام الحياة.
 - (٤) منهم من يلقتها، فيرد بكلام آخر يتضمن ماكان يشغله حينما كان متمتعا بالحياة.

فما هو السر الخفى فى تنوع أحوال المحتضرين؟

لعل السر فى تنوعها يكمن فيما رواه ابن أبى شيبه عن يزيد بن عجرة أنه رضى الله عنه قال :

(ما من مَيّت يَموت حتى تَمَثَّلَ له جَلَسَاؤُهُ عند مَوْتِهِ ، إِنْ كانوا أَهْلَ لَهْوٍ فَأَهْلُ لَهْوٍ ، وَإِنْ كانوا أَهْلَ ذِكْرٍ فَأَهْلُ ذِكْرٍ) .

قال ابن رشيّق القيروانى فى كتابه أُمُوذَج الزمان :

كان محمد بن مغيث المغربى مفتونا بالخمّر، متبذلا فيها، مدمنا عليها، لا يفيق منها.

سأله بعض إخوانه فى مرضه الذى مات فيه ليختبر قواه فقال له :

هل تقدر على النهوض لو رمته؟

فقال : لو شئت مشيت من هاهنا إلى حانوت أبى زكريا النباز.

فقال : فألا قلت إلى الجامع.....

فقال : لكل امرئ من دهره ما تعودا، ولم تجر العادة بذلك .
قال ابن رشيقي توفى ابن مغيث آخر سنة ثلاث وأربعمائة وقد بلغ الخمسين والسن
ظاهرة عليه .

من (الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٤٨)

سبحان الله لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :
(يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه كما قال
صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) رواه أحمد والحاكم عن جابر أيضا .
رحم الله ابن مغيث و غفر لنا وله ولجميع المؤمنين .

مشاهد من نطقوا بالشهادة تلقائيا عند مماتهم؛

هذا النوع من المشاهد قد ذكر في قسم من ختمت أعمارهم بإحدى الطاعات،
فليطالع هناك .

مشاهد من لقنوا الشهادة فردوا ردأ حسنا؛

دخل الشعبى على رجل مريض يعوده، فوجد عنده رجلا يلقنه لا إله إلا الله وهو
يكثر عليه .

فقال له الشعبى : أرفق به .

فتكلم المريض وقال : يلقننى أو لا يلقننى ، فإننى لا أدعها ، ثم قرأ ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ (١)

فقال الشعبى : الحمد لله الذى نحى صاحبنا هذا .

من (جمع الشتيت على الشيت ص ٧٧)

قال محمد بن ثابت البنانى :

ذهبت ألqn أبى وهو فى الموت لا إله إلا الله، فقال : يا بنى دعنى، فلمنى فى وردى
السادس أو السابع .

من (الحلية ج ٢ ص ٣٢٢)

وروى أن الجنيد لما حضره الموت قيل له : قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته حتى
أذكره .

من (جمع الشتيت ص ٧٧)

(١) سورة الفتح آية ٢٦ .

وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني : قيل لبعض الصالحين وهو في السياق :

قل لا إله إلا الله، ففتح عينيه وأنشد:

وَعَدَا يَذْكُرُنِي عَهْدًا بِالْحِمَى وَمَتَى نَسِيتُ الْعَهْدَ حَتَّى أَذْكَرَا

من (جمع الشئيت ص ٧٧)

ولما كان أبو بكر محمد بن وسيم بن سعدون الطليطلى الضرير في النزاع دخل عليه بعض أصحابه فناداه فلم يجبه فقال الآخر: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (١)

فقال أبو بكر حين ذاك :

نزلت الآية في الكفار، وفيها ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ (٢)

من (ترتيب المدارك ج ٦ ص ١٧٦)

دخل المُرِينُ على أبي يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى وهو في النزاع.

فقال له : قل لا إله إلا الله.

فتبسم وقال : إياى تعنى، وعزة من لا يذوق الموت، ما بينى وبينه إلا حجاب العزة ، ومات فوراً.

فكان المُرِينُ يأخذ بلحيته نفسه ويقول : حجام مثلى يلقي الأولياء الشهادة، واخجلته منه، وكان يبكى كلما ذكر ذلك.

توفى النهرجورى - رحمه الله - سنة ثلاثين وثلاثمائة.

من (الوافى بالوفيات ج ٨ ص ٤٢٤)

ولما احتضر أبو بكر الشبلى قيل له : قل لا إله إلا الله، فأنشد:

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُخْتِاجٍ إِلَى السُّرُجِ

وَجَهَكَ الْمَأْمُولُ حَبَّتَنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسَ بِالْحُجَجِ

لَا أَرَانِي السَّالِمَ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَ أَدْعُو مِنْكَ بِالْفَرَجِ

مات - رحمه الله - في ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

من (ترتيب المدارك ج ٥ ص ٤٨)

(١) سورة سبأ آية ٥٤ .

(٢) سورة سبأ آية ٥٤ .

مشهد من لقن الشهادة فلم يستطع أن ينطق بها :

روى الطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان ودلائل النبوة عن عبد الله بن أبى أوفى أنه قال :

جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن هاهنا غلاما قد احتُضر، فيقال له قل لا إله إلا الله، فلا يستطيع أن يقولها، فقال صلى الله عليه وسلم :
أليس كان يقولها فى حياته؟

قالوا : بلى .

قال : فما منعه منها عند موته؟

فنهض النبى صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال :
يا غلام قل لا إله إلا الله .

قال : لا أستطيع أن أقولها.

قال : ولم ؟

قال : لعقوقي والدتى .

قال : أحية هى ؟

قال : نعم .

قال : أرسلوا إليها .

فجاءته، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

ابنك هو ؟

قالت : نعم .

قال : أَرَأَيْتَ لو أَنَّ ناراً أَجَّجَتْ فْقِيلَ لَكَ إِن لَّمْ تَشْفَعْ فِىهِ دَفَّنَاهُ فِى هَذِهِ النَّارِ .

فقالت : إِذْنًا كُنْتُ أَشْفَعُ لَهُ .

قال : فَأَشْهَدِى اللَّهَ وَأَشْهَدِينَا بِأَنَّكَ قَدْ رَضِيتِ عَنْهُ .

فقالت : قَدْ رَضِيتُ عَنْ ابْنِى .

فقال : يا غلام، قل لا إله إلا الله.

فقال الغلام: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى أنقذه بى من النار.

مشاهد من لقنوا الشهادة فردوا ردا سيئا

إن شؤم الخطيئة قد يمنع من النطق بالشهادة حتى مع التلقين، وهذه نماذج منها.
روى السيوطى فى شرح الصدور أن رجلا بالبصرة قيل له عند النزاع، يا فلان قل لا
إله إلا الله، فجعل يقول :

يَا رَبُّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ كَيْفَ الطَّرِيقَ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ
وروى هذا المشهد بهاء الدين العاملى بصورة أوسع فقال :

احتَضِرَ بعضُ المُتَرَفِّقِينَ، وكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله يقول :

يَا رَبُّ سَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقَ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ
وسبب ذلك أن امرأةً عفيفةً حسنةً خرجت إلى حمام معروف بحمام منجاب ، فلم
تعرف طريقه، وتعبت من المشى، فرأت رجلا على باب داره، فسألته عن الحمام ، فقال:
هو هذا . وأشار إلى باب داره، فلما دخلت أغلق الباب عليها، فلما عرفت مكره
أظهرت كمال الرغبة والسرور، وقالت : اشتر لنا شيئا من الطيب، وشيئا من الطعام،
وعجل بالعودة إلينا.

فلما خرج واثقا بها وبرغبتها، خرجت وتخلصت منه، فبقى مبهوتا حائرا ببقية
حياته، وتعلقت بها نفسه أعظم التعلق، حتى منعه خطيئته من الإقرار بالشهادة عند
الموت .

من (الكشكول ج ١ ص ٢٤٥)

ونقل السيوطى فى شرح الصدور عن البيهقى أن عابدا من أهل البصرة قال :
أدركت الناس بالشام يقولون: قيل لرجل قل لا إله إلا الله، فقال : اشْرَبْ وَأَسْقِنِي.
وكان إسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميرى شاعرا محسنا مجيدا إلا أنه
رافضى. (١)

قال أبو ريحانة المتصوف الورع: حدثنى رجل كان أبوه من جوار السيد أنه قال :
لما حضرت السيد الوفاة جاءنا وليه فقال :
هذا الرجل وإن كان مخطئا فهو من أهل التوحيد، وهو جاركم، فادخلوا إليه،
فلقنوه الشهادة.

(١) الرافضى منسوب إلى الرافضة، وهي فرقة من غلاة الشيعة

قال : فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه، فقلنا له قل لا إله إلا الله فاسود وجهه وفتح عينيه ثم قال لنا (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)^(١)
قال: وخرجنا فمات من ساعته .

من (الوافى بالوفيات ج ٩ ص ٢٠٢)

ولما احتضر الحطيثة قيل له : قل لا إله إلا الله فقال :
قالت - وفيها حيدة وذكر - عوذ بربي منكمو وحجر
والعرب يقولون عن الأمر ينكرونه : (حجر له) أى دفع له، وهو استعاذة من الأمر.
من (فوات الوفيات ج ١ ص ٢٧٩)

مشاهد مختلفة من أحوال المحتضرين

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون لكل إنسان ملامح خاصة، تميزه عن غيره من الناس، حتى أن الملامح إذا تشابهت بين اثنين، فإنها لا تكون متماثلة كل التماثل بنسبة مائة فى المائة، وإنما تتقارب بعض التقارب فقط، وكل ما يبدو من تماثل بين اثنين فإنه ناشئ عن نظرة غير فاحصة، ولا متأملة، ولا بد - عند التأمل - من وجود الفوارق المميزة لكل منهما ولو بين التوأمين أو التوائم .

والحكمة الإلهية فى هذا الأمر واضحة، لأن الحياة لا تستقيم بدون تلك الفوارق المميزة للشخص عن كل من سواه، ولو لم يخلق الله عباده على هذه الدقة من التمييز لعمت الفوضى جميع شئون الحياة، فيصبح المرء إذا تعامل مع شخص فى أمر واعترضه من يماثل ذلك الشخص كل التماثل فلا يبعد أن يحاوره فى ذلك الأمر، اعتقاداً منه أن الثانى هو الأول، ما دامت صورة الثانى هى صورة الأول بكل تفاصيلها، إلى آخر ما يتفاقم من مشاكل الالتباس بين الناس، ومن هنا يدخل البشر فى متاهات لا يعلم مداها إلا « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »^(٢)

وكما اختلفت ملامح الذوات بين كافة أفراد البشر فى الدنيا، فإن أحوالهم عند

(١) سورة سبأ - آية ٥٤ .

(٢) سورة السجدة الآيات ٧ - ٨ - ٩ .

مفارقتهم للدنيا تختلف اختلافاً بيناً، ولو أنها - أحياناً - تتشابه بعض التشابه، إلا أنها لا تتماثل كل التماثل.

وإليك بعض النماذج لأحوال المحتضرين المختلفة مما لم تشملها المشاهد السابقة.

مشهد من غلب عليه الرجاء

كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى الضرير قد ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وأخذ قراءة القرآن عرضاً عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبى بن كعب رضى الله عنهم. وهو الراوى عن عثمان قول النبى صلى الله عليه وسلم :
(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) رواه البخارى فى صحيحه.

وكان عبد الله السلمى الضرير - رحمه الله - يروى الحديث المذكور ويقول :
هذا الذى أقعدنى هذا المقعد، ولا يزال يُقرئ الناس من زمن عثمان رضى الله عنه إلى أن توفى سنة أربع وسبعين .
وقال قبل موته : (أنا أرجو ربي وقد صمت ثمانين رمضاناً) .

من (غاية النهاية ج ١ ص ٤١٣)

مشهد من لا يستريح إلا إذا وضع المصحف على صدره

نقل القاضى عياض عن يونس أنه قال :
دخلت على أبى عمرو أشهب بن عبد العزيز القيسى تلميذ الإمام مالك فى مرضه الذى مات فيه، فقال لى : يا يونس. قلت : لبيك. قال :
انظر ما هاهنا - وأشار إلى كتبه - ما جمعت من الحجج على هذا البدن الضعيف، ما أستريح إلا أن آخذ المصحف فأضعه على صدرى.
قال يونس : وكانت كتبه فى زنبيل كبير .

من (ترتيب المدارك ج ٣ ص ٢٧١)

وممن غلب عليهم الرجاء من أجل تلاوة القرآن :

عبد الله بن إدريس الأودى .

قال الإمام أحمد بن حنبل كان ابن إدريس نسيجاً وحده. وقال الحسن بن الربيع البورانى : أتى كتاب الرشيد إلى ابن إدريس وأنا شاهد، فقرأ : من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن إدريس. قال فشقق وغشى عليه، فلما أفاق قال : إنا لله، صار يعرفنى حتى يكتب إلىّ، أى ذنب بلغ بى هذا ؟

ولما حضرته الوفاة بكت ابنته، فقال : لا تبكى، فقد ختمت القرآن فى هذا البيت أربعة آلاف ختمة .

توفى - رحمه الله - آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة .

من (غاية النهاية ج ١ ص ٤٠٩)

ومنهم أبو بكر شعبة بن عياش :

قال ابن الجزرى :

لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها : ما يبكيك؟ انظرى إلى تلك الزاوية، فقد ختمت فيها ثمانى عشرة ألف ختمة .

توفى - رحمه الله - فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة .

من (غاية النهاية ج ١ ص ٣٢٧)

ومنهم أحمد بن على المنجور الفاسى :

كان رحمه الله لا يفتقر عن قراءة القرآن إلا زمن المطالعة أو التأليف أو الإقراء أو ضرورياته، ولما حضرته الوفاة كان يقول : مَوْتُ بِحَبِّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

من (درة الحجال ج ١ ص ١٦٣)

ومنهم من بشره الله بالمغفرة قبيل موته:

كان أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعى رأى فى مرضه الذى مات فيه كأن القيامة قد قامت .

وإذا الجبار سبحانه يقول : أين العلماء؟ فجاءوا، فقال : ماذا عملتم فيما علمتم؟ فقالوا : يا ربنا قصرنا وأسانا، فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جواباً آخر .

فقلت : أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه .

فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم .

ثم مات ابن سريج - رحمه الله - بعد ثلاثة أيام .

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٧)

ومنهم من جمع بين الاستبشار والوعظ :

نقل السيوطى عن الزبيدى وابن الفرضى أن محمد بن عبد الله بن الغازى القرطبى رحل من الأندلس إلى البصرة، فأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى الأندلس فأدخل معه علما كثيرا، مات - رحمه الله - بطنجة (لما خرج من الأندلس ثانية وهو يريد المشرق)

كما قال ابن الجزرى فى غاية النهاية ج ١ ص ٤٤١) وذلك سنة ست وتسعين ومائتين، وقال عند احتضاره :

الحمد لله ثم الحمد لله كم ذا على الموت من ساء ومن لاه
ما ذا يشاهد ذو العيين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله
يا ذا الذى هو فى لهو وفى لعب طوبى لعبد منيب القلب أواه
من (بغية الوعاة ص ٥٨)

ومنهم من رجا المغفرة لما كان عليه من اتباع رضا الله :
قال ابن خلكان :

سئل الحسن البصرى عن عمرو بن عبيد فقال :
لقد سألت عن رجل كان الملائكة أدبته، وكان الأنبياء ربه، إن قام بأمر قعد به، وإن
قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس
له، ما رأيت ظاهرا أشبه بباطن، ولا باطنا أشبه بظاهر منه.
قال ابن خلكان :

ولما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بى الموت ولم أتأهب له، ثم قال :
اللهم إنك تعلم أنه لم يُسبح لى أمران فى أحدهما رضى لك، وفى الآخر هوى لى
إلا اخترت رضاك على هواى فاغفر لى .
توفى - رحمه الله - وهو راجع من مكة إلى البصرة بموضع يقال له مران سنة أربع
وأربعين ومائة.

من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦٢)

ومنهم من رجا عفو الله لمحبه أهل الطاعة فى الله :

قال أبو جعفر الربرى لما حضرت الوفاة محمد بن صبيح بن السماك قال :
اللهم إنى وإن كنت أعصيك، لقد أحبيت فىك من يطيعك .
ومن كلامه ما رواه أبو الحسين على بن الحسين الفقيه، وهو أنه قال :
إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت، وعاش ما بعده، فسأل الرجعة فأسعف
بطلبه، وأعطى حاجته، فهو متأهب مبادر فافعل، فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئا،
ومن نفسه لنفسه.

توفى - رحمه الله - بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ١٧٦)

ومنهم من حاول ألا يموت إلا وهو حسن الظن بربه:

قال سوار بن عبد الله :

سمعت المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي يقول : قال لى أبى لما حضره الموت :
يا معتمر، حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به.
من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٩٩)

ومنهم من غلب عليه حسن الظن بربه:

قال ثابت البناني التابعى رضى الله عنه :

كان شاب به زهو، فكانت أمه تعظه : يا بنى إن لك يوما، فاذا ذكر يومك. فلما نزل به
أمر الله أكبت عليه أمه فجعلت تقول : قد كنت أحذرك مصرعك هذا يا بنى، فأقول
أن لك يوما، فاذا ذكر يومك.
فقال : يا أمه إن لى ربا كثير المعروف، وإنى لأرجو ألا يُعَذِّبَنِى اليوم بفضل معروفه،
ويلى إن لم يغفر لى .
قال ثابت : حسنَ ظنه بالله عز وجل فى حالته تلك.

من (الحلية ج ٢ ص ٣٢٦)

ومنهم من غلب عليه الرجاء لعفته :

قال ابن خلكان :

ذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل أنه قال :
بينما أنا بالشام إذا لقينى رجل من أصحابى، فقال هل لك فى جميل فإنه يعتل
نعوده؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلى وقال: يا ابن سهل: ما تقول فى رجل
لم يشرب الخمر قط، ولم يزن، ولم يقتل النفس، ولم يسرق، يشهد أن لا إله إلا الله؟
قلت: أظنه قد لحجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟
قال: أنا .

قلت له : والله ما أحسبك سَلِمْتَ وَأَنْتَ تُشِيبُ منذ عشرين سنة بِبَيْتَةٍ.

قال : لا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنى لفى أول يوم من أيام
الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدى عنها لريبة.
قال ابن سهل: فما برحنا حتى مات.

توفى بمصر سنة اثنتين وثمانين - رحمه الله.

من (وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٠)

ومنهم من أعد عفو الله لساعة احتضاره :

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي أن أبا القاسم عبد الصمد بن عمر الدينورى تفقه على أبى سعيد الاصطخرى ، وكان يُضرب به المثل فى مجاهدة النفس ، واستعمال الصدق والتقشف ، والأمر بالمعروف .

وكان يدق السعد للعطارين بالأجرة ، ويقتات من ذلك (والسعد نوع من الطيب) .
ولما حضرته الوفاة جعل يقول :

سيدى لهذه الساعة خَبَأْتُكَ (يعنى أعددت لهذه الساعة عفوك ومغفرتك) .
توفى - رحمه الله - ببغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

من (طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٢٩)

ومنهم من كان قد رجا الله لكبر سنه :

نقل ابن خلكان عن ابن منذر أنه قال :

سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟
قال : ما دامت الحياة تحسن به .

ثم قال ابن خلكان :

كان أبو عمرو إذا دخل شهر رمضان لم يتشد بيت شعر حتى ينقضى .
وقال أبو عبيدة : دخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن على ، وهو عم السفاح ، فسأله عن شىء فصدقه أبو عمرو ، فلم يعجبه ما قاله ، فوجد أبو عمرو فى نفسه ، وخرج وهو يقول :

أَنْفَتُ مِنَ الدَّلِّ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَإِنْ أَكْرَمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا
إِذَا مَا صَدَقْتُهُمْو خَفْتُهُمْ وَيَرْضَوْنَ مِنِّي بَأَنْ يَكْذَبُوا

قال ابن خلكان :

لما حضرت أبا عمرو الوفاة كان يُغشى عليه ويُفَيَّق ، فأفاق من غشية له ، فإذا ابنه بشر يبكى ، فقال : مايبيك وقد أتت على أربع وثمانون سنة ، توفى - رحمه الله - بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وهو الثالث فى ترتيب القراء السبعة .

من (وفيات الأعيان ج ٩ ص ٤٦٩)

ومنهم من مات يرجو عفو الله رغم إراقة الدماء :

قال ابن خلكان :

مرض الحجاج بالأكلة، وقعت في بطنه، ودعا بالطبيب لينظر إليها، فأخذ لحمًا وَعَلَّقَهُ فِي خِيْطٍ، وَسَرَّحَهُ فِي حَلْقِهِ، وَتَرَكَهُ سَاعَةً، ثُمَّ أَخْرَجَهُ، وَقَدْ لَصِقَ بِهِ دُودٌ كَثِيرٌ، وَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ الزَّمْهَرِيرَ، فَكَانَتِ الْكُوَانِينُ تُجْعَلُ حَوْلَهُ مَمْلُوءَةً نَارًا وَتُذْنِي مِنْهُ، حَتَّى تَحْرَقَ جُلْدُهُ وَهُوَ لَا يَحْسُ بِهِ.

وشكا ما يجده إلى الحسن البصري رضى الله عنه فقال له : قد كنت نهيتك ألا تتعرض إلى الصالحين فَلَحِجَّتْ.

فقال له يا حسن، لا أسألك أن تسأل الله أن يَفَرِّجَ عَنِّي، ولكني أسألك أن يعجل قبض رُوحِي، وَلَا يُطِيلَ عَذَابِي .

فبكى الحسن بكاء شديدا .

وأقام الحجاج (في رمضان) على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوما.

وكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتابا يخبره فيه بمرضه وكتب في آخره:

إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا	فَإِنْ سُرُورَ النَّفْسِ فِيهَا هَنَالِكَ
فَحَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ	وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ إِنْ صُرْتُ هَالِكَ
لَقَدْ ذَاقَ هَذَا الْمَوْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا	وَنَحْنُ نَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

قال ابن خلكان :

وكان ينشد في مرض موته هذين البيتين وهما لعبيد بن سفيان العكلي :

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا	أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءَ وَيَحْـُفُّهُمْ	مَا ظَنَّهُمْ بِقَدِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ

وقال الطبري في تاريخه: توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها وعفي قبره، وأجرى عليه الماء رحمه الله وسامحه.

قال ابن خلكان :

ويقال : أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق ويقول : مالي ولسعيد بن

جبير ؟

وقيل أنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير أخذاً بجماع ثوبه يقول له:
يا عدو الله فيم قتلتنى؟ فيستيقظ مذعوراً، ويقول مالى ولسعيد بن جبير:
ويقال أنه رىء في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:
قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة.
من (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٤)

من أضواء هذه المشاهد:

من فضل الله سبحانه أنه يوفق من يشاء من عباده ليحسنوا الظن به عند موتهم،
فيخرجوا من الدنيا على قدر عظيم من إكرام الله لهم بهذا الظن الجميل .
إن حسن الظن بالله عند الموت هو مما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته،
فقد أرشدها إلى ما ينبغى أن يكون عليه المسلم عند الاحتضار، وذلك فيما رواه عنه
جابر بن عبد الله رضى الله عنه حيث قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث:
(لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ) .
رواه البخارى ومسلم.

وروى أحمد والترمذى وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه
وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال :
(كَيْفَ تَجِدُكَ ؟)

قال : أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُوهُ، وَأَمَنَهُ مِمَّا
يَخَافُ)

وروى أحمد والبيهقى أن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه دخل على مريض فقال
له: أخبرنى كيف ظنك بالله؟ قال : أغرقتنى ذنوب لى، وأشرفت على هلكة، ولكنى
أرجو رحمة ربى، فكبر وائلة، وكبر أهل البيت تكبيرة، وقال : الله أكبر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ) .

وروى ابن المبارك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إِذَا رَأَيْتُمْ بِالرَّجُلِ الْمَوْتَ
فَبَشِّرُوهُ لِيَلْقَى رَبَّهُ وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَإِذَا كَانَ حَيًّا فَخَوِّفُوهُ.

أما من بشره الله بالمغفرة فى رؤيا رآها قُبيل موته فذلك من عظيم الفضل الإلهى على صاحب الرؤيا، وهى تندرج فى قول الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١)

وفيما رواه الطبرانى عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ، فَلَا نَبُوءَةَ بَعْدِي إِلَّا الْمَبَشِّرَاتُ: الرُّوْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ، أَوْ تُرَى لَهُ).

وفيما رواه ابن ماجه عن أم كُرْزٍ رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
(ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ، وَبَقِيَتِ الْمَبَشِّرَاتُ).

وأما من قتل نفساً مؤمنة متعمداً بغير نفس، ومات تائباً، راجياً لرحمة ربه فهل تقبل توبته؟ أو هو من المخلدين فى النار؟

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن الله سبحانه يقبل توبته إذا شاء لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢)

وذهب آخرون إلى أنه مُخلد فى النار، لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٣)

وكل ما فهمه الفريقان من الآيتين وغيرهما من الأدلة الأخرى قد بسطه وناقشه شيخ الاسلام محمد الطاهر بن عاشور فى الجزء الخامس من كتابه (التحرير والتنوير) عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ...﴾ وذهب رحمه الله إلى جواز شموله بقبول المتاب إذا شاء الله ذلك، وذكر أن الخلود الوارد فى الآية محمول - عند جمهور علماء السنة - على طول المكث فى النار، لأجل قتل المؤمن عمداً، ولا خلود فى النار إلا لأهل الكفر، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وانظر (التحرير والتنوير) إذا شئت المزيد من البيان فى هذه المسألة.

(١) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٨ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٣ .

ما ينبغى فعله بالمتحضرين

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحضرُ المؤمنون من يكون منهم فى سياق الموت، ليساعده على المرور بتلك المرحلة العصبية من وجوده، لأن أخطر وأشد ما يمر به آدمى فى الحياة الدنيا هى لحظات وفاته.

والحاضرُ لمن يكون فى سياق الموت قد يتأثر كثيرا بما يرى من شدة نزاع الروح، وأكثر الناس لا يدركون السر فى تلك الشدة المؤثرة.

غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حكمة الله فيما ينزل بالإنسان المؤمن من شدة النزاع، وذلك فيما رواه ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها حميم لها يختقه الموت، فلما رأى ما بها قال لها: لا تبتشى على حميمك، فإن ذلك من حسناته ^(١) يعنى أن الله يثيبه على ما ينزل به عند النزاع.

أما الأمور التى ينبغى مراعاتها بشأن المتحضر فهى كثيرة وأهمها ما يلى: ^(٢)

(١) أن يجلس عنده أحسن أهله، وأفضلهم قولاً وفعلًا، أو أخص أصدقائه به.
(٢) ألا يكون بين من يحضرونه جنب ولا حائض، ولا صارخ ولا مهذار ولا صبي يعبت.

(٣) ألا يكون فى المحل كلب ولا صورة مجسمة، ولا رائحة كريهة تتأذى منها الملائكة من آنية نجاسة أو رائحة تبغ ونحوها.

(٤) ألا يتكلم عنده إلا بخير.

(٥) أن يلحن الشهادة برفق، بأن يقول الملقن: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيسمعها المتحضر، فيقولها.

فإن قالها ثم تكلم بعدها بكلام فيُلَقَّن مرة أخرى، حتى تكون آخر ما ينطق به فى حياته.

وقد حدث أن عبد الله بن المبارك لما حضره الموت جعل رجل يُلقنه لا إله إلا الله، وأكثر عليه، فقال عبد الله: إذا قلت مرة فأنا على ذلك ما لم أتكلَّم.

(٦) ألا يضجر الملقن من عدم نطق المتحضر بالشهادة أو من عدم قبوله لها، لأنه قد

(١) الحميم: القريب، لا تبتشى: لا تحزنى.

(٢) ذكرت تفاصيل بعض هذه الأمور فى (مشاهد تلقين المتحضرين) فلتنظر هناك بصفحة ٢٥٨ وما بعدها.

يكون مشتغلاً في ذلك الحين بمخلوقات أخرى تحضره، يراها هو ويخاطبها، ولا يراها الحاضرون ولا يسمعونها لأن روحه بدأت تتخلص من حجاب الجسم، وأخذت تتكشف عن عالم آخر عجيب.

فقد كان أبو القاسم عبد الخالق بن شبلون لما حضرته الوفاة شُخص ببصره نحو الباب وقال:

هذا ملك الموت، ادخل يا ملك الموت، سألتك بالله إلا ما رفقت بي .
ثم قُضى رحمه الله . ذكر هذا ابن ابنته عبد الله، وكانت وفاته ليلة الأربعاء الثامن عشر من ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة . (١)

وكان الخليفة أبو القاسم عبد الله بن محمد الملقب بالمقتدى بأمر الله لما أحضر إليه تقليد السلطان (بركياروق) ليعلم عليه، قرأه وعلم عليه، ثم تغدى وغسل يديه، وعنده جاريته شمس النهار فقال لها :

هؤلاء الأشخاص قد دخلوا بغير إذن !
قالت : فالتفت فلم أر شيئاً، ورأته قد تغير حاله، واسترخت يدها، فظننت أنه قد غشى عليه، فقلت لجارية عندي ليس هذا وقت البكاء، واستحضرت الوزير وأخبرته الخبر فأخذ البيعة لولده أحمد.

توفى - رحمه الله - فجأة في التاسع من محرم لسنة تسع وثمانين وأربعمائة . (٢)
(٧) أن يقع توجيهه إلى القبلة مضطجاً على شقه الأيمن إذا تيسر ذلك، وإلا فعلى ظهره ورجلاه إلى القبلة .

روى الحاكم في المستدرک عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة سأل عن البراء بن معرور رضى الله عنه، فقالوا توفى وأوصى أن يوجه إلى القبلة، فقال صلى الله عليه وسلم : أصابَ الفطرة .

(٨) أن تُقرأ عنده سورة (يس)، فقد روى أحمد عن أبي الدرداء أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأَ عِنْدَ رَأْسِهِ (يس) إِلَّا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ).
وقد حدث أن غضيف بن حارث لما حضره الموت حضره إخوانه فقال :
هل فيكم من يقرأ سورة (يس) ؟

(١) معالم الإيمان ج ٣ ص ١٥٥ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٩ .

قال رجل من القوم : نعم.

قال غضيف : اقرأ ورتل وأنصتوا.

فقرأ ورتل وأسمع القوم، فلما بلغ ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ خرجت روحه. (١)

(٩) أن يدعى له بالتهوين والتثيت ونحو ذلك

(١٠) أن تغمض عيناه إذا بقينا مفتوحتين بعد أن تظهر عليه علامات الموت.

ومن تلك العلامات استرخاء رجليه وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانخساف صدغيه.

روى ابن ماجه عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة، وقد شق بصره (٢) فأغمضه ثم قال :

(إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ).

وكيفية تغميض العينين هى أن يأخذ شخص بعضديه، وآخر يابهاى رجليه، ويجذبانهما قليلا فإن العينين تغمضان.

وليحذر الإنسان من تغميض المحتضر قبل التأكد من موته.

قال أبو ميسرة :

غمضت جعفر المعلم - وكان رجلا عابدا - فى حالة الموت، فرأيت فى منامى ليلة يقول :

أعظم ما كان علىَّ هو تغميضك لى قبل أن أموت أو قال قبل الموت. (٣)

(١١) أن يُشدَّ لحيُّه الأسفل بعصابة تربط فوق رأسه، مخافة أن يبقى فاه مفتوحا بشكل يشوه صورته .

(١٢) أن يقع تليين مفاصله برفق، وتمديد يديه، وكذلك ركبتاه إثر خروج الروح، ولا يؤخر ذلك لثلا يتعذر مدُّ أعضائه إذا مضى على موته بعض الوقت .

(١٣) أن يُسرَّع بتجهيزه ودفنه.

روى أبو داود فى سننه عن الحصين بن حوح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(١) المغنى لابن قدامة ج ٢ ص ٤٥٠ .

(٢) شق بصره : انفتح .

(٣) مواهب الجليل ج ٢ ص ٢٢٠ .

(لا يَنْبَغِي لِجَنَافَةِ الْمُسْلِمِ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِهِ)

قال أبو عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج :

يؤخذ في تجهيزه على الفور، لأن من إكرام الميت الاستعجال بدفنه، اللهم إلا أن يكون موته فجأة، أو بصعق، أو بغرق، أو ما أشبه ذلك، فلا يُستعجل عليه، ويمهل حتى يتحقق موته، ولو أتى عليه اليومان أو الثلاثة أو يظهر تغيره فيحصل اليقين بموته، حتى لا يدفن حياً، فيحاط له، وقد وقع ذلك لكثير فيحفظ من هذا . (١)

غسل الميت :

الأصل في غسل الميت أن يقوم به أقرب الناس إليه إن كان يعرف كيفية الغسل ، وإلا فليغسله الإنسان الورع الأمين.

روى الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ غَسَلَ مَيِّتاً فَأَدَّى فِيهِ الْأَمَانَةَ، وَلَمْ يُفْسِدْ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ، خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ).

ثم قال صلى الله عليه وسلم :

(لِيَلَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ، فَإِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ فَمَنْ تَرَوْنَ أَنَّ عِنْدَهُ حَظًّا مِنْ وَرَعٍ وَأَمَانَةٍ) .

روى ابن أبي شيبة أن امرأة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ماتت، فقال لأهلها أنا كنت أولى بها إذا كانت حية، أما الآن فأنتم أولى بها.

ولذا قال الأحناف: لا يجوز للرجل غسل زوجته فإن لم يوجد إلا الزوج يممها، وأجاز جمهور العلماء غسل الرجل زوجته . (٢)

وينبغي - فى غسل الميت - مراعاة ما يلى :

(١) أن لا يحضره إلا الغاسل ومن يساعده فقط .

(٢) أن يوضع على شيء مرتفع، ويقف الغاسل ومساعدته على الأرض.

(٣) أن يجرد من ثيابه، ويتحفظ على عورته من أن تنكشف . وإنما يحجبها بغطاء ساتر كثيف، لا تظهر من تحته عند ابتلال الغطاء بالماء.

(١) المدخل ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) فتاوى وأقضية عمر ص ٧٤ .

(٤) أن يُبدأ بغسل النجاسة عنه، فيباشر الغاسل ذلك بخرقه، ويصب الماء من يمينه، ويعيد الغسل، حتى يرى أن المحل تنظف.

(٥) أن يعصر بطنه برفق، ليخرج ما فيه من أذى، فإن خرج شيء غسله حتى تتم نظافته.

ويحسن أن يقعه عند عصر بطنه إذا تيسر ذلك.

(٦) أن يكون غسل مخرجه بخرقه أو بأكثر من خرقه إذا لزم ذلك، وأما بقية بدنه فيغسله بيده إذا شاء، أو بقفاز طاهر ونحوه، فإن استعمل الخرق لغسل البدن، فلتكن واحدة لأعلى البدن وواحدة لفرجه وبين رجليه ثم يطرحها.

(٧) أن ينظر في بدنه، فمهما لاحظ نجاسة في أى موضع غسلها.

(٨) ألا يباشر بيده غسل فرج الميت بأى حال.

(٩) أن يبدأ بأعضاء وضوئه فيغسلها أولا، ثم يفيض الماء على رأسه، ويخلل شعر رأسه بيده، ثم يغسل الشق الأيمن فاليسر، من الأعلى إلى الأسفل، يقلبه يمينا ويسارا وبطنا لظهر، حتى يرى أنه قد عمه بالغسل، وبهذا تكون الغسلة الأولى قد تمت وبها يحصل الفرض الذى لا يجوز دفن المسلم إلا به.

(١٠) أن يغسله - على وجه السنة - مرتين أخريين، فإن حصلت النظافة بالثلاث فذلك أمر كاف، وقد جمع بين الفرض والسنة، وإلا زاد اثنتين حتى تصير خمسا وإلا زاد على الخمس اثنتين حتى تصير سبعا. وفى كل ذلك يكون العدد وترا.

(١١) أن تكون الغسلة الأولى بالماء فقط، والثانية بالماء والسدر، وهو ورق النبق يُطحن ويحرك فى الماء حتى تصير له رغوة، فإن لم يوجد السدر فيعوض بأى نوع من الغاسول، والثالثة بالماء والكافور إن وجد^(١) وإلا فبالماء وأى طيب كان كماء الزهر والورد والياسمين.

(١٢) أن ينظف ما تحت أظفاره ولا يقلمها، وأن يسرح شعر رأسه ولحيته بمشط واسع الأسنان، فإن خرج فى المشط شعر جمعه وألقاه فى الكفن يدفن معه.

(١٣) أن يتفقد فمه وأنفه، لاحتمال أن يكون قد دخل فيهما شيء من الماء، فيُميل رأسه قليلا ليخرج ما فيهما من الماء.

(١٤) أن ينشفه بعد الانتهاء من غسله.

(١) الكافور مادة تستخرج من شجر عظيم ينبت بجبال الهند والصين، وخشبه أبيض، ويوجد فى أجوافه الكافور وهو طيب الرائحة.

أما قراءة القرآن عند غسل الميت فقد سئل أبو إسحاق الشاطبي عن قراءة (يس) عند غسل الميت فقال :

إن في تلك القراءة ما في قراءة الحزب.^(١) وتزيد بأنها قراءة للقرآن في مواضع إزالة الأقدار والأوساخ التي ينزه القرآن عنها.

ويكفي المؤمن أنه لم يكن من عمل السلف، وإنما جاء في قراءة (يس) ما جاء عند الاحتضار، لا عند الغسل، ولا عند الدفن ولا غيرهما.^(٢)

ما ورد في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال ابن عباس:

لما أجمع القوم على غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في البيت إلا أهله : عمه العباس، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس وأسامة بن زيد، وصالح مولاة، فلما أجمعوا على غسله نادى من وراء الباب أوس بن خولى الأنصاري - وكان بدريا - علي بن أبي طالب، فقال :

يا علي حفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال له عليّ - عليه السلام - ادخل.

فدخل، فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يل من غسله شيئا. قال ابن عباس: فأستنده على إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه مع علي وكان أسامة وصالح يصبان الماء وجعل علي يغسله، ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت، وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حيا، وميتا، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يغسل بالماء والسدر - جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب، ثوبين أبيضين، وبرد حبرة.^(٣)

وروى الحاكم عن عبد الله بن الحارث أنه قال: غسل النبي صلى الله عليه وسلم علي وعلي يد علي خرقه يغسله فأدخل يده تحت القميص يغسله والقميص عليه. أما أبو بكر رضي الله عنه فقد أوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته.^(٤)

(١) يشير إلى أن قراءة القرآن من جماعة بصوت واحد كرهها مالك رضي الله عنه.

(٢) فتاوى الإمام الشاطبي ص ٢٠٩.

(٣) صفة الصفوة ج ١ ص ٢٢٩.

(٤) صفة الصفوة ج ١ ص ٢٦٧.

ما ورد في غسل ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم:

روى مالك في الموطأ عن أم عطية الأنصارية رضى الله عنها أنها قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفيت ابنته فقال : اغسلنها ثلاثا أو خمسا، أو أكثر من ذلك إن رأيتم ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور، فإذا فرغتن فأذنى.

قالت: فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه (تعنى إزاره)
فقال : أشعرنها إياه. (١)

ما ورد في غسل المحرم وكفته:

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :
بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع من راحلته فأقصعته، أو قال فأقصعته، فقال صلى الله عليه وسلم :
اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين ولا تخطوه ، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملييا.

كيف يجهز الميت إثر غسله ؟

(١) أول ما يبدأ به بعد التشييف أن يأخذ قطنه يجعل عليها شيئا من الطيب ويجعلها على فمه، وأخرى يسد بها شقى أنفه، وثالثة يشدها على الفم والأنف، ويربطها من خلف عنقه، فتكون كاللثام.
ثم يضع قطنا معطرأ على عينيه وأذنيه، ويشد ذلك بقطعة قماش فيربطها على القطن، وتكون كالعصابة.
(٢) ثم يجعل طيب الحنوط فى رأسه ولحيته، وفى أعضاء سجوده السبعة من جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه.

ويجعل من ذلك الحنوط فى عينيه وفمه وأذنيه ومرفقيه، وإبطيه ورفغيه، وعلى القطن الذى يجعل بين فخذه لثلا يسيل منه شىء، ويشد ذلك بقطعة قماش يربطها فى مثزره. (٢)

وقال سحنون : ويشد دبره بقطنه فيها ذريرة ويبالغ فيها برفق. (٣)
ويُزاد للمرأة سدُّ القُبُل بقطنه معطرة أخرى.

(١) اجعلنه شعارها، والشعار هو الثوب الذى يلى الجسد مباشرة. وفعل بها ذلك تبركا بازاره صلى الله عليه وسلم.

(٢) المثزر: ما يستر النصف الأسفل من الإنسان.

(٣) مواهب الجليل ج ٢ ص ٢٢٦ .

كل ذلك حسب ما يتوفر من الطيب وإلا فيقتصر على أعضاء السجود السبعة والأرفاع. ثم يشرع فى تكفينه.

(٣) أن يكفنه بما يستره ، وأقل الكفن ثوب واحد. والأفضل ثلاثة أثواب والاثنان أفضل من الواحد.

روى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن عمرو أنه رضى الله عنه قال : الميت يُقَمِّص ويؤزر ويلف فى الثوب الثالث، فإن لم يكن إلا ثوب واحد كفن فيه

واستحب كثير من الفقهاء - لتكفين الرجل - خمسة أثواب هى :

(١) قميص (ثوب يلبس على الجسم مباشرة).

(٢) إزار (ستر النصف الأسفل).

(٣) عمامة (يحتك بطرف منها، ويستوثق من ذلك لثلا يسترخى ذقنه فينفتح فاه، ويعممه بياقيها).

٤-٥) لفافتان يدرج فيهما.

ولا يزداد على هذه الخمسة، ويذرُّ من طيب الخنوط على ما يلى جسده ثم ما فوقه من اللفائف.

أما المرأة فالمستحب لها أن تكفن فى سبعة أثواب وهى :

(١) درع.

(٢) إزار.

(٣) خمار.

وأربع لفائف تدرج فيها.

وحتى لا تتحرك أطراف الميت عند نقله وحمله للدفن ينبغى - قبل إدراجه فى اللفائف - أن يربط طرف كم قميصه بطرف الكم الآخر وتربط قطعة قماش فى ملتقى ربط الكمين ويمدها إلى إبهامى رجله، فيربطها فيهما.

قال ابن الحاج فى المدخل :

وهذه الصفة إنما هى إذا ألبس الميت القميص، أما إذا أدرج فى الكفن إدراجاً فلا حاجة تدعو إلى فعل ذلك لعدم تحرك أطرافه عندئذ. (١)

وأخيراً تربط اللفافة الأخيرة أو اللفافتان من فوق رأسه، ومن تحت رجله. فإذا وضع فى لحده أزيل الرباط عنه.

(١) المدخل ج ٣ ص ٢٤١ .

٤) يستحب أن يكون الكفن أبيض اللون لما رواه أحمد والترمذي عن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(الْبَسُوا الثِّيَابَ الْبَيْضَ، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ).

٥) ويستحب أيضا أن يجمر الكفن بالبخور وترًا.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحسين الكفن في عدة أحاديث. فقد روى مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ).

وروى أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(الْمَيِّتُ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا).

قال العلماء : يعنى التى كفن فيها.

وروى البيهقي عن أبي قتادة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ) ثم قال البيهقي: وهذا لا يخالف قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه فى الكفن: إنما هو للمُهَلَّةِ يعنى الصديد، لأن ذلك يكون كذلك فى رؤيتنا، ويكون كما شاء الله فى علم الله كما قال تعالى فى الشهداء ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وهم كما تراهم يتشحطون فى الدماء. قال العلماء : المراد بتحسين الكفن بياضه ونظافته وسبوغه وكثافته لا كونه ثميناً.

وروى ابن أبي شيبة عن عمر رضى الله عنه أنه قال :

يُكْفَنُ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، وَلَا تَعْتَدُوا إِلَّا اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَتُكْفَنُ الْمَرْأَةُ فِي

خَمْسَةِ أَثْوَابٍ : فى المنطقة ، وفى الدرع، وفى الخمار، وفى اللقافة التى تشد عليها. (١)

وروى أبو إسحاق أن صلة بن زفر حدثه أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه بعثه وأبا مسعود، قال فابتعنا له كفنًا (حلة قصب) بثلاثمائة درهم.

فقال : أريانى ما ابتعثما لى .

فأريناه.

فقال : ما هذا لى بكفن، إنما يكفينى ريطتان بيضاوان، ليس معهما قميص، فإنى لا

أترك إلا قليلا حتى أبدل خيرا منهما .

قال: فابتعنا له ريطتين بيضاوين .

(١) فتاوى وأقضية عمر ص ٧٤ .

وعن أبي وائل أن حذيفة رضى الله عنه قال :
لا تُغالوا بأكفاني، فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير، فإنه يبدل بكسوته خيرا
منها وإلا سلب سلباً (١)

وروى أبو داود عن علي رضى الله عنه أنه قال :
لا تُغالوا لى فى كَفَنٍ، فَإِنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
(لا تُغالوا فى الكَفَنِ، فَإِنَّهُ يُسَلَبُ سَلْبًا سَرِيعًا)

وبالإضافة إلى كل ما تقدم فإن من المعلوم إسلامياً أن أول شخص من
أموات البشر وقع تجهيزه بالغسل والتكفين قبل دفنه فى التراب هو أبونا آدم عليه
السلام .

روى أبو عبد الله الحاكم عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال :

(لَمَّا تَوَفَّى آدَمُ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالماءِ وَثَرَأَ، وَالْحَدُّوا لَهُ، وَقَالُوا هَذِهِ سَنَةُ آدَمَ فِي وَلَدِهِ).
وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال :

(إن آدم غسلته الملائكة بماء وسدر، وكفّوه وألحدوا له ودفنوه، وقالوا هذه سُنَّتُكُمْ
يَا بَنَى آدَمَ فى موتاكم) يعنى قالوا ذلك لأبنائه.

البكاء على الأموات

المرء قد يبكى على الميت، لأنه مات ولم يتمتع بالحياة، كما كان يتوقع له محبوه، أو
كما كان يتوقع هو لنفسه...

وهذا الطراز من البكاء هو ما أوصى به أبو فراس الحمدانى ابنته قائلاً :

أَبْنَيْتِى لَأَتَجَزَعِى كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ
نُوحِى عَلَى بَحْسَرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحَجَابِ
قُولِى إِذَا كَلَّمْتِنِى وَعَيَّيْتَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ :
زَيْنُ الشَّبابِ أَبُو فِرَا سِ لَمْ يُمْتَعْ بِالشَّبَابِ

وقد يبكى المرء لمجرد فراق حبيب يعز عليه فراقه.

وقد يبكى لأنه سيفقد بموت الفقيد منافع كانت تصله منه، فيكون عندئذ باكياً على
نفسه لا على الميت.

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٦١٥ .

وربما يبكى إشفافاً على الميت مما سيجابه بعد الموت من سؤال فى القبر، ومن مشاهدة مقعده الذى سيصير إليه، إلى آخر ما سيلقى.

وقد يتوقع - بموت الفقيد - أن أمة من الناس ستحل بها رزية عظيمة على حد ما قيل.

وَمَا كَانَ عَمْرُوهُ لَهْلِكُهُ هَلَكًا وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْتَدِمًا
أو كما قيل:

يَمُوتُ قَوْمٌ، وَلَا يَأْسَى لَهُمْ أَحَدٌ وَوَاحِدٌ مَوْتُهُ رُزْءٌ لَأَقْوَامٍ
البكاء المجهود والبكاء المذموم

البكاء على الميت منه بكاء محمود، ومنه بكاء مذموم، أما المجهود فهو ما كان بفيضان الدمع، ولم يصحبه صوت، ولا خمش للوجه، ولا حلق للشعر، ولا تمزيق للثياب.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على عثمان ابن مظعون وهو ميت، قال فرأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان بن مظعون.

رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه

وروى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لنسوة : ابكين، وإياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان.

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر أنه قال :

اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعُوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم، فلما دخل عليه وجده فى غاشية أهله، فقال:
قد قضى؟ قالوا : لا يا رسول الله.

فبكى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى القوم بكاء النبى صلى الله عليه وسلم بكوا، فقال صلى الله عليه وسلم :

(أَلَا تَسْمَعُونَ؟، إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يُعَذِّبُ بهذا أو يرحم، (وأشار إلى لسانه) وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال:

دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين، ^(١) وكان ظمراً لإبراهيم ^(٢) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه - فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم:

(يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ) ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بأخرى، فقال: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ).

وفى رواية أوفى من التى رواها البخارى، وهى التى رواها ابن سعد عن مكحول فقد قال:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، وإبراهيم يجود بنفسه، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عبد الرحمن:

أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي تَنْهَى النَّاسَ عَنْهُ، مَتَى يَرِكَ الْمُسْلِمُونَ تَبْكِي يَبْكُوا. قال: فلما شريت عنه عبرته قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا هَذَا رُحْمٌ وَإِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، إِنَّمَا نَنْهَى النَّاسَ عَنِ النِّيَاحَةِ، وَأَنْ يُنْدَبَ الرَّجُلُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَوْلَا أَنَّهُ وَعَدَ جَامِعٌ، وَسَبِيلُ مَسَاءَةٍ، وَأَنْ آخَرْنَا لَأَحَقُّ بِأَوْلِنَا لَوْ جَدْنَا عَلَيْهِ وَجَدًا غَيْرَ هَذَا، وَإِنَّا عَلَيْهِ لَمَحْزُونُونَ، تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وَفَضَّلُ رِضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ).

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٠٢)

وروى البخارى عن أبى عثمان أنه قال: حدثنى أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة

(١) القين: الحداد.

(٢) الظفر: زوج المرضعة.

النبي صلى الله عليه وسلم أن ابناً لها قبض فأتتا، فأرسل صلى الله عليه وسلم يقرئ السلام، ويقول:

(إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ).
فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتيها، فقام صلى الله عليه وسلم ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي، ونفسه تتققع - قال حسبته أنه قال : كأنها شن^(١)

- ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم . فقال سعد يا رسول الله ما هذا؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

(هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادَهُ الرَّحَمَاءُ).
وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : شهدنا بنتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان.

وأما البكاء المذموم فهو ما كان يصحبه صوت أو نواح (بتعدد صفات الميت في زعم النائحة) أو يصحبه خمش للبدن. أو لطم للخدود، أو حلق للشعر أو خرق للثياب.

وهذه كلها من عوائد أهل الجاهلية على تفاوت بينهم فيها، وربما يطول بهم النواح على الميت عاما كاملا أو أكثر، فقد أمر لبيد بن ربيعة ابنتيه أن تبكياه حولا كاملا فقال:

تَمَنَّى ابْتَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا	وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
فَقُومًا، وَقَوْلًا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ	وَلَا تَخْمَشَا وَجْهًا، وَلَا تَخْلُقَا شَعْرًا
وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ	أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غَدْرًا
إِلَى الْحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا	وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَلَقَدْ غَدْرًا

من (الكشكول للعاملی ج ١ ص ٤٤)

ومع أن الدين الإسلامى حرم النواح فإن بعض الجهات فى العالم الإسلامى ما زالت تحافظ على تلك العوائد المنكرة.

روى الطبرانى عن عمرو بن عوف أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(١) القرية اليابسة.

(ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرَكُهُنَّ النَّاسُ: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّبَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَقَوْلُهُمْ مُطِرْنَا بِنَوَاءٍ كَذًّا وَكَذًّا (١)).

وروى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

وروى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه أوصى ولده عند موته، فذكر الحديث إلى أن قال :

وَإِذَا مِتُّ فَلَا تَتُوحُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنَحْ عَلَيْهِ .

على أن تعذيب الله للنائحات يوم القيامة تعذيب شديد كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى مسلم عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تُتَّبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ).

وروى ابن ماجه - بسند صحيح - عن أبى مالك الأشعرى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(النِّبَاحَةُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا مَاتَتْ وَلَمْ تُتَّبْ قَطَعَ اللَّهُ لَهَا ثِيَابًا مِنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعًا مِنْ لَهَبِ النَّارِ).

وروى أبو يعلى الموصلى فى مسنده، وابن عدى فى الكامل عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(أَيُّمَا نَائِحَةٍ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تُتَوَّبَ أَلْبَسَهَا اللَّهُ سِرْبَالًا مِنْ نَارٍ، وَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(١) أى بالنجم الفلانى، وكانوا يسمون بعض النجوم نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالغرب ناء الطالع بالشرق، فيعتقدون أن المطر ينزل بفعل النجم لا بإرادة الله وصنعه.

هل يعذب الميت بالبكاء عليه؟

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بتعذيب الأموات بالبكاء، وأجمع العلماء على أن المراد بالبكاء الوارد النهى عنه هو ما كان بصوت ونياحة لا بمجرد دمع العين.

غير أن الصحابة رضی الله عنهم اختلفوا في فهمهم لما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم بمن يعذبون بالبكاء المنهى عنه، هل يقصد الموتى من أهل الكفر خاصة، أو يقصد كل من يموت من الناس؟

وفيما يلي بعض الآثار الواردة في هذه المسألة:

روى البخارى أنه لما أصيب عمر دخل صهيب يبكي، يقول وا أخاه واصحابه. فقال عمر رضى الله عنه:

يا صهيب أتبكي على؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبَعْضِ بَيْكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ).

قال ابن عباس رضى الله عنهما: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقالت يرحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه) وقالت: حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

وروى البخارى عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: (إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها أهلها فقال: (إِنَّهُمْ يَكُونُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا).

وروى ابن أبى شيبة عن صفية بنت مخزومة أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدا لها مات ثم بكت، فقال صلى الله عليه وسلم:

(أَيَغْلِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَصَاحِبَ صُوحِبَهُ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا؟ فَإِذَا مَاتَ اسْتَرْجَعَ. (١) فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) بيده، إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَبْكِي فَيَسْتَعْبِرُ إِلَيْهِ صُوحِبَهُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا تُعَذِّبُوا مَوْتَاكُمْ).

(١) أى قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وروى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بِأَكْبَهُمْ فَيَقُولُ : وَاجْبَلَاهُ، وَاسْتَدَاهُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ إِلَّا وَكُلَّ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ ^(١) أَهَكَذَا كُنْتَ؟

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ)

قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم:

واختلف العلماء فى هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من أوصى بأن يبكى عليه ويتناح بعد موته،، فنُفذت وصيته.

فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم، لأنه بسببه ومنسوب إليه، فأما من بكى عليه أهله وتناحوا من غير وصية منه، فلا يعذب، لقول الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك، ومنه قول طرفة بن العبد :

إِذَا مِتَ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَى الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ

فخرج الحديث مطلقا، حملاً على ما كان معتادا لهم .

وقالت طائفة من العلماء: الحديث محمول على من أوصى بالبكاء والنوح، أو لم يؤص بتركهما.

فمن أوصى بهما، أو أهمل الوصية بتركهما يعذب بهما لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما.

فأما من أوصى بتركهما، فلا يعذب بهما، إذ لا صنع له فيهما، ولا تفريط منه. قال النووى: وحاصل هذا القول إيجابُ الوصية بتركهما، ومن أهملها عذب بهما... وقالت طائفة : معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله، ويرق لهم.

ما أعجب أن يبكى المرء وهو فى غفلة

قال عبد الواحد بن بكر: سمعت بعض أصحابنا يقول :

حضرت مع أبى بكر بن طاهر جنازة، فرأى إخوان الميت يكثرون البكاء فنظر إلى أصحابه، وأنشد:

(١) يدفعانه ويضربانه.

وَيَبْكِي عَلَى الْمَوْتَى وَيَتْرَكُ نَفْسَهُ وَيَزْعُمُ أَنْ قَدْ قَلَّ عَنْهُمْ عَزَاؤُهُ
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأَى وَفِطْنَةً لَكَانَ عَلَيْهِ - لَا عَلَيْهِمْ - بُكَاءُوه
من (طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص ٣٩٥)
ووقف أعرابي على قبر هشام بن عبد الملك وإذا بعض خدامه يبكي على قبره
ويقول:

مَاذَا لَقِينَا بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :
أَمَّا إِنَّهُ لَوْ نَطَقَ لَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ لَقِيَ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيتُمْ .

من (الكشكول للعاملی ج ١ ص ٢٥٩)

لعل بكاء العين يعقب راحة

ذكر أبو العباس المبرّد في كتاب (الكامل) أن أبا بكر بن عياش قال أصابتنى مصيبة
المتني فذكرت قول ذي الرمة:

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
فخلوت بنفسى وبكيت فاسترحت.

وروى عنه أنه قال : لما كنت شاباً وأصابتني مصيبة تجلّدت لها، ودفعت البكاء
بالصبر، فكان ذلك يؤذيني ويؤلمني، حتى رأيت أعرابياً بالكُنَاسَة وهو واقف على لحيب
له ينشد:

خَلِيلِي عُوْجًا مِنْ صُدُورِ الرِّوَا حِلِ بِمَهْجُورِ حُزْوَى قَابِكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ
فسألت عنه، فقبل لي: ذو الرمة.

فأصابتني بعد ذلك مصائب فكنت أبكي فأجد لذلك راحة، فقلت قاتل الله
الأعرابي ما كان أبصره .

بكاء سليمان بن عبد الملك على ابنه

ورد في وفيات الأعيان أن أيوب بن سليمان بن عبد الملك كان ولي عهد أبيه
سليمان، ولما حضرت أيوب الوفاة دخل عليه أبوه وهو يوجد بنفسه، ومعه عمر بن عبد
العزيز وسعيد بن عقبة، ورجاء بن حيوة، فجعل سليمان ينظر في وجه ابنه أيوب،
فخنقه الخبرة ثم قال: إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة،
والناس في ذلك أصناف، فمنهم المحتسب ومنهم من يغلب صبره جزعه، ومنهم من

يغلب جزعه صبره فذلك المغلوب الضعيف، وإنى أجد فى قلبى لوعة إن انا لم أبردها خفت أن تصدع كبدى كمدا. فقال له عمر يا أمير المؤمنين الصبر أولى بك فلا يحبطن أجرك .

وقال سعيد بن عقبة: فنظر إلى وإلى رجاء بن حيوة نظر مستغيث، يرجو أن نساذه على ما أذرفه من البكاء، فأما أنا فكرهت أن أمره أو أنهاء، وأما رجاء فقال:

يا أمير المؤمنين إنى لا أرى بذلك بأساً ما لم يأت الأمر المفرط وإنى قد بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه فقال : (تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضَى الرَّبُّ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) فبكى سليمان حتى اشتد بكاءه فظننا أن نياط قلبه قد انقطع.

فقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة: بش ما صنعت بأمر المؤمنين. فقال رجاء: دعه يا أبا حفص يقضى من بكائه وطراً، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتى عليه.

ثم أمسك عن البكاء، ودعا بماء فغسل وجهه، وقضى الفتى فأمر بجهازه، وخرج يمشى أمام جنازته، فلما دُفن وقف ينظر إلى قبره ثم قال :

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ

ثم قال السلام عليك يا أيوب وقال:

كُنْتُ لَنَا أُنْسًا فَفَارَقْتَنَا فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مَرُّ الْمَذَاقِ

ثم قال يا غلام أذن ذابتى منى، فركب وعطف دابته إلى القبر وقال :

فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفِظْكَ مِنْ شَيْعٍ وَإِنْ جَزَعْتُ فَعَلِقْتُ نَفْسِي دَهَبًا

فقال عمر : بل الصبر أقرب إلى الله عز وجل ، قال صدقت ، وانصرف.

من (وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص (٣٠٢)

مشاهد الجزعين من فقد الأعزة عليهم

قيل : ان المصيبة واحدة ، فإن جزع صاحبها فائتان :

- تَجَزَّعُ الْأَمَهَا

- والحرمان من الثواب.

والجزع هو من الجبللة التى خلق الله عليها الإنسان، ولكن المرء قد يتخلص من

الجزع إذا تأدب بما أرشد الله إليه في قوله : ﴿ إِنَ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمَصْلِكِينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلْمَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ . وَالَّذِينَ يَصَّدَقُونَ يَوْمَ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرَ مَأْمُونٍ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ . أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾ - المعارج - من ١٩ إلى ٣٥ .

وإن أكثر ما يشتد الجزع بالإنسان عندما يفقد بعض أحبائه، وإليك مشاهد من بعض الجزعين :

مشهد جزع من فقد والده

كان عبد الله بن عبد الأعلى من كبار أصحاب الحديث ببغداد، فلما مات صلي عليه ابنه عبد الله، وكبر عليه خمساً، فلما انصرف من الصلاة عليه قيل له :
قد أظهرت اليوم خلاف مذهبك ، فقال للناس :
اعلموا أني لو تركتُ ورأيي لكنت أكبر عليه تكبيرة بعد تكبيرة، وأخصه بأدعية بعد أدعية من نية صادقة، وطوية صافية، فقد وقذني فراقه، ولذعني انطلاقه.
ثم بكى وأفرط، وشهق شهقة، وأنشأ يقول :

صحبتك قبل الروح إذ أنا نطفة مصون، فلا يبدو لخلق مصونتها.
فماذا بقاء الفرع من بعد أصله ؟ ستلقى الذي لاقي الأصول غصونه
من (الوافي بالوفيات ج ١٧ ص ٢٣٧)

مشهد جزع من فقد ولده

قال الحسن بن علي بن العلاف البغدادي الضرب لما توفي ولده سعيد :
يا حسرتي بسعيد منذ فارقتي ويا حنيني إلى ما فات من أنسه
فلست أنسى وكفى تحت منخره وكان آخر ما أحسست من نفسه
وقد قضى الناس حقي في جنازته وكنت آمل أن يقضوه في عرسه
من (غاية النهاية لابن الجزري ج ١ ص ٢٢٢)

مشهد جزع من فقد خليلته

قال محمد بن عبد الله الأمير المسيحي:
أصبرُ وقد حل الثرى من أوده
فلله هم ما أشد وأوجعا
فيا ليتنى للموت قُدمتُ قبلها
ولا فليت الموت أذهبنا معا

مشهد جزع من فقد مجموعة من الأقارب

قال حبيب بن جدرة الهلالي:
ما رأيت امرأة أشد كمدا من امرأة من بنى شيبان، قتل أبوها وأخوها، وزوجها
وأُمها، وعمتها وخالتها مع الضحاك بن قيس، فما رقات لها عين، ولا رأيتها ضاحكة،
ولا مبتسمة، وقالت:

من لقلب شفه الحزن	أو لنفس ما لها سكن
ظعن الأبرار فارتحلوا	خيرهم من معشر ظعنوا
معشر قضوا نحوبهمو	كل ما قد قدموا حسن
صبروا عند السيوف فلم	ينكلوا عنها ولا جنبوا
فتية باعوا نفوسهمو	لا ورب الناس ما غُبِنُوا
تبسّعوا مرضاة ربهمو	حين مات الدين والسنن
فأصاب القوم ما طلبوا	منّة ما بعدها منن

من (تاريخ خليفة بن خليط ج ٢ ص ٤٠١)

مشهد جزع من فقد إحدى الجوارى

كان يزيد بن عبد الملك شديد الاستهتار بجاريته حبابة، فقال يوما:
يقال إن الدنيا لم تصفُ لأحد يوما قط، فإذا خلوت فاطموا عنى الأخبار، ودعوني
ولذتى بما خلوت له .

ثم خلا بحبابة، فخلوا فى طيب عيش، فتناولت حبابة حبة رمان فوضعتها فى فيها،
فسرقت (وسعلت بقوة) فماتت، فجزع عليها يزيد جزعا عظيما حتى كاد يهلك،
ومنع من دفنها حتى أروحت.

فاجتمعت مشائخ قريش على لائمته، وقالوا: إنما هى جيفة، وتركها عيب لا
يستقال.

فأذن في دفنها، ومشى في جنازتها، وتولى إلحادها بنفسه، ثم قعد على شفير القبر وقال :

كنت السواد لناظري	فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذر
ولما انصرف أوماً نحو القبر وقال .	
إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا	أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه	سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر .
فلم يبق بعدها الا خمس عشرة ليلة ومات	

من (الكشكول للعامل ج ٣ ص ٢٨١)

مشهد جزع أبي الحسن التهامي من موت طفل له

حكم المنية في البرية جار	ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا ترى الإنسان فيها مخبرا	حتى يرى خبراً من الأخبار
طبع على كدر وأنت ترومها	صفوا من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة نار
والعيش نوم والمنية يقظة	والمرء بينهما خيال سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت	منقادة بأزمة الأقدار
فاقضوا ما أربكم عجلاً إنما	أعماركم سقر من الأسفار
وتركضوا خيل الشباب وبادروا	أن تسترد فإنهن عوار
فالدهر يشرق إن سقى ويغص إن	هنا ويهدم ما بنى ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً	خلق الزمان عداوة الأحرار
يا كوكبا ما كان أقصر عمره	وكذاك عمر كواكب الأسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر	بدرأ ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه	فغطاه قبل مظنة الإبدار
فكان قلبى قبره وكأنه	في طيه سر من الأسرار
إن يحتقر صغر قرب مفخم	يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علو محلها	لترى صغاراً وهى غير صغار
ولد المعزى بعضه، فإذا انقضى	بعض الفتى فالكل في الإسبار

أبكيه ثم أقول معذرا له وفقت حيث تركت الأم دار
 جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري
 ولقد جريت كما جريت لغاية فبلغتها وأبوك في المضمار
 فإذا نطقت فأنت أول منطقي وإذا سكنت فأنت في إضماري
 وبعد زفرات الجزع الحرى أخذ يفتخر إلى آخر القصيدة، وهى تبلغ نحو مائة بيت.
 من (الكشكول للعاملى ج ٣ ص ٤١٨)

مشهد من الجزع المضحك

مات ولد لصالح بن عبد القدوس المعتزلى، فكان شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المعتزلى :

لا أرى لجزعك عليه وجهها، إذ كان الإنسان عندك كالزرع، فقال صالح:
 يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ (كتاب الشكوك) فقال أبو الهذيل :
 وما كتاب الشكوك ؟

قال : كتاب وضعته ، من قرأه :

- يشك فيما كان، حتى يتوهم أنه لم يكن .
- ويشك فيما لم يكن، حتى يتوهم أنه كان.
- فقال له أبو الهذيل :
- فشك أنت فى موته، واعمل على أنه لم يمّت
- وشك فى قراءته للكتاب، واعمل على أنه قرأه، وإن لم يكن قرأه، فأخجله.
- وقيل : إن الذى قال له ذلك (ابن أخته) إبراهيم النظام المعتزلى وهو الصحيح.
- من (الوافى بالوفيات ج ٥ ص ١٦٢)

مشهد من حملة الجزع على إساءة الأدب مع الله

قال ابن الجوزى :

خُذِلَ كثير (من الناس) عند موت أحبائهم، فمنهم من خرق ثوبه، ومنهم من طم، ومنهم من ألد.

قال : ولهذا رأيت رجلا كبيرا قد قارب الثمانين، وكان يحافظ على الجماعة فمات

ولد لابنته، فقال :

ما ينبغي لأحد أن يدعو، فإنه ما يستجيب، ثم قال : إن الله يعاند فما يترك لنا

ولدا

قال ابن الجوزى :

فعلمت أن صلاته، وفعله للخير عادة، لأنه لا ينشأ عن معرفة وإيمان، وهؤلاء هم الذين يعبدون الله على حرف .

من (رسالة الثبات عند الممات ص ٣٥)

من أضواء هذا المشهد

الدعاء عبادة لله، بل هو (مخ العبادة) كما روى ذلك الترمذى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه .

واستجابة الله لعبده المؤمن مضمونة بوعده الله فى القرآن العظيم ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ - غافر - ٦٠ .

غير أن استجابته سبحانه للداعى قد تكون بتحقيق ما يريده الداعى وقد تكون بما هو خير له مما أراد، والله هو الذى يختار لعبده المؤمن ما هو أولى به وأنفع له مما يظن، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة فيما رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له فى الدنيا، وإما أن يدخر له فى الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل، يقول دعوت ربى فما استجاب لى) .

أما وصف ابن الجوزى للرجل المسىء بأنه ممن يعبدون الله على حرف، فيشير بذلك الى قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ - الحج - ١١ .

مشاهد الصابرين على فقد الأمانة عليهم

مشهد صبر السيدة صفية بنت عبد المطلب

روى ابن إسحاق فى السيرة عن الزهرى، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن يحيى وغيرهم عن قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أقبلت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها لتنظر إلى أخيها حمزة رضى الله عنه فلقيها الزبير رضى الله عنه فقال:

أى أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى .

قالت : ولم وقد بلغنى أنه مُثَّل بِأخي، وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك،
لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله.

فجاء الزبير فأخبره، فقال صلى الله عليه وسلم :
خلَّ سبيلها :

فأتت إليه، واستغفرت له، ثم أمر به فدفن، كذا فى الاصابة فى تمييز الصحابة.
من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢١٥)

مشهد صبر السيدة أم سلمة أم المؤمنين

روى أحمد عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت :
أتانى أبو سلمة رضى الله عنه يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به، قال :
(لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع ثم يقول : اللهم أجرنى فى
مصيبتى، واخلف لى خيراً منها إلا فعل الله به).

قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه، فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم
أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيراً منها، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى
خير من أبى سلمة ؟

فلما انقضت عدتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً^(١)
لى ، فغسلت يدى من القرظ، وأذنت له، فوضعت له وسادة من آدم^(٢) حشوها
ليف^(٣) فقعد عليها ، فخطبنى إلى نفسى فلما فرغ من مقالته قلت :
يا رسول الله ، ما بى أن لا تكون بك الرغبة، ولكنى امرأة بى غيرة شديدة، فأخاف
أن ترى منى شيئاً يعذبنى الله به، وأنا امرأة قد دخلت فى السن، وأنا ذات عيال. فقال
صلى الله عليه وسلم :

أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى
مثل الذى أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى، فقالت :

قد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالت أم سلمة :
فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وابن سعد.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢١٥)

(١) جلدا .

(٢) جلد ناعم .

(٣) رقيق قشر النخيل .

مشهد صبر السيدة أم سليم

قال أنس بن مالك :

مات ولد لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون أنا أحدثه، قال فجاء، فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب، ثم تصنعت له بأحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما استعادوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟

قال : لا ، قالت : فاحتسب ابتك.

من (رسالة الثبات عند الممات لابن الجوزى ص ٣٤)

وروى البخارى عن صبر أم سليم وما جزاها الله عن صبرها رواية أوسع، فعن أنس بن مالك (ربيب أبى طلحة) أنه قال :

كان ابن لأبى طلحة رضى الله عنه يشتكى، فخرج أبو طلحة فقبض الصبى، فلما رجع أبو طلحة قال :

ما فعل ابنى ؟ قالت أم سليم :

هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء، فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت : واروا الصبى.

فلما أصبح أتى أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال صلى الله عليه وسلم :

أعرستم الليلة؟

قال أبو طلحة :

نعم.

قال صلى الله عليه وسلم :

اللهم بارك لهما.

فولدت غلاما، قال أنس فقال لى أبو طلحة : احفظه حتى تأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأرسلت معه بتمرات، فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها فى فم الصبى ، وحنكه بها، وسماه عبد الله.

وفى رواية أخرى عند البخارى: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الله أن يبارك لهما فى ليلتهما.

قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ٢١٠)

صبر المسلمين على موت عمر بن الخطاب

روى ابن سعد وابن منيع وابن عساكر عن الأحنف بن قيس رضى الله عنه أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :

إن قريشا رؤوس الناس لا يدخل أحد منهم فى باب إلا دخل معه فيه طائفة من الناس، فلم أدر ما تأويل قوله هذا حتى طعن. فلما احتضر رضى الله عنه أمر صهيبا رضى الله عنه أن يصلى بالناس ثلاثة أيام، وأمر أن يجعل للناس طعام، فيطعموا حتى يستخلفوا إنسانا.

فلما رجعوا من الجنازة جئ بالطعام، ووضعت الموائد فأمسك الناس عنها للحزن الذى هم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فأكلنا بعده وشربنا، ومات أبو بكر رضى الله عنه فأكلنا بعده وشربنا، وإنه لا بد من الأكل، فكلوا من هذا الطعام.

ثم مد العباس يده فأكل، ومد الناس أيديهم فأكلوا.

قال الأحنف : فعرفت قول عمر : إنهم رؤوس الناس.

من (حياة الصحابة ج ١ ص ٢١٩)

صبر معاذ بن جبل رضى الله عنه

روى أبو عبد الله الحاكم وأبو نعيم فى الحلية عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : طعن ^(١) معاذ وأبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعرى رضى الله عنهم فى يوم واحد فقال معاذ :

انه رحمة ربكم عز وجل، ودعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة .

فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذى كان يكنى به، وأحب الخلق اليه، فرجع من المسجد فوجده مكروبا. فقال :

(١) الطاعون وباء وقع بالشام .

يا عبد الرحمن كيف أنت ؟

فاستجاب له فقال:

يا أبت ﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ - البقرة - ١٤٧ .

فقال معاذ :

وأنا ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ - الصافات - ١٠٢ .

فأمسكه ليله ثم دفنه فى الغد .

فطعن معاذ، فقال حين اشتد به نزع الموت فنزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال :

رب اخنقنى خنقتك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبى يحبك .

وأخرج هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبى منيب مختصراً.

من (حياة الصحابة ج ٣ ص ١٩٧)

مشهد صبر عروة بن الزبير على فقد ولده ورجله

قال مسلمة بن محارب :

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك بن مروان، ومعه ابنه محمد ، فدخل محمد بن عروة دار الدواب، فضربته دابة فخر، فحمل ميتاً.

ووقعت فى رجل عروة الأكلة، فقال له الوليد: (اقطعها) قال : لا ، فترقت إلى ساقه، فقال له الوليد: (اقطعها) وإلا أفسدت عليك جسديك .

فقطعت بالمنشار، وهو شيخ كبير، فلم يمسكه أحد، وقال : ﴿لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ - الكهف - ٦٢ .

وقال عبد الواحد مولى عروة : شهدت عروة بن الزبير قطعت رجله من المفصل وهو صائم .

وقال عبد الله بن محمد بن عبيد : لم يترك عروة بن الزبير ورده إلا فى الليلة التى قطعت فيها رجله ، وتمثل بأبيات معن بن أوس :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى

واعلم أنى لم تصبنى مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال مسلمة بن محارب :

لما شخص عروة من عند الوليد إلى المدينة أته قريش والأنصار يعزونه، فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

يا أبا عبد الله قد صنع الله بك خيرا، والله ما بك حاجة إلى المشى (يعنى لكبر سنه) فقال :

ما أحسن ما صنع الله إلى وهب لى سبعة بنين، فمتعنى بهم ما شاء، ثم أخذ واحداً وأبقى ستة، وأخذ عضواً، وأبقى لى خمسا، يدين ورجلا وسمعا وبصراً.

من (الخلية لأبى نعيم ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩)

مشهد صبر أسماء بنت أبى بكر على فقد ولدها

لما رأى عبد الله بن الزبير تفرق عامة من كان معه على إثر محاصرة الحجاج لمكة مدة ثمانية أشهر دخل على أمه أسماء فقال :

يا أمه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهللى ولم يبق إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع إلا صبر ساعة، والقوم يعطونى ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟
فقالت :

والله يا بنى أنت أعلم بنفسك :

إن كنت تعلم أنك على حق فامض له، فقد قتل عليه أصحابك.

وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت أهلك نفسك ومن قتل معك.

وإن قلت إنى على حق فلما وهن أصحابى ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين.

فقبل رأسها، وقال: هذا رأى، ولكن أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة، فانظرى يا أمها إنى مقتول من يومى هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمى لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمل بفاحشة، ولم يجز فى حكم، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد.

اللهم إنى لا أقول هذا تزكية لنفسى ولا تعزية لأمى لتسلو عنى.

فخرج وقاتل حتى قتل .

وكان من دعاء السيدة أسماء أن قالت :

اللهم قد أسلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فائبنى فى عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين.

من (وفيات الأعيان باختصار ج ٣ ص ٧٣)

من أضواء مشاهد الصابرين

الصبر نوعان : موهوب، ومكسوب.

فالأول: هو ما طلبه من الله داود وجيشه عند ملاقاته جالوت وجنوده قائلين:

﴿ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا. وانصرنا على القوم الكافرين﴾ - البقرة - ٢٥ .

أما المكسوب فهو ما أشار إليه الخالق بقوله : ﴿إن الإنسان لفى خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ - العصر ١-٢-٣ .
على أن الصبر المكسوب لا يناله المرء فى الحقيقة إلا بمعونة الله تعالى وتوفيقه، فقد قال سبحانه : ﴿واصبر. وما صبرك إلا بالله﴾ - النحل - ١٢٧ .

ويتم اكتساب الصبر بالتدرج فى تحمل ما تكره النفس، حتى يصير كالطبيعة للإنسان، فتتهون عليه المشاق، بل إن من الناس من يتلذذ بالمشاق والمتاعب، وماهونها عليه الا عدم الجزع عند ملاقات أمثالها، والثقة بوعده الله على الجزاء على الصبر.

عثرت إحدى الصالحات فانقلع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع بما أصابك؟ فقالت : حلاوة لذة الثواب أزال عني مرارة الوجع.
روى الترمذى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(وفى الصبر على ما تكره خير كثير).

وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا وهم، ولا حزن ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها).

والمصابون إذا صبروا واسترجعوا فان الله تعالى يبشرهم بأعظم البشائر، إذ قال تعالى : ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وأولئك هم المهتدون﴾ البقرة - ١٥٥-١٥٦-١٥٧ .

فقد جمع لهم سبحانه صلواته، ورحمته وهداه. ومع ذلك فقد أكد أنه تعالى مع الصابرين فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ البقرة - ١٥٣ .

أما جزاء الصابرين فى الآخرة فقد قال عنه : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ - الزمر - ٣٩ .

حتى أن الملائكة تحييهم فى الجنة، وتثنى على صبرهم فى الدنيا ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم . فنعم عقبى الدار ﴾ - الرعد - ٢٤ .
ويقول المولى جل شأنه : ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ المؤمنون - ١١١ .

والصبر هو العلاج الوحيد لتحمل ما لا حيلة للإنسان فى دفعه . كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون ﴾ يوسف - ١٨ .

إلا أن الصبر لا يقوى إلا بمقدار قوة اليقين، فقد روى الترمذى عن ابن عمر أن من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم قوله : ﴿ وأسألك من اليقين ما تهون على به مصائب الدنيا ﴾ صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه .

الصلاة على الأموات

الصلاة على الأموات فرضها الله على المسلمين فرض كفاية إذا صلاها بعضهم كانت كافية فى الامتثال للأمر الإلهى، وفى أداء ما يجب عليهم لأخيهم المسلم .
ولقد تفضل سبحانه فجازى من يصلون على الميت بالأجر العظيم، ولم يجعل - فى هذه الحال - من لم يصل عليه من الأثمين، إلا إذا لم يقم أحد من المسلمين بالصلاة على الميت، وكانوا على علم بوفاته، وبأنه لم يقم بالصلاة عليه أحد، وكانوا متمكنين من أدائها فإنهم يأتون جميعاً .

أما ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أجر من يصلى على الميت فمنه ما رواه أحمد والنسائى عن عبد الله بن مُغَفَّل رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(من تبع جنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن انتظرها حتى يُفرغ منها فله قيراطان) .

كما روى أحمد ومسلم وابن ماجه عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(من تبع جنازة - وفى رواية من صلى على جنازة - فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان) .

قيل : وما القيراطان ؟

قال : أصغرهما مثل أحد .

ولعل الله يهب مزيد الفضل لمن يصلى على الأخيار من عباده، فقد قال سعيد الوراق حدثني ابن ثعلبة وكان من العابدين قال رأيت ضيغما فى منامى بعد موته فقال لى :

يا ابن ثعلبة ما صليت على ؟

فذكرت علة كانت فقال أما لو كنت صليت على لقد ربحت رأسك^(١)

وأما ما يرجى للميت من الخير بكثرة المصلين عليه، فقد روى فيه أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لا يموت أحد من المسلمين فيصلى عليه أمة من الناس، يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعوا له إلا شفّعوا فيه) .

وروى أحمد عن كريب مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن ابن عباس مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له ، فأخبرته، قال: هم أربعون؟ قال : قلت نعم، قال أخرجه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه) .

وروى أحمد وأبو عبد الله الحاكم وأبو داود عن مالك بن هبيرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من مؤمن يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين بلغوا أن يكونوا ثلاثة صفوف إلا غفر له)^(٢)

وكان مالك بن هبيرة يتحرى - إذا قل أهل الجنازة - أن يجعلهم ثلاثة صفوف .

كيفية الصلاة على الميت

الصلاة على الميت يطلب فيها ما يطلب فى سائر الصلوات من طهارة وستر عورة واستقبال للقبلة، إلا أنها لا ركوع فيها ولا سجود، وإنما هى تكبير ودعاء .

فيكبر المصلى أربع تكبيرات يرفع يديه فى الأولى ، ويقرأ الفاتحة، ثم يكبر التكبيرة

(١) من صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٦٠ .

(٢) قال الإمام النووي فى الجمع بين الأحاديث الثلاثة : يحتمل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بقبول شفاعة مائة، فأخبر به، ثم بقبول شفاعة أربعين، ثم بثلاثة صفوف وإن قل عددهم فأخبر به .

الثانية ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كما يصلى عليه عند التشهد فى الصلوات الأخرى ، ثم يكبر الثالثة ويدعو لنفسه ولوالديه وللمسلمين وللميت ، ثم يكبر الرابعة ويسأل الله أن يثبت الميت عند سؤاله فى القبر ، وألا يبتليه فيه بما لا طاقة له به .

والقراءة والدعاء فى صلاة الجنازة يكونان سرا إلا ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما حين جهر فيها بالقراءة لتعليم الناس ، فقد روى البخارى عن طلحة بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب فقال لي علموا أنها السنة .

ورواه النسائى بهذا اللفظ : فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة وجهر ، فلما فرغ قال : سنة وحق .

أما الدعاء للميت فقد وردت فيه صيغ عديدة منها ما رواه مسلم عن عوف بن مالك رضى الله عنه أنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة ، فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وعذه من عذاب القبر ، أو من عذاب النار .

قال عوف رضى الله عنه : حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت .

وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال : اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، وشاهدنا وغائبنا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان ، ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده .

وروى مالك والشافعى عن أبى سعيد المقبرى أنه قال :

سألت أبا هريرة رضى الله عنه كيف تصلى على الجنازة ؟ فقال : أنا لعمر الله أخبرك : أتبعها من أهلها ، فإذا وضعت كبرت ، وحمدت الله وصليت على نبيه ، ثم أقول : اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن امتك كان يشهد أن لا إله إلا انت ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسنا فزد فى إحسانه ، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .
ومما أثر من الدعاء للميت :

الحمد لله الذى أمات وأحيا، والحمد لله الذى يحى الموتى، له العظمة والكبرياء
والملك والقدرة والسناء وهو على كل شىء قدير.

اللهم إنه عبدك ابن عبدك ابن أمك، أنت خلقتهم ورزقتهم، وأنت أمته وأنت تحييه،
وأنت تعلم سره، جنتك شفعاء له ، فشفعنا فيه اللهم إنا نستجير بحبل جوارك له إنك
ذو وفاء وذمة، اللهم وقه من فتنة القبر، ومن عذاب جهنم اللهم إن كان محسنا فجازاه
بإحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عنه، اللهم إنه قد نزل بك ، وأنت خير منزل به، فقير
إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه، اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله فى قبره
اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

ويتضح مما تقدم أن صلاة الجنازة لا يتحتم فيها دعاء مخصوص وكل من لا
يقوم بشىء من تلك الأدعية يكفيه أن يدعو بما فيه خير للميت فى الحال التى صار
إليها، فإن عجز عن هذا كفاه بين كل تكبيرة وتكبيرة أن يكرر قوله: اللهم اغفر له،
اللهم ارحمه.

والطفل الصغير لا يصلى عليه إلا إذا استهل والاستهلال يكون عند الولادة
بالعطاس أو البكاء أو بحركة تدل على أنه ولد حيا.

ويقال فى الدعاء عند الصلاة عليه: اللهم اغفر لأبويه وارحمهما واجعله لهما فرطا
وسلفا وأجرا وذخرا، اللهم ثقل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، اللهم اجعله فى
كفالة إبراهيم عليه السلام، وألحقه بصالح سلف المؤمنين ، وأجره برحمتك من عذاب
الجحيم، وأبدله. دار أخيرا من داره وأهلا خيرا من أهله اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا
ومن سبقنا بالإيمان.

وحكم المأموم أنه يتابع بتكبيره تكبير الإمام فإن كان مسبوقا ولم يدرك مع الإمام إلا
بعض التكبيرات، وسلم الإمام فإنه بعد تسليم الإمام يبادر بما فاتته من التكبير متتابعاً
ويسلم .

وأولى الناس بالإمامة فى صلاة الجنازة أولياء الميت ويقدم الأقرب فالأقرب: الابن
ثم الأب ثم أب الأب ثم الاخوة ثم العم ثم بنو العم الخ.

وهل يقدم عليهم من أوصى له أن يصلى عليه؟ نعم وردت بذلك آثار كثيرة
عن الصحابة رضى الله عنهم فأبو بكر أوصى أن يصلى عليه عمر، وعمر
أوصى أن يصلى عليه صهيب، وأم سلمة أوصت أن يصلى عليها سعيد بن
زيد الخ.

وهل يقدم من أوصى له حتى على الأمير؟ نعم لقد أوصى أبو سريحة أن يصلى عليه زيد بن أرقم، فجاء عمرو بن حريث وهو أمير الكوفة ليتقدم فيصلى عليه، فقال ابنه، أيها الأمير، إن أبى أوصى أن يصلى عليه زيد بن أرقم فقدم زيدا^(١).

ومن صور التنازع على الإمامة فى صلاة الجنائز أن يحيى بن يحيى الليثى لما احتضر أسند وصيته فى أداء دين وبيع مال إلى محمد بن زياد وكان ابن زياد هو القاضى يومئذ فكان وصى يحيى فى ذلك الوقت.

ولما وضعت جنازة يحيى بن يحيى (للمصلاة) قال عبيد الله بن يحيى - وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة - للقاضى محمد بن زياد : تقدم .

فتقدم محمد بن زياد، وتقدم إسحاق بن يحيى للمصلاة على أبيه، فكبر محمد بن زياد، وكبر إسحاق حتى بلغوا إلى السلام فسلم محمد بن زياد، وسلم إسحاق بن يحيى هكذا كانت الصلاة على يحيى بن يحيى .

فلما انقضت الصلاة نظر القاضى محمد بن زياد الى اسحاق بن يحيى ثم قال له :
من قدمك على بهذا؟

فقال له إسحاق :

ومن قدمك أنت على أبى؟

فقال له ابن زياد :

حكم الصلاة عليه إلى دونك، ومع هذا فإن أخاك قدمنى، وهو أرشد منك ، أما والله لولا حفظ هذا الميت لفعلت بك وفعلت^(٢).

وكانت وفاة يحيى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

ولا يصلى على شهيد المعركة وهو الذى قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، فقتله الكفرة فى المعركة بأى وجه كان القتل .

روى أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

فى قتلى أحد :

(لَا تُغْسَلُوهُمْ، فَإِنْ كُلَّ جَرْحٌ أَوْ كُلَّ دَمٌ يَفُوحُ مُسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ)
قيل إن السر فى عدم غسل الدم هو أنه دم طاعة كترك رائحة خلوف فم الصائم لأنه

(١) من المغنى ج ٢ ص ٤٨٠ .

(٢) من (قضاة قرطبة) ص ٨٧ .

عند الله اطيب من رائحة المسك، وإن السر في عدم الصلاة على الشهداء هو أنهم أحياء عند ربهم، وإنما شرعت الصلاة على الأموات.

لعل من الأموات من يتحسر عند الصلاة عليه

ورد في الخبر أن الميت يرى ويعرف ما يصنع به، فقد روى أحمد والطبراني في المعجم الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبی صلى الله عليه وسلم قال:

(إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَغْسِلُهُ وَيَحْمِلُهُ وَيَكْفِنُهُ، وَمَنْ يُدْفِنُهُ فِي حُفْرَتِهِ).

ومن هنا نرى الناس يصلون على بعض الموتى، ونرى أبناءهم لا يصلون عليهم، وإنما يقفون منتظرين فراغ الناس من الصلاة على أبيهم، لأنهم نشأوا تاركين للصلوات الخمس وشبوا على ذلك.

ما من شك في أن ذلك الميت سوف يتحسر على أنه لم ير أبناءه يساهمون مع الناس في التوجه إلى الله بالصلاة على أبيهم، وبالنداء له في صلاة فرضها الله لصالح كل مسلم.

وما من شك في أن حسرته تكون أشد عندما يدرك أن سبب جفوتهم له هو أنه لم يتق الله في أبنائه، فلم يربهم على أداء حق الله في حياته، ففرطوا في حقه في وفاته.

وهكذا تتوالى حسراته عندما تعرض عليه أعمالهم كل يوم جمعة، فيراهم مواصلين لترك الصلاة فتتجدد حسراته وتكرر، إلى أن يمن الله عليهم بالمتاب.

ما شرع الله للبشر في دفن الأموات

إن ما ابتدعه البشر في ما يصنعون بأجسام الموتى من حرق، أو تحنيط أو شد الأرجل بالوثاق، أو حرق زوجة الميت حية مع حرق جثته، أو دفن بعض الأشياء مع الميت، كل ذلك لم يكن مما شرع الله لعباده وإنما هي تخרصات من كهنة بعض الشعوب في عصور ابتعدت فيها تلك الشعوب عن هداية الله، ولم يكن لأولئك الكهنة ولا لشعوبهم أى سند معصوم لا فيما فكروا ولا فيما اعتقدوا، ولكن الشيطان سول لهم وأملى لهم.

أما ما شرعه الله لعباده- من دفن أمواتهم في التراب - فهو الذى ورد به الوحي في القرآن العظيم، إذ يقول الله تعالى في سورة المائدة :

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ. قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. أَنَّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ. قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (١)

لقد كان ذلك القتل أول من مات من ولد آدم وأول إنسان يدفن في الأرض على صورة تعلمها من طير بعثه الله ليعلمه كيفية دفن جسد الميت في الأرض.

ولقد تناول القرآن العظيم دفن الموتى وبعثهم من القبور ليحاسبوا على أعمالهم في عدة آيات ، منها قول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٢) وقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ (٣) وقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشِيرٌ﴾ (٤) وقوله: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ (٥) وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى. وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٦)

كما ان السنة الواردة عمن لا ينطق عن الهوى كشفت عن أن آدم عليه السلام قد ألحد له الملائكة في الأرض (٧) وقالوا هذه سنة آدم في ولده.

(١) الآيات ٢٧ - ٣١ .

(٢) سورة طه الآية ٥٥ .

(٣) سورة المعارج الآية ٤٣ .

(٤) سورة القمر الآية ٧ .

(٥) سورة عبس الآيات ١٧ - ٢٢ .

(٦) سورة الحج الآيتان ٦ - ٧ .

(٧) جعل له الملائكة لحداً، واللحد هو القبر، روى أبو عبد الله الحاكم عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا، وقالوا هذه سنة آدم في ولده).

ومن أيام آدم عليه السلام عرف البشر أن القبر هو ذلك الحفير الذى يدفن فيه الميت، وليس هو ما يشيد على تلك الحفرة من بناء فى أى صوة من الصور التى ابتدعها إبنائؤه من بعده.

ومع هذا وذاك نجد أكثر الناس لا ينظرون إلى حقيقة ما يجرى فى القبور، فإن نظروا فلا ينظروا إلا ما كان ذا صلة بالحياة الدنيا.

فبعضهم يقول :

يا حفرةً طولها خمس إذا ذُرِعَتْ فى خمسة قد دَفَنَّا عزنا فيها
ويقول آخر :

وما ينفع المقبور تشييد قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم
ودخل داود الطائى مقبرة فسمع باكية على قبر تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يُرْجى وأنت قريب
تَزِيدُ بَلَى^(١) فى كل يوم وليلة وتُسَلِّى كما تَبْلَى وأنت حبيب

وهكذا يقف نظر الأحياء عند هذا الحد، ولا يدركون ما يجرى على الأموات فى القبور، وأنى لهم أن يستطيعوا ذلك؟ حتى أن من يحاول أن يتصور ما فى داخل القبر من الحقائق لا يظفر إلا بصورة مبهمه، وهى مع ذلك مزعجة لدى أناس، ومحزنة لدى آخرين، كما تبدو محيرة لمن فكر فى أول نزوله بالقبر كابى القاسم الحسين بن على المغربى حين قال:

إِنِّى أَبْثُكَ مِنْ حَسَدِي والحديث له شُجُونُ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
قُلْ لِي فَأُولَ لَيْلَةٍ فِي القبر كيف ترى أكون؟

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاه عنا أعظم الجزاء عرفنا بكثير مما يجرى على الأموات فى قبورهم.

فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال

(١) بلى : إبادة وفناء.

(إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَفْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ لَهُ: هَذَا مَفْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ).

ونقل السيوطي في شرح الصدور عن ابن منده أنه روى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ)

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم بأسانيدهم إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ).

قال عثمان : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ مَنَظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ).

وروى النسائي عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إِنَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ).

وروى الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا الْمَوْتُ فِي مَا بَعْدَهُ إِلَّا كَنَظْحَةِ عَنَزٍ).

إن هذه الأحاديث تكشف عن بعض أحوال الموتى فى قبورهم، وبصورة مجملة، وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث أخرى فصل فيها بعض ما روى عنه مجملاً فى هذه الأحاديث وقد جاء التفصيل مبيناً للأحوال العشر التالية:

١ - سؤال الملكين للميت عند دفنه.

- ٢ - استغفار الأحياء له ودعاؤهم ليثبتته الله عندئذ.
- ٣ - من لا يسألون فى القبور.
- ٤ - ضغطه القبر للميت، وما يلقى منها.
- ٥ - ما يلقى بعض الموتى من العذاب فى القبر.
- ٦ - ما يدفع الله به عذاب القبر.
- ٧ - من لم تقبل الأرض جسده من الأموات.
- ٨ - آداب دفن الأموات فى الإسلام.
- ٩ - محذورات القبور.
- ١٠ - زيارة المقابر.

وإليك ما ورد في تلك الأحوال العشر أولا سؤال الملكين للميت عند دفته

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه ، فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا .

واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس، فيقال له لا دريت ولا تليت. (١)
ويضرب بمطراق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

كما روى الترمذى حديث السؤال عن أبى هريرة أيضا وجاء فى روايته بيان اسم الملكين وبعض أوصافهما، قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إذا قبر الميت أو قال أحدهم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟

فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله ، اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا.
ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون: فقلت مثله لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك .

فيقال : للارض التثمى عليه، فتلتثم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وفى موضوع السؤال روى ابن أبى شيبه عن أبى هريرة أيضا، وجاء فى روايته أن

(١) كلمة تليت أصلها تلوت وإنما قلبت لتشاكل دريت.

الأعمال الصالحة للميت تحيط به عند السؤال تأنيسا له، وتلطيفا للحالة التي يجرى فيها السؤال والجواب، ونص ما روى ابن ابي شيبه عن أبي هريرة رضى الله عنه هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله.

فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلى مدخل ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلى مدخل.

فيقال له: اجلس وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد به عليه؟ فيقول : دعونى حتى أصلى.

فيقولون : إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟

فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاء بالحق من عند الله . فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورا.

ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا.

ثم يفتح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدا منه فتجعل نسمة^(١) فى النسم الطيب وهو طير يعلق فى شجر الجنة.

قال فذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)

(١) نسمة روحه.

(٢) سورة إبراهيم عليه السلام الآية ٢٧ .

وإن الكافر إذا أتى من قبل رأسه لم يوجد شيء ثم أتى عن يمينه فلا يوجد شيء ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء ثم أتى من قبل رجله فلا يوجد شيء.

فيقال له : اجلس فيجلس خائفا مرعوبا.

فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه؟

فيقول : أى رجل؟

فيقال له : الذى كان فيكم.

فلا يهتدى إلى اسمه حتى يقال له : محمد.

فيقول : ما أدرى سمعت الناس قالوا قولاً فقلت كما قال الناس .

فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله.

ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها ، فيزداد حسرة وثبورا.

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورا.

ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

فتلك المعيشة الضنك التى قال الله : ﴿فن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (١)

كما روى ابن ماجه حديث السؤال، وجاء فيه أن الرجل الصالح لا يفزع عند السؤال وهذا نصه: عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف^(٢) ثم يقال له : فيم كنت؟ فيقول : كنت فى الإسلام، فيقال له : ما هذا الرجل ؟

فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه .

فيقال له : هل رأيت الله ؟

فيقول : ما ينبغي لأحد أن يرى الله .

فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضها .

(١) سورة طه الآية ١٢٤ .

(٢) المشعوف هو من يشتد فزعه حتى يذهب بلبه .

فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله .

ثم يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له :

هذا مقعدك، ويقال له : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله .

ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوبا، فيقال له : فيم كنت؟

فيقول : لا أدري .

فيقال له : ما هذا الرجل ؟

فيقول : سمعت الناس يقولون قولا فقلته.

يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله

عنك.

ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له : هذا

مقعدك، على الشك كنت وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى.

واليك ثمانى نقط تتصل بسؤال الملكين

الأولى : قال الجلال السيوطى فى باب فتنة القبر وسؤال الملكين من كتابه شرح

الصدور:

(قد تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة من رواية أنس، والبراء، وقيم الدارى، وبشير

ابن الكمال وثوبان، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن رواحة، وعادة بن الصامت،

وحذيفة بن اليمان، وضمرة بن حبيب وابن عباس وابن عمرو، وابن مسعود، وعثمان

ابن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبى أمامة، وأبى

الدرداء، وأبى رافع، وأبى سعيد الخدرى، وأبى قتادة، وأبى هريرة، وأبى موسى

وأسماء بنت أبى بكر، وعائشة أم المؤمنين وميمونة رضى الله عنهم أجمعين)

الثانية : قال القرطبى:

(فإن قال قائل فلم يسمى فتاناً القبر بمنكر ونكير؟ فالجواب أنهما سميا بذلك لأن

خلقهما لا يشبه خلق آدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الدواب، ولا خلق الهوام،

بل هما خلق بديع لا يأنس بهما أحد من الناظرين) .

الثالثة: أن قول الملكين فى السؤال : ما كنت تقول فى هذا الرجل يريدان النبى

محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهما لم يصفاه بالرسالة، ولا بأى وصف دال على

التعظيم، حتى لا يكون ذلك الوصف تلقينا للجواب، والتلقين لا يناسب الامتحان.

الرابعة : روى البزار بسند رواه ثقات عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

قلت يا رسول الله تُبْتَلَى هذه الأمة في قبورها، فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة؟
فقال صلى الله عليه وسلم :

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» (١)
كما روى أحمد حديث السؤال عن جابر رضى الله عنه، جاء فى آخر قوله سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ : الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ).
الخامسة : ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت عند السؤال يكون معه عقله
فى ذلك الجو الرهيب. فقد روى أحمد والطبرانى وابن عدى بسند صحيح عن عبد
الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر، فقال عمر أترد إلينا
عقولنا يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم :
(نَعَمْ، كَهَيْتِكُمُ الْيَوْمَ) .

ويؤيد هذا ما رواه أبو عبد الله الحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال :

(فَتَنَةُ الْقَبْرِ فَيَ إِذَا سُئِلْتُمْ عَنْى فَلَا تَشْكُوا) .

فلو لم يكن الميت عقله معه لما كانت هناك فائدة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا
تشكوا.

السادسة : نقل السيوطى فى شرح الصدور عن الحكيم الترمذى أنه روى عن سفيان
الثورى أنه قال :

إِذَا سُئِلَ الْمَيِّتُ : مَنْ رَبِّكَ؟ تَرَأَى لَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ، إِنِّى أَنَا رَبِّكَ.
ثم قال الحكيم : ويؤيده قول الرسول صلى الله عليه وسلم عند دفن الميت : (اللَّهُمَّ
أَجِرْهُ مِنَ الشَّيْطَانِ) فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما دعا صلى الله عليه وسلم
بذلك.

كما روى ابن ماجه عن ابن المسيب أنه قال : حضرت ابن عمر رضى الله عنهما
فى جنازة ابنة له، فلما وضعها فى اللحد قال : باسم الله ، وفى سبيل الله، فلما أُخِذَ
فى تسوية اللحد قال : اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر. فلما سوى الكثيب
عليها قام إلى جانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبها وصعد روحها

(١) سورة إبراهيم - عليه السلام الآية ٢٧ .

ولقها منك رضوانا، ثم قال سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وروى ابن أبي شيبه في المصنف عن خيثمة أنه قال : كانوا يستحبون إذا دفنوا الميت
أن يقولوا : باسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم أجره من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن شر الشيطان الرجيم.
السابعة : من أحداث السؤال ما رواه البزار والطبراني والبيهقي عن أبي رافع رضى
الله عنه أنه قال :

بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد^(١) وأنا أمشى خلفه إذ
قال :

لا هديت ولا اهتديت

قلت مالى يا رسول الله؟

قال : لَسْتُ بِإِيَّاكَ أُرِيدُ، وَلَكِنْ أُرِيدُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، سُئِلَ عَنِ فِرْعَاقِهِ أَنَّهُ لَا
يَعْرِفُنِي وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : فشك فى .

قال أبو رافع فإذا قبر مرشوش عليه ماء، حين دفن صاحبه.

الثامنة : هل تعاد روح الميت إلى جسده عند السؤال؟

قال ابن القيم :

الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال. لكن تلك الإعادة لا تحصل
بها الحياة المعهودة التى تقوم بها الروح بالبدن وتدبره، ويحتاج معها إلى الطعام
والشراب، وإنما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان بالسؤال.
وكما أن حياة النائم - وهو حى - غير حياة المستيقظ، فإن النوم أخو الموت، ولا
ينفى عن النائم إطلاق الحياة، فكذلك حياة الميت عند إعادة روحه غير حياة الحى وهى
حياة لا تنفى عنه اسم الموت بل أمر متوسط بين الموت والحياة .

ثانياً: الاستغفار للميت وسؤال الله أن يثبتته عند السؤال

عندما يموت الإنسان يمر بمراحل لم يألفها طول حياته، وتكون ليلته الأولى فى
قبره أعجب وأغرب ليلة تمر به فى أول منازل الآخرة، حتى أن سيدنا أنس بن مالك
رضى الله عنه عبر عن هذه الحقيقة - فيما رواه البيهقي عنه فى شعب الإيمان - حين
قال :

(١) بقيع الغرقد هو مقبرة المدينة المنورة.

ألا أخبركم بيومين وليلتين لم يسمع الخلائق بمثلهما؟
 أول يوم يجيئك البشير من الله إما برضا الله وإما بسخطه.
 ويوم تقف بين يدي الله تأخذ فيه كتابك إما بيمينك وإما بشمالك.
 وليلة يبيت الميت في قبره لم يبت ليلة قبلها مثلها.
 وليلة صبيحتها يوم القيامة، ليس بعدها ليلة.
 ولما كان سؤال الملكين هو أول من يجابه الميت على إثر دفنه أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن يتوجه الأحياء إلى الله بالاستغفار للميت وبأن يثبته الله عند
 السؤال.

فقد روى أبو داود والحاكم والبيهقي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبی
 صلى الله عليه وسلم مر بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن، فقال استغفروا لأخيكم وسلوا
 له التثبيت فإنه الآن يسأل.

ثالثاً: من لا يسألون في القبور

من الأموات من لا يسألهم الملكان وقد بلغنا أن من لا يسألون هم :
 - من مات شهيداً مقاتلاً لإعلاء كلمة الله.
 - من مات مرابطاً في سبيل الله (١)
 - من مات يوم الجمعة.
 - من مات ليلة الجمعة .
 - من يموت من مرض بطنه كالاستسقاء والإسهال .
 روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال
 صلى الله عليه وسلم :
 (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) .
 وروى النسائي والطبراني في معجمه الأوسط عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 (مَنْ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُغْلِبَ لَمْ يُفْتَنَّ فِي قَبْرِهِ) .
 وروى مسلم عن سلمان رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول:

(١) الرباط ملازمة الرجال لأحد ثغور المسلمين ليقوم بالدفاع عنهم .

(رَبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنْ مِنَ الْفَتَانَيْنِ).

وروى الطبراني عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَهُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ).

وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ).

وروى أحمد والترمذي والبيهقي عن ابن عمرو رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ).

وروى أحمد عن عبد الله بن يسار أنه قال :

كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفة رضى الله عنهما، فذكروا رجلا مات من بطنه، فكأنما اشتها أن يصلب عليه، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ فَإِنَّهُ لَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ؟).

قال الآخر: بلى.

رابعاً: ضغطة القبر للميت وما يلقي منها

وردت عدة أحاديث تتضمن أن الميت يضغط في قبره ضغطة قد يستريح بعدها وقد يتصل بها عذاب القبر، فمن تلك الأحاديث ما رواه أحمد في المسند والطبراني في معجمه الكبير بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إلى سعد بن معاذ رضى الله عنه حين توفي فلما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوى عليه سبوح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلاً، ثم كبر فكبرنا، فقبل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت؟

قال :

(لَقَدْ تَضَاقَيْتَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ).

وروى النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(هذا الذى تحرك له العرش^(١) وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة قد ضم ضمة ثم فرج عنه).

يعنى سعد بن معاذ، وقيل فى تفسير تحرك العرش لسعد، استبشار العرش بروحه.
قال الشاعر فى ذلك :

وما اهتز عرشُ الله من أجلِ هالكٍ سمِعنا به إلا لسعدِ أبى عمرو

وروى أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجاً منها سعد بن معاذ)

وروى البيهقي من طريق ابن إسحاق أن بعض أهل سعد رضى الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا؟ قالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصر فى بعض الطهور من البول.

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير بسند رجاله رجال الصحيح عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن صبياً دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي)

ونقل السيوطى فى شرح الصدور عن أبى القاسم السعدى أنه قال :

لا ينجو من ضمة القبر صالح ولا طالح، غير أن الفرق بين المسلم والكافر دوام الضغطة للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن فى أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الانفراح له . (٢)

وتحدث الشيخ عبد الرؤوف المناوى فى كتابه (فيض القدير) عن ضمة القبر للميت فقال رحمه الله :

المؤمن أشرق نور الإيمان فى صدره، وباشر اللذات والشهوات وهى من الأرض، والأرض مطيعة لله وخلق آدمى منها، وهو قد أخذ عليه العهد والميثاق فى أن يكون عبداً لله.

(١) ورد فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ، وكان ممن أسلم من أهل المدينة قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير، وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق، ومات رضى الله عنه عام الخندق).

(٢) شرح الصدور ص ٤٦ .

فلما نقص من وفاء العبودية صارت الأرض عليه واجدة (غاضبة) فإذا وجدته في بطنها ضمته ضمة، ثم تدركه الرحمة فترحب به، وعلى قدر سرعة مجيء الرحمة يتخلص من الضمة، فإن كان محسناً فإن رحمة الله قريب من المحسنين، وإذا كانت قريبا من المحسنين لم يكن الضم كثيرا، وإذا كان خارجا عن حد المحسنين لبث حتى تدركه الرحمة.

ولا ينافي الضم اهتزاز العرش لموت سعد، لأن دون البعث زلازل وأهوالا، لا يسلم منها ولى ولا غيره، ولهذا قال عمر : لو كان لى طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلاع.

ثم قال المناوى : وفى الحديث إشارة إلى أن جميع ما يحصل للمؤمن من أنواع البلايا حتى فى أول منازل الآخرة وهو القبر وعذابه وأهواله إنما هو لما اقتضته الحكمة الإلهية من التطهيرات ورفع الدرجات . (١)

خامسا، ما يلاقى بعض الموتى من العذاب فى القبر

عذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة، وهو واقع على الكفار وعلى من شاء الله من الموحدين.

أما الكتاب فقد قال الله سبحانه : «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» (٢)

وأما السنة فقد رويت منها فى عذاب القبر أحاديث بلغت حد التواتر منها ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ)

وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ).

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وهو يسير على راحلته فنفرت، فقلت يا رسول الله ما شأن راحلتك نفرت؟ (قال: إنها سمعت صوت رجل يعذب فى قبره).

(١) فيض القدير ج ٥ ص ٣٣٢ .

(٢) سورة غافر الآية ٤٦ .

وروى ابن أبي شيبة ومسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم فى حائط (١) لِبَنَى النَّجَارِ عَلَى بَقْلَةٍ لَهُ، وَتَحَنُّ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَكْبُرَ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَقَالَ: مَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ)
من أسباب عذاب القبر:

بينت الأحاديث بعض أسباب عذاب القبر، وهى الكفر والصلاة بغير طهور وعدم نصرة المظلوم والنميمة والغيبة، وعدم التنزه من البول.

فقد روى أحمد عن أنس رضى الله عنه أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخل لأبى طلحة وبلال يمشى وراءه، فمر بقبر، فقال :

(يَا بَلَالُ هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ يُعَذَّبُ) فسأل عنه فوجده يهوديا.

وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه، حتى صارت واحدة، فامتلا قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه أفاق فقال : علام جلدتُمونى؟ قالوا إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره).

وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ، وَالْبَوْلِ، فَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ)

كما روى الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (اتَّقُوا الْبَوْلَ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ).

وروى أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد، قال أبو أمامة فكان الناس يمشون خلفه فلما

(١) الحائط هو الحديقة المسورة بما يحيط بها .

سمع صوت النعال وقر ذلك فى نفسه، فجلس حتى قدمهم أمامه، لثلا يقع فى نفسه من الكبر^(١) فلما مر ببيقع الغرقد إذا بقبرين قد دفنوا فيهما رجلين، فوقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال من دفنتم ها هنا اليوم ؟ قالوا يا نبى الله فلان وفلان ، قال صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ الْآنَ، وَيُفْتَنَانِ فِي قَبْرَيْهِمَا)

قالوا: يا رسول الله فيم ذاك؟

قال : أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهَ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) .

وأخذ صلى الله عليه وسلم جريدة رطبة فشققها، ثم جعلها على القبرين قالوا يا نبى

الله : ولم فعلت ؟

قال : (لِيُخَفَّفَنَّ عَنْهُمَا) .

قالوا يا نبى الله : ، وحتى متى يعذبهما الله ؟

قال : (غَيْبٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ لَا تَمْرِغُ قُلُوبُكُمْ^(٢) أَوْ قَالَ تَزِيدُكُمْ فِي الْحَدِيثِ

- لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ) .

وروى كل من ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم مرور النبى صلى الله عليه وسلم على القبرين بصورة أخصر عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال:

(إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهَ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) .

ثم أخذ جريدة رطبة فشققها باثنتين، فجعل على كل قبر واحدة، فقالوا : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال :

(لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَأْ) .

قد يستغرب بعض الناس عذاب القبر من أجل البول ، ويتساءل كيف سلط الله العذاب من أجله على الميت قبل يوم القيامة ولكن استغراب بعض الناس لذلك ناشىء عن انغماسهم فى الغفلات المطبقة .

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم مع إنه معصوم من مساوىء الأخلاق، إنما فعل ذلك تعليما للأمة، وليقع

التأسى به

أفلا يرى الإنسان أن الكلب الذى هو من أخس الحيوانات وأقذرها، والذى لا يتورع عن أكل الجيف المنتنة، هذا الذى مرتبته من أخط مراتب الخساسة يراه الناس إذا تناول يرفع إحدى رجليه، ويرش بوله فيدفعه بعيداً عنه، إما على حائط أو صخرة أو أصل شجرة أو نحو ما ذكر، كل ذلك يكون منه توقياً من أن يصيبه بوله.

بينما الإنسان الذى جمل الله صورته وكرم ذاته لا يقوم بتكريم ذاته فيجنبها نجاسة البول، ولا يصون ثيابه منها، بل يرضى أن تتدنى نفسه إلى مرتبة تترفع عنها الكلاب.

وما أكثر الذين لا يتوقون رش البول أو بقية بعض قطراته عند الفراغ منه فتتلطخ بها ثيابهم إذا لم يكونوا من المصلين المحافظين على طهارة البدن والثياب.

وهكذا يرضى تارك الصلاة لنفسه حطة تنزهت عنها الكلاب، فكيف يتساءل عن السر فى استحقاق ابن آدم للعذاب فى قبره قبل البعث للحساب؟ أفلم يدرك أن الله قد كرمه، وأنه هو الذى رضى الإهانة لنفسه بنفسه؟

ولقد قلت فى معنى ما تقدم :

الْكَلْبُ يَخْشَى بَوْلَهُ	مِنْ طَبَعِهِ ، لَا عَنْ دِرَاسَةٍ
إِنْ بَالَ، بَالَ بِحِكْمَةٍ	يَعْلُو بِهَا، وَيَقُوقُ نَاسَهُ
فَتَرَاهُ يَرْفَعُ رِجْلَهُ	حَذَرَ التَّلَطُّخِ بِالرَّجَاسَةِ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَزْعُمُ	عَنْ أَكْلِهِ جِيفَ الْكُنَاسَةِ
(فَالْكَلْبُ أَشْرَفُ حَالَةٍ	وَهُوَ النَّهَائِيُّ فِي الْخَسَاسَةِ)
مِمَّنْ يَبُولُ وَلَمْ يَكُنْ	مُتَوَقِّياً أَثَرَ النَّجَاسَةِ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَبَوْلُهُ	لَا بَدَّ أَنْ يَغْشَى لِبَاسَهُ
وَمَنْ التَّعَوَّدَ ثَوْبُهُ	يَشْكُو التَّعَفُّنَ وَالْدَنَاسَةَ
كَمْ مِثْلُهُ تَمْضَى الْحَيَا	ةُ بِهِ وَلَمْ يَفْقَدْ نَعَاسَةَ
فَاعْجَبْ لِكَلْبٍ فَاقَ بَعْدَ	ضِ النَّاسِ فِي آدَبِ الْكِيَاسَةِ

وحتى يسهل الفهم لنعيم القبر وعذابه أنقل إليك كلام الشيخ ابن القيم رحمه الله، وكلامه هذا فى غاية الدقة والإحكام، قال رحمه الله ورضى عنه:

إن الله جعل الدور ثلاثاً:

- دار الدنيا .

- ودار البرزخ.

- ودار القرار.

وجعل لكل دار أحكاما تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه.

وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذت براحتها، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح فى القبور فى نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم.

فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية فى قبورها.

وتجرى أحكام البرزخ فى الأرواح، فتسرى إلى أبدانها نعيماً وعذاباً، كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى الأرواح كذلك.

وجعل أحكام الدار الآخرة على الأرواح والأبدان معاً.

ثم قال : فأحط بهذا الموضع علماً يزُلُّ عنك كل إشكال.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر كما كان هو يتعوذ بالله منه.

فقد روى أحمد والبزار عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل نخلاً لبنى النجار، فسمع أصوات رجال من بنى النجار ماتوا فى الجاهلية يعذبون فى قبورهم فخرج فرعاً، فأمر أصحابه أن يتعوذوا من عذاب القبر.

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)

سادساً: ما يدفع الله به عذاب القبر

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

إن عذاب القبر ونعيمه عبارة عن عذاب البرزخ ونعيمه.

والبرزخ هو ما بين الدنيا والآخرة، وإنما أضيف العذاب والنعيم إلى القبر باعتبار الغالب.

فالمصلوب والغريق والحريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه، حتى لو عُلق العاصي على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه، ولو ألقى الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه، فتجعل النار على هذا بردا وسلاما، والهواء على ذلك نارا وسموما.

ف عناصر العالم ومواده متقادة لربها يصرفها كيف يشاء، كما صرفها فيما نشاهد بخلق هذه القوى فيها بعد أن لم تكن.

تبارك اسمه، وعزت مشيئته، وتعالى قدرته، وجلت قوته. (١)

أما من ترجى لهم النجاة من عذاب القبر إن شاء الله فهم الممتازون بإحدى الخصال الأربع التالية:

١- من يلتزم- فى السر والعلن- بتقوى الله فيمثل لأمره، ويقف عند نهيه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (٢)

٢- من يتجنب الأسباب المفضية إلى عذاب القبر، وقد تقدمت.

٣- من يكثر الصدقات ابتغاء وجه الله إذا كانت سرية خفية، ومن كسب طيب، فقد روى الطبرانى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئَ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ)

وروى البيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ).

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ).

٤- من يحفظ سورة الملك ، ويواظب على تلاوتها كل ليلة وحبذا أن يقوم بها فى تهجده.

(١) من بلغ الأمانى للشيخ البناء رحمه الله ج ٨ ص ١٤٣ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٥ .

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ضرب بعض أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ
سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها.

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى ضربت خبائى على قبر،
وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هِيَ الْمَانَعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) .

وروى أبو عبد الله الحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

(سُورَةُ الْمَلِكِ هِيَ الْمَانَعَةُ، تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، يُؤْتَى صَاحِبَهَا - فِي قَبْرِه -
مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ رَأْسُهُ لَا سَبِيلَ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ وَعَى فِي سُورَةِ الْمَلِكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ
رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ رِجْلَاهُ لَيْسَ لَكَ عَلَى سَبِيلٍ، إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِي) .

وروى النسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (مَنْ قَرَأَ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ
الْمُلْكُ كُلُّ لَيْلَةٍ مَتَّعَهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نُسَمِّيهَا الْمَانَعَةَ) .

وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهُوَ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ
الْمُلْكُ) .

وروى الطبرانى فى المعجم الأوسط عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال :

(سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً خَاصِمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ،
وَهُوَ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ) .

وروى ابن حجر رحمه الله فى أماليه عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه أنه
قال لرجل: ألا أظرفك بحديث تفرح به؟ اقرأ تبارك الذى بيده الملك، احفظها وعلمها
أهلك وولدك وجيران بيتك، فإنها المنجية والمجادلة، تجادل وتخاصم يوم القيامة عند
ربها، وتطلب إليه أن ينجيه من النار إذا كانت فى جوفه، وينجى الله بها صاحبها من
عذاب القبر.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(وَدَدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي). (١)

ونقل السيوطي عن الحافظ زين الدين بن رجب أنه قال حدثني أبو الحجاج
السريري أن علي بن الحسين خطيب سَامراً - وكان رجلاً صالحاً - أراني موضعاً من
قبور سامرا، فقال هذا الموضع لا نزال نسمع منه سورة (تبارك الذي بيده الملك) (٢)
وروى أحمد وأبو عبد الله الحاكم والترمذي عن جابر رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده
الملك.

سابعاً: من لم تقبل الأرض جسده من الأموات

روى ابن ماجه فى سنته عن عمران بن الحصين رضى الله عنه أنه قال : شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين، فلما
لقوهم قاتلوهم قتالاً شديداً، فمَنحوهم أكتافهم ، فحمل رجل من لَحْمَتِي على رجل
من المشركين بالرمح، فلما غشيه قال أشهد أن لا إله إلا الله إني مسلم ، فطعنه فقتله،
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت، قال صلى الله عليه
وسلم (وَمَا الَّذِي صَنَعْتُ؟) قال ذلك مرة أو مرتين.

فأخبره الرجل بالذى صنع، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(فَهَلَّا شَقَّقْتَ عَلَى بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ) .

قال الرجل: يا رسول الله ، يا رسول الله لو شققت على بطنه لكنت أعلم ما فى
قلبه. فقال صلى الله عليه وسلم :

(فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمُ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ) .

قال عمران بن الحصين : فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبث
الرجل إلا يسيراً حتى مات. فدفناه فأصبح على ظهر الأرض، فقالوا: لعل عدوا نبشبه،
فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض فألقيناه فى بعض تلك
الشعاب.

وفى رواية أخرى لابن ماجه، عن عمران بن الحصين أنه قال : بعثنا رسول الله

(١) فيض القدير ج ٢ ص ٤٥٣ .

(١) شرح الصدور ص ٧٩ .

صلى الله عليه وسلم فى سرية فحمل رجل من المسلمين على رجل من المشركين فذكر الحديث إلى أن قال : فنبتته الأرض، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال: (إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ أَنْ يُرِيكُمْ تَعْظِيمَ حُرْمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وروى البيهقى وابن جرير عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على مُحَلَّم بن جثامة الكنانى اللبشى ، فمات بعد سبع ليال من دعائه صلى الله عليه وسلم . ولما دفنوه لفظته الأرض، ثم دفنوه فلفظته، وهكذا مرات، فألقوه فى شعب، ورضموا عليه الحجارة.

وسبب دعائه عليه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الأضبط، فبلغوا بطن واد فقتل مُحَلَّم عامر غدرًا، لأمر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك دعا عليه، ولما أخبروه صلى الله عليه وسلم بأن الأرض لفظته قال :

(إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ عِبْرَةً). (١)

وروى البيهقى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، فكذب عليه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، فوجد ميتاً قد انشق بطنه ولم تقبله الأرض. (٢)

ثامناً: آداب دفن الأموات فى الإسلام

إعداد القبر:

قال صلى الله عليه وسلم : (اللَّحْدُ لَنَا، وَالشَّقُّ لغيرنا) رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

فقد تبين أن القبر نوعان : إما لحد ، وإما شق .

أما اللحد فهو خاص بالأرض الصلبة، وكيفيته هى أن يحفر فى الأرض حفير مستطيل، فإذا بلغ الحافر أرض القبر حفر فى جداره مما يلى القبلة مقدراً ما يسع الميت ليوضع فيه، وبعد وضعه يسد عليه بلبن أو ألواح أو خشب، ويصب التراب بين ما وقع السد به وبين الجدار الآخر حتى يسوى بالأرض.

وأما الشق فهو خاص بالأرض الرخوة، وكيفيته هى أن يحفر فى الأرض شق

(١) حجة الله على العالمين ص ٥٩٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠٠ .

مستطيل، تبنى جوانبه بالحجارة أو اللبن، بحيث يبقى الفراغ المحصور بين الجدران المبنية كافيا لوضع الميت فيه، ثم يجعل له سقف من الأخشاب أو ألواح من الصخر أو الأسمنت تكون معدة من قبل بحجم القبر.

وقبور الشق هي المألوفة فى مقابر القبروان منذ الفتح الإسلامى لرخاوة أرضها. ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لغيرِنَا) هو أن اللحد من خصائص المسلمين، وأن الشق - فى الأصل - من خصائص أهل الكتاب. ولكن الشق ليس محرما على المسلمين بدليل تردد الصحابة عند وفاته صلى الله عليه وسلم فى أى النوعين يجعلونه له قبرا كما سترى ذلك فيما يلى .

كيف كان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

روى أحمد وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يلحد وآخر يضرح، فقالوا نستخير ربنا فنبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما، فسبق صاحب اللحد فلحدوا له.

وروى أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما حديثا طويلا فيما جرى من غسل الرسول صلى الله عليه وسلم وكفنه ودفنه جاء فيه قول ابن عباس.

ثم دعا العباس رجلين ، فقال ليذهب أحدكما إلى أبى عبيدة بن الجراح، وكان أبو عبيدة يضرح ^(١) لأهل مكة، وليذهب الآخر إلى أبى طلحة بن سهل الأنصارى، وكان أبو طلحة يلحد ^(٢) لأهل المدينة، ثم قال العباس لهما حين سرحهما، اللهم خَرُّ لرسولك، فذهبا فلم يجد صاحب أبى عبيدة أبا عبيدة، ووجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أبو عبد الله الحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : دخلت على عائشة فقلت يا أمة اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فكشفت له عن ثلاثة قبور، لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء ^(٣) فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما، وأبا بكر رأسه بين كتفى النبی صلى الله عليه وسلم وعمر رأسه عند رجلى النبی صلى الله عليه وسلم.

(١) يعنى يصنع الضريح وهو الشق المبنى جوانبه.

(٢) يعنى يصنع اللحد وهو الحفير المتخذ فى الجدار القبلى للقبر.

(٣) أى مفروشة بالحصى الدقيق المأخوذ من مكان يعرف بالعرصة الحمراء.

فدل هذا الحديث على أن القبور الثلاثة كانت مسنمة لقوله : لا مشرفة ولا لاطئة، فهي ليست مرتفعة كثيرا، ولا مساوية للأرض، بل هي مرتفعة نحو شبر، وروى البخارى أن سفيان التمار رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما.

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم سنم قبر ولده إبراهيم، وذلك فيما رواه البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قبر ابنه إبراهيم ، ووضع عليه حصباء ورفع شبرا.

وقد استحب كل من أبى حنيفة ومالك وأحمد تسنيم القبر. واختار جمهور الشافعية التسطیح.

اختيار مكان القبر :

روى أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِ اشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا).

وروى أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(ادفنوا موتاكم وَسَطَ قَوْمٍ صَالِحِينَ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَتَأَذَى بِجَارِ السَّوِّءِ، كَمَا يَتَأَذَى الْحَى بِجَارِ السَّوِّءِ).

تعميق القبر والبناء عليه:

قال صلى الله عليه وسلم يوم أحد لمن يحفرون قبور الشهداء رضى الله عنهم :
(اخْفِرُوا وَأَوْسِعُوا، وَأَعْمِقُوا، وَاجْعَلُوا الرِّجْلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا). رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن هشام بن عامر رضى الله عنه.

وقال من شرح الحديث أن التعميق يمنع من انتشار روائح الموتى - غير الشهداء - ويحميهم من أن تنالهم السباع، أو النباشون للقبور.

والحديث لم يرد فيه تحديد مقدار العمق، ولذلك اختلفت الآراء فى تحديده، فيقول مالك: لا حد لتعميق القبر، والشافعى يقول مقدار قامة. وأحمد يستحب تعميقه إلى مستوى صدر الإنسان.

وضع العلامة المميزة للقبر:

روى أبو داود عن كثير بن زيد المدنى عن المطلب أنه قال: لما مات عثمان بن مظعون رضى الله عنه أخرج بجنازته فدفن، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا أن يأتية بحجر فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسر عن ذراعيه - قال المطلب قال الذى يخبرنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما، ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال:

(أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَذْفِنُ إِلَيْهَا مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي).

وفى البخارى أن خارجة بن زيد رضى الله عنهما قال: رأيتنى ونحن شبان فى زمن عثمان، وأن أشدنا وثبة هو الذى يشب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه.

أما الكتابة على الرخام ونحوه مما يجعل قائماً على القبر فقد اختلفت فيها المذاهب، فالحنفية قالوا بكراهتها على وجه التحريم، إلا إذا خيف ذهاب أثر القبر، فلا تكره، والمالكية قالوا إنها حرام إذا كانت قرآناً، وهى مكروهة إذا لم تكن قرآناً بأن كانت تحمل اسم الميت أو تاريخ وفاته، والشافعية قالوا كل كتابة مكروهة إلا إذا كان الميت رجلاً صالحاً فلا بأس أن يكتب اسمه ليعرف، بل اعتبر بعضهم ذلك مستحباً لتمييز الصالحين، أما الحنابلة فيكرهون الكتابة على القبر مهما تكن الكتابة ومهما يكن صاحب القبر.

وأما البناء على القبر فقد روى فيه الإمام أحمد فى مسنده عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبنى على القبر، وأن يجصص أى يطلى بالجص.

قيل: إن النهى عن ذلك من أجل أن القبر للبللى، وما يشيد عليه أو يجصص هو من زينة الحياة الدنيا.

أما تطيين القبر بأن يكسى بالطين فمباح، وخلاصة ما ذهب إليه الأئمة فى التجصيص والبناء هو أن تجصيص القبور مكروه، وأن البناء عليها حرام، وتشتد الحرمة إذا كان ذلك للمفاخرة والمباهاة.

الأدب المطلوب عند الدفن، وكيفية وضع الميت فى مدفنه:

إذا كان المدفن لحداد فيوضع النعش من جهة رجلى اللحد ثم يسلم الميت من جهة رأسه سلا خفيفاً، ثم يتناوله من نزلوا الحفير، فيأخذونه من أيدي من سلوه من النعش،

ويضعونه في اللحد برفق على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة قائلين : باسم الله وعلى سنة رسول الله، ويحل رباط الكفن من جهة رأسه ورجليه . (١)

ثم يسد عليه بلبن أو ألواح أو خشب، ويصب التراب حتى يسد ما بين الألواح وجدار اللحد الذي خلف الميت، ثم يدعى له بنحو (اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَخَلَّفَ الدُّنْيَا وَرَأَى ظَهْرَهُ، وَافْتَقَرَ إِلَى مَا عِنْدَكَ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ مَنْطِقَهُ وَلَا تَبْتَلِهِ فِي قَبْرِهِ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، وَتَقَبَّلْهُ بِأَحْسَنِ قَبُولٍ، وَالْحَقُّهُ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان أنس بن مالك رضى الله عنه إذا سوى على الميت قبره وقف عنده وقال : اللهم عبدك رُدَّ إليك فارأف به وارحمه، اللهم جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه، وتقبله منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه .

وإن كان مدفنه شقاً، فإن النعش يوضع خلف القبر، بحيث يصير القبر قبلى النعش، ويسل الميت سلا خفيفاً من جهة رأسه، ثم يتناوله من نزولوا الضريح فيضعونه برفق على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة ، وظهره إلى جدار الحفير، قائلين - عند وضعه - باسم الله، وعلى سنة رسول الله، ويجعل رأسه مرتفعاً على نحو مخدة من التراب، ثم يصب أمام جسده بعض التراب حتى لا ينقلب الجسد على ظهره، فإذا وضع سقف القبر دعى له بنحو ما تقدم .

ولا ينسوا أن يستغفروا له، ويسألوا الله أن يثبتته عند سؤال الملكين .
روى أبو داود وأبو عبد الله الحاكم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ التَّيْبِتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ) .
وإذا كان الميت امرأة، فقد استحب جميع أهل العلم من أيام الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا أن يغطى الضريح بثوب ساتر للضريح عند إنزالها فيه .
وتكره التغطية إذا كان الميت رجلاً .

والمرأة يدخلها في القبر محارمها من أب أو ابن أو أخ، أو عم أو خال أو ابن أخ . (٢)

(١) إنما كانت الأريطة خشية من تلتفت أعضاء الميت واضطرابها عند حمله، أما بعد وضعه في القبر فقد زالت خشية ذلك .

(٢) محارم المرأة هم الذين يحرم عليهم أن يتزوجوها .

فإن لم توجد المحارم فالزوج ، فإن لم يوجد لها محرم ولا زوج ، فيتولى ذلك الرجال الكبار السن ، إذا كانوا قادرين على ذلك ، وإلا فأهل الفضل والخشية لله .

ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دفن ابنته أم كلثوم روى البخارى وأحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : شهدنا ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان ، ثم قال :

(هَلْ مِنْكُمْ مَنْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارَفْ ^(١) اللَّيْلَةَ؟)

فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم :
(فأنزل).

فنزل فى قبرها .

وروى أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » ^(٢) فلما بنى عليها لحدّها طفق يطرح لهم الجيوب . ^(٣) ويقول : (سدوا خلل اللبن) ثم قال : أما إن هذا ليس بشيء ^(٤) ولكنه يطيب بنفس الحى) .

وما كان منه عند دفنه لذى البجادين

كان عبد الله ذو البجادين ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه ، ويضيقون عليه حتى تركوه فى بجاد - وهو الكساء انغليظ - ليس عليه غيره ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له : (ذو البجادين) .

ولما مات فى (تبوك) شيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فى ظلام الليل ، وفى يد بعضهم مشعل يسيرة فى ضوءه ، وقد حفروا له ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه ، فلما هبأ لشقه قال :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَاضِيًا عَنْهُ فَأَرْضَ عَنْهُ) .

قال عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنت صاحب الحفرة .

(١) لم يجامع ، وقد جاء فى رواية أخرى (لم يقارف أهله) .

(٢) سورة طه الآية ٥٥ .

(٣) هى جمع جبوة وهى الحجرة .

(٤) يعنى ليس ضروريا للميت .

كيف يدفن أكثر من واحد في قبر واحد؟

فى بعض الأحوال يتعدد الأموات، فيضطر إلى دفن أكثر من واحد فى قبر واحد يتسع لهم جميعاً، وفى هذه الحال ينبغى أن يوضع الرجل من جهة القبلة والمرأة خلفه والصبي خلفها، فإن كان الأموات رجالاً فقط أو نساء فقط فيوضع من جهة القبلة من كان منهم أكثر حفظاً للقرآن، والآخر وراءه كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أوقات الدفن

روى أحمد ومسلم عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه أنه قال : ثلاث ساعات كان ينهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيها، أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف للغروب حتى تغرب . يعنى حين تخرج للغروب . وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن فى كفن غير طائل، وقبر ليلاً، فزجر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك. قال النووي لأن الدفن نهاراً يحضره كثير من الناس فيصلون عليه، ولا يحضره فى الليل إلا أفراد قليلون.

بقاء المشيعين تأنيساً للميت

استحب كثير من علماء الإسلام أن يبقى المشيعون حتى يفرغ من دفن الميت كما استحبوا انتظارهم بعد الدفن قدر ساعة لحديث عمرو بن العاص رضى الله عنه إذ قال إذا وارىتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر ما تنحر جزور^(١) ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأعلم ماذا أراجع رسل ربى.

تجهيز الميت ودفنه واجب المسلمين

اتفق علماء الأمة على أن تجهيز الميت ودفنه فرض كفاية على المسلمين يكفى أن يقوم بذلك بعضهم، وإلا أثم كل من علموا موته إذا لم يقوموا بذلك وهم قادرون عليه.

روى عبد الرزاق فى الجامع أنه ذكر لعمر بن الخطاب أن امرأة توفيت فى البيداء، فجعل الناس يمرون عليها ولا يدفنونها، حتى مر عليها كليب بن بكر الليثى فدفنها.

(١) ناقة.

فقال عمر : إني لأرجو لكليب بها خيراً، ثم سأل عنها ابنه عبد الله فقال عبد الله لم أرها.

فقال عمر : لو رأيته ولم تدفنها لجعلتك نكالا .

وفى رواية للبيهقي : ثم قام عمر بين ظهراني الناس فتغيظ عليهم فيها. (١)

تاسعا: محذورات القبور

أ - نقل الميت قبل الدفن وبعده:

إن نقل الميت قبل دفنه ، منه ما هو جائز، ومنه ما هو ممنوع .
فإذا مات الإنسان في مكان وأريد نقله ليدفن في مكان آخر، وكان نقله لمقصد صالح، فإن ذلك النقل جائز.

روى مالك في الموطأ أنه سمع غير واحد يقول : إن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضى الله عنهما ماتا بالعقيق فحملا إلى المدينة ودفنا بها.

وهذا إذا لم يكن الميت شهيدا، أما (شهيد المعركة) فلا يدفن إلا في مصرعه، لأن في دفنه بمصرعه مزية لا يعلمها إلا الله، وقد روى ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتلى أحد أن يردوا إلى مصارعهم، قال ذلك لما شرع أقرباء الشهداء في نقلهم إثر استشهادهم.

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: استشهد أبى بأحد، فأرسلتني أخواتي إليه بناضح (٢) لهن ، فقلن اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل، فادفنه في مقبرة بنى سلمة، فجئته وأعوان لي، فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس بأحد فدعاني وقال :

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدْفَنُ إِلَّا مَعَ إِخْوَتِهِ) .

فدفن مع أصحابه بأحد .

أما نقل الميت بعد دفنه فلا يجوز، لأن للميت حرمة تمنع من إخراجه من قبره، إلا في حالة واحدة وهي ما إذا لم يفعل به ما يستحقه الميت المسلم من غسل وحنوط وكفن وصلاة.

روى سعيد بن منصور عن شريح بن عبيد الحضرمي أن رجلا قبرا صاحبا لهم لم يغسلوه، ولم يجدوا له كفنا، ثم لقوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخبروه، فأمرهم

(١) فتاوى واقضية عمر لمحمد الهلاوى ص ٧٥ .

(٢) الناضح هو البعير الذى يحمل الماء لسقى الزرع.

أن يخرجوه من قبره، فأخرجوه، ثم غسل وكفن وحنط ثم صَلَّى عليه .
فإن دفن من غير صلاة عليه، صلوا على قبره، ولا يخرجونه:

ومما ينبغى أن يعلم هو أن ما يجوز من النقل قبل الدفن أو الإخراج من القبر مشروط بأن لا يتعرض الميت إلى التغيير، وبأن لا يلحقه فساد فى ذلك وإلا فيحرم نقله وإخراجه.

وذكر ابن قتيبة فى (المعارف) أن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم دفن فرأته ابنته عائشة بعد وفاته بثلاثين سنة فى المنام فشكا إليها النز،^(١) فأمرت به فاستخرج طريا، فدفن فى داره بالبصرة.

وقال غير ابن قتيبة قال راوى القصة: كأنى أنظر إلى الكافور فى عينيه ولم يتغير إلا عقيصته^(٢) مالت عن موضعها، واخضر شقه الذى يلى النز رضى الله عنه.

إن عدم تغير طلحة بعد ثلاثين سنة من دفنه قلما يحدث ذلك لغيره، وإنما تلك إحدى الفضائل التى كرمه الله بها رضى الله عنه.

ب- اتخاذ القبور مساجد:

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهما ذكرتا كنيسة رأيتها^(٣) بالحبشة فيها تصاوير (ذكرنها) لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّ أَوَّلَكُمْ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أَوَّلَكُمْ شَرَّارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وروى مسلم عن عائشة وعبد الله بن عباس أنهما قالَا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه^(٤) فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال - وهو كذلك -:

(لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) يحذر مثل ما صنعوا.

وروى مسلم أيضا عن جندب رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

(١) تسرب رشح الماء .

(٢) العقيصة شعر الرأس المضافور .

(٣) ورد بنون الجمع باعتبار أن غيرهما رأت ذلك أيضا .

(٤) الخميصة كساء له أعلام .

(إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ).

وروى أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَتَنَاءً، لَعَنَّ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).

وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(لَا تُصَلُّوا إِلَيَّ قَبْرٍ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرِ) (١)

وذكر النووي أن العلماء قالوا، إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به، فرمى أدى ذلك إلى الكفر كما جرى للكثير من الأمم الخالية.

وقال الشيخ البناء رحمه الله فى (الفتح الربانى) كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون إليها فى الصلاة فاتخذوها أوثانا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ألا يكون قبره كذلك، ولعن من فعله، وحذر منه سدا للذريعة المؤدية إلى فعله.

وقال : الأصل فى عبادة الأوثان تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، ومسحها والصلاة عندها، كما يستفاد من حديث ابن عباس وغيره عند البخارى وغيره: (إن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا) التى اتخذها قوم نوح أصناما كانت أسماء رجال صالحين اتخذ الناس لهم صوراً بعد موتهم ليستأنسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة ليجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها، فعبدوها.

(١) اتخاذ المساجد على القبور حرام، وكذلك الصلاة عليها، وذهب بعض المالكية إلى أن الصلاة فى المقبرة مكروهة إذا كانت مأمونة النجاسة بحيث لم يكن ترابها مختلطاً برميم الأموات، وإلّا حُرمت الصلاة فيها، ولكن الجماهير من علماء الإسلام ذهبوا إلى تحريم الصلاة فيها مطلقاً.

ج- الجلوس على القبر:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على القبر، فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تفضى إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر. (وفى لفظ) خير له من أن يطأ على قبر رجل مسلم).

وروى أحمد عن أبي مرثد الغنوى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها).

وقد اختلف العلماء فى المراد بالجلوس المنهى عنه، فذهب مالك إلى أن المراد بالجلوس المنهى عنه هو الجلوس للبول والغائط وذلك محرم، وأما الجلوس لغيرهما فلا كراهة فيه.

وذهب أبو حنيفة وأحمد والشافعى إلى أن الجلوس لقضاء الحاجة محرم، ولغيرها مكروه كراهة تنزيه.

وذهب ابن حزم إلى تحريم الجلوس مطلقا.

د- كسر عظام الموتى:

الحفارون للقبور لإعدادها لمن مات قد لا يتحرون عند الحفر، فيكسرون بعض عظام الأموات السابقين وذلك حرام، وفاعله آثم.

فقد روى أبو داود وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إن كسر عظم المسلم ميتا ككسره حيا).

والمراد أنهما سواء فى الإثم، لا فى القصاص.

وذكر الإمام السيوطى سبب هذا الحديث فى (درجات الصعود) فقال : قال جابر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس النبى صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وجلسنا معه، فأخرج الحفار عظما : ساقا أو عضداً، فذهب ليكسره فقال صلى الله عليه وسلم :

(لا تكسره، فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا، ولكن دسه بجانب القبر).

قال أبو عبد الله محمد بن سهل الصوفى: رث على النوال (١)

فنزلت إلى حفرة بالقرب من النوال أحفر فيها تراباً أصلحه به، إذ أصابت المسحاة عظم ساق ميت فكسرتة اثنتين فداخلنى هم شديد، فتركت العمل وانصرفت حزينا، وكانت ليلة شاتية، فأدخلت تحت عباءتى كانونا، وبقيت مفكرا إذ غفوت فإذا بامرأة كأنها أجمل من رأيت من النساء وأحسنهن فقالت لى :

يا هذا ما كفالك أن سكنت بين أظهرنا وأذيتنا بالنجاسات والتكشف حتى كسرت ساقى، لى معك موقف بين يدى الله عز وجل.

قال أبو عبد الله : فاستيقظت وأنا مذعور، فهدمت النوال، ومحوت أثره، وأنا خائف من قولها حتى ألقى الله عز وجل. (٢)

هـ - دفن الكتابية الحامل من مسلم :

روى البيهقى والدارقطنى أن امرأة نصرانية ماتت وفى بطنها ولد من مسلم، فأمر عمر رضى الله عنه أن تدفن مع المسلمين من أجل ولدها.

قال السبكى فى الدين الخالص :

لو ماتت نصرانية حامل من مسلم دفنت فى قبر وحدها وظهرها إلى القبلة على جانبها الأيسر - على المختار عند أحمد - ليكون وجه الجنين إلى القبلة على جانبه الأيمن ، لأن وجهه إلى ظهرها، وهى كافرة، فلا تدفن فى مقابر المسلمين ، وولدها محكوم بإسلامه، فلا يدفن فى مقابر الكفار . (٣)

وقال ابن حزم فى المحلى :

من تزوج امرأة كافرة فحملت منه وهو مسلم: وماتت حاملا ، فإن كانت قبل أربعة أشهر لم ينفخ فيه الروح بعد، دفنت مع أهل دينها، وإن كان بعد أربعة أشهر والروح قد نفخت فيه، دفنت فى طرف مقبرة المسلمين، لأن عمل أهل الإسلام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يدفن مسلم مع مشرك.

(١) النوال هو غرفة فى المسكن يكون جزء منها محجورا لقضاء الحاجة.

(٢) رياض النفوس ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٣) فتاوى وأفضية عمر ص ٧٨

وقال : الحمل ما لم ينفخ فيه الروح فإنما هو بعض جسم أمه، ومن حشوة بطنها، وهى مدفونة مع المشركين، فإذا نفخ فيه الروح فهو خلق آخر. (١)

و- فتح الأبواب على المقبرة:

سئل أبان بن عيسى بن دينار القرطبي عن له غرفة، وأراد أن يفتح لها بابا على مقبرة.

فقال : لا يجوز أن يفتح على مقبرة المسلمين . (٢)

عاشرا زيارة المقابر

فى زيارة المقابر خير كثير للأحياء وللأموات.

أما الخير الذى يجتنيه الأحياء فهو ما تضمنته الأحاديث التالية:

روى أبو عبد الله الحاكم عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَرُّوْهُمَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُذَمِّعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا) . (٣)

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَرُّوْا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُزْهِدُ فِى الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ).

وروى الطبرانى فى المعجم الكبير عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَرُّوْهُمَا، فَإِنْ لَكُمْ فِيهَا عِبْرَةٌ) .

وروى أبو عبد الله الحاكم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَرُّوْهُمَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ) .

إن هذه الأحاديث تفيدنا عدة حقائق:

- الحقيقة الأولى هى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن زيارة القبور فى

(١) المحلى ج ٥ ص ٢١١ .

(٢) ترتيب المدارك ج ٤ ص ٢٦٠ .

(٣) يقال : أهجرت فى الكلام إذا أفحش فيه، وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي .

أول الإسلام، ثم دعا إليها فى آخر الأمر، وهو ما استقر عليه الحكم الشرعى .

- الحقيقة الثانية هى أن زيارة القبور توفى الزائر لها من غفلاته، وتنبيهه إلى تقدير قيمة أوقاته، فيصرفها فى العمل الصالح فيما بقى من حياته، كما قال سليمان الباجى الأندلسى :

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بِأَنْ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاةُ
فَلَمْ لَا أَكُونُ شَحِيحًا بِهَا وَأَصْرِفُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

- الحقيقة الثالثة هى أن تلك النتائج وغيرها لا تثمرها أى زيارة إذا كان فكر الزائر لا يجول إلا فى ظواهر القبور، ولا ينفذ إلى ما فى بواطنها من حقائق يغفل عنها الزائرون، ومن الخير للزائر أن يفكر فى أحوال الموتى، وما كانوا عليه فى الدنيا، فإن منهم الحاكم والمحكوم ، ومنهم الظالم والمظلوم، ومنهم الفاجر والتقى، ومنهم الفقير والغنى، ومنهم من استراح الخلق من شره، ومنهم من فقد الناس نفحات خيره، إلى آخر ما يموج به بحر الحياة الذى يضطرب فيه الناس قبل أن تصرعهم الوفاة.

كما أن على الزائر أن يفكر فى ما صار إليه أمرهم الآن، فكم فيهم من هو بئس مغموم، ومن هو مما لاقى مكروب ومهموم، وكم فيهم من يتقلب فى العذاب الأليم، ومن هو مستمتع برؤية مقعده فى جنات النعيم، فهذا فتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها ونعيمها، وذاك فُتح له باب إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، وكم فيهم من ميت فُزع من عمله لما تمثل له عند نزوله فى القبر، وكم من ميت يروح ويغدو مع إخوانه فى حواصل طير خضر إلى آخر تلك الحقائق المفضية إلى إدراك عظمة رب قامت بقدرته الموجودات على ما لا يحصى من تنوع أفرادها، وتفاوت أبعادها، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)^(١)

إن هذه الخواطر وأشباهاها لها فى نفس الزائر أطيب الثمرات، ولكنها لا تغنى عنه شيئاً إذا صدر منه للأموات فعل يؤذيهم أو قول يسيء إليهم، كما نسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فى قوله:
(فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا) .

(١) سورة الروم الآية ٢٥ .

وفيما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ أَفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا) .

وفيما رواه الديلمى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ الْمَيِّتَ يُؤْذِيهِ فِي قَبْرِهِ مَا يُؤْذِيهِ فِي بَيْتِهِ) .

وفيما رواه أبو داود عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ) .

أما الخيرات التى ينالها الأموات من زيارة الأحياء فقد كشفت الآثار عن شىء منها، كاعتباطهم بزيارة الأحياء، وأنسهم بالزائر، وفرحهم بالسلام عليهم، وارتياحهم إلى الدعاء والاستغفار لهم.

فمن تلك الآثار ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ) .

وأورد السيوطى فى شرح الصدور من (الأربعين حديثا الطائفة) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أَنْسُ مَا يَكُونُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ إِذَا زَارَهُ مَنْ كَانَ يُحِبُّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا)

وروى البيهقى فى شعب الإيمان أن ابن عمر رضى الله عنهما كان إذا شهد جنازة مر على أهله فى المقابر فدعا لهم واستغفر لهم.

وروى ابن عبد البر فى التمهيد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ) .

وروى البيهقى فى شعب الإيمان أيضا عن محمد بن واسع أنه قال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده.

وروى البيهقى عن سفیان بن عيينة رضى الله عنه أنه قال : لما مات أبى جزعت جزعا شديداً، فكنت آتى قبره فى كل يوم، ثم إنى قصرت عن ذلك فرأيت فى النوم، فقال : يا بنى ما أبطأ بك عني؟ قلت : وإنك لتعلم بمجئى ؟ قال ما جئت مرة إلا

علمتها، وقد كنت تأتيني فأسر بك، ويسر من حولي بدعائك قال : فكنت آتبه بعد ذلك كثيرا .

ونقل السيوطي في (شرح الصدور) عن السلفي أنه قال : سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب بالإسكندرية يقول : سمعت والدتي تقول : رأيت أُمِّي في المنام بعد موتها وهي تقول : يا بني إذا جئتني زائرة فاقعدي عند قبري ساعة أتملي من النظر إليك، ثم ترحمني عليّ، فإنك إذا ترحمت على صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتنى عنك. (١)

وروى البيهقي بسنده إلى هاشم بن محمد أنه قال : سمعت رجلا من أهل العلم يقول : إنه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك فقلت أزور التراب؟ فأريته في منامي فقال : يا بني مالك لا تفعل كما كنت تفعل؟ فقلت أزور التراب؟ فقال : لا تفعل يا بني ، فوالله لقد كنت تشرف على فيشسرنى بك جيرانى ، ولقد كنت تنصرف فما أزال أراك حتى تدخل الكوفة. (٢)

وروى الحافظ بن رجب بسنده إلى الأسد بن موسى أنه قال : كان لى صديق فمات فرأيته فى النوم وهو يقول سبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه، وأنا ما جئت إلى ولا قربت. قلت : وما يدريك؟ قال: لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيته، قلت: وكيف رأيته والتراب عليك؟ قال أما رأيته إذا كان فى الزجاج مايتبين. قلت: بلى قال: فكذلك نحن نرى من يزورنا. (٣)

أما ما يحسن من الدعاء للأموات فقد روى النسائي وابن ماجه عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر : السلام عليكم أهل الديار من المسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا قرط ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية.

كما روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال :

(قولى : السلام على أهل الديار من المسلمين، ويرحمُ الله المُستَقدمينَ مِنَّا والمُستأخرينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآخِقُونَ).

وروى الطبرانى عن على بن أبى طالب أنه دنا من القبور فقال : السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع عما قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم .

إن زيارة المقابر مأمور بها بالنسبة إلى الرجال على ما تقدم من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما زيارة النساء لها فإن كانت للاعتبار فقد اختلف فيها العلماء .

مدافن الموتى فى عقائد البشر

إن مناهج البشر فيما يصنعون بالموتى قد اختلفت من شعب إلى آخر فيما تبين من أعماق التاريخ البعيد، ولم يكن كثير من تلك المناهج مما شرع الله أن يعمله الأحياء بأجساد الأموات، وإنما كانت مبنية على ما تتوهمه بعض الشعوب من أحوال الأرواح بعد مفارقتها للأجساد.

وإليك بعض المناهج المتبعة من غير ما شرع الله.

يقول الأستاذ ت . ايريك بيث:

إن قدماء المصريين كانت ديانتهم مجموعة من الخرافات والأساطير وكان النظر فى كنه الوجود أو الحياة أو الموت أو الأخلاق غربيا كل الغرابة عليهم، ولا يلتزم مع طبائعهم، فقد كانوا قوما محافظين أشد المحافظة لا ينزلون عن شىء من أفكارهم مهما يكن تافها، وفى مقدورهم أن يؤمنوا بعقيدتين مختلفتين فى آن واحد. من غير أن يفتنوا إلى ما فيهما من خلاف. (١)

وكان المألوف فى قبور عظماء المصريين أن توضع فيها تماثيل صغيرة لخدمتهم، إذ كانوا يعتقدون أن أرواح الخدم تخدم سيدها فيما بعد هذه الحياة. (٢)

وكان الموتى يزودون بطائفة كبيرة من التعاويذ السحرية التى تكتب فوق توابيتهم، ثم كانت بعد ذلك تكتب فوق نعوشهم، أو على ورق من البردى، وذلك ليتغلب الموتى على كافة المهالك التى يمكن أن يتعرض لها حتى الأخير منهم فى الآخرة أو فى طريقهم إليها. (٣)

ويقول ف. جوردن تشايلد الأستاذ بجامعة أدنبره :

كان الناس جميعهم يعملون على إعداد منزل للميت. وأن يزودوا الراحل بمتاعه

(١) الفصل السابع عشر من (تاريخ العالم) بقلم ت. ايريك بيث الأستاذ بجامعة أدنبره ج ١ ص ٥٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٩١ .

الشخصى والطعام والشراب، وكان يظن أن الروح تحيا حياة ناقصة فى عالم تحت الأرض ، وأنها ربما صارت مصدر خطر.

وكانت تقام الطقوس لالتماس خيرها، ودفع غضبها، وكانت الأرض أو الغطاء الحجرى بمثابة حاجز يفصلها عن الأحياء، وفى العصر البرنزى كانت تقيد سيقان الجثث فى بعض الأحيان زيادة فى الاحتياط.

وحتى فى العصر الحجرى كان يحرق الجسد أحيانا، والأرجح أن ذلك كان لمنع عودة الروح الشريرة منعاً تاماً.

كما كانت تحرق أو تشوه فى العصور الوسطى أجساد من كانوا يظنونهم من مصاصى الدماء.

ثم حدث فجأة فى ١٥٠٠ قبل الميلاد أن أصبح حرق الأجساد عادة متبعة فى أكثر نواحى أوروبا الوسطى والشمالية، وفى إيطاليا وبريطانيا وذلك بدون أن تهمل مراسم دفن الموتى إهمالاً تاماً.

وقد كان حرق الجسد فى ذلك الوقت - على ما يلوح - قد أصبح متصلاً بتصور جديد للروح، مقتضاه أنها تقيم بعد الموت فى قصر سماوى بعيد تصعد إليه مع دخان الحطب المحروق مع الجثة. (١)

أما فى الهند فهناك تقليد غابر، وبمقتضاه تلحق أرملة الميت بزوجها فى محرقة الجنازة فتحرق حية وقد كانت الزوجة فى تلك الحضارة القديمة تعتبر إحدى مقتنيات زوجها المألوفة التى ترافقه إلى العالم الآخر.

وربما كان يفترض أيضاً أن الحياة للزوجة قد لا تطاق من بعده. (٢)

والهندوس يعتقدون أن الروح بعد الموت يدخل فى جسد آخر، ويكون الجسد الجديد إما من عالم سماوى أعلى ، وإما من عالم أرضى أسفل، وذلك حسب العمل الذى قام به الروح فى كل مرحلة، وهكذا يستمر تناسخ الأرواح فى تسلسل متواصل حسب اعتقادهم.

أما أجسام الموتى فهى - عندهم - لا قيمة لها ولا يدفنونها فى التراب، وإنما يحرقونها حرقاً حتى تصير رماداً.

(١) نشأة الثقافة فى أوروبا الهمجية (الفصل الثلاثون) من تاريخ العالم ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) الموت والأسى من الموسوعة العلمية (بهجة المعرفة) المجموعة الثانية ص ٧٧ .

ولما حرقت جثة بوذا أعطى بعض رماد الجنازة لقبيلته، وقد حفظتها القبيلة فى مزار عظيم ما يزال قائم الذات فى (سانكلى). (١)

أما الصينيون فهم من الشعوب الذين يدفنون موتاهم فى التراب وكان قدماؤهم لا يعتقدون بخلود الأرواح، وإنما يذهبون إلى أن الأرواح تتحول إلى تراب كما يتحول الجسم إلى تراب.

وتحت تأثير البوذية طور الصينيون بعض تصوراتهم لما بعد هذه الحياة.

كما أن أتباع (كونفوشيوس) تطورت نظرتهم إلى مصائر الأرواح.

ومع أن من تعاليم (كونفوشيوس) تقديس أرواح الجدد، فقد كان يتحاشى الحديث عن مصائر أرواح الموتى، ويستمسك بأن من الحكمة أن يقدر الإنسان مدى جهله، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يعرف شيئا عن السماء على حين أنه من الصعب عليه أن يعرف ما يحدث فى الأرض ؟

وكان يرفض الإجابة عن الأسئلة التى توجه إليه عن الحياة بعد الموت .

ومن أقواله : إذا قلت لكم أن الموتى يعون ويشعرون فإن الأبناء الذين يحبونهم سيقضون على أنفسهم لكى يجتمعوا بأبائهم الموتى).

وإذا قلت لكم : انهم لا يعون ولا يشعرون فإن الأبناء العاصين سوف لا يقدمون على دفن موتاهم. (٢)

أضواء الإسلام الكاشفة عن شعور الموتى وسماعهم الخطاب:

إن المسلمين يعلمون أن الموتى يشعرون، ويسمعون من يخاطبهم وقد علم المسلمون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى «ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» (٣)

فقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يُلقى جثث المشركين فى قليب بدر جعل يقول :
(هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا).

قال عبد الله بن مسعود: فقال ناس من أصحابه : يا رسول الله تنادى ناسا أمواتا

(١) الفصل الأربعون من تاريخ العالم بقلم أ. بریدیل کیت الأستاذ بجامعة أدنبره ج ٢ ص ٥٣٣ .

(٢) الفصل الأربعون من (تاريخ العالم) بقلم أ. بریدیل کیت الأستاذ بجامعة أدنبره ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٣) سورة والنجم . آية ٣ - ٤

قال صلى الله عليه وسلم : (مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ).
وروى مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال :
(يَا أَبَا جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، يَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، يَا عَتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، أَلَيْسَ قَدْ
وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا).
فسمع عمر رضى الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله
كيف يسمعون ، وأنى يجيبوا ، وقد جفوا ؟
قال صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ
وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجِيبُوا).
ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر .
كما روى مسلم أيضا عن أبى طلحة بمثل ما روى أنس بن مالك .
وروى احمد فى مسنده بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما
أنه قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القليب يوم بدر فقال : يا فلان ، يا
فلان هل وجدتكم ما وعدكم ربكم حقا ؟ أما والله إنهم الآن يسمعون كلامى .
وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقبور أهل المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال :
(السّلام عليكم يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْآثِرِ)
وروى أحمد والطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنْ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَغْسِلُهُ وَيَحْمِلُهُ وَيَكْفِنُهُ وَمَنْ يَدْلِيهِ فِي قَبْرِهِ) .
وروى ابن عبد البر فى كل من التمهيد والاستذكار عن ابن عباس رضى الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ) .
وروى ابن أبى شيبة أن عبد الله بن عمر كان لا يمر بليل ولا نهار بقبر إلا سلم
عليه .
وروى أحمد وأبو عبد الله الحاكم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :

كنت أدخل البيت فأضع ثوبى وأقول إنما هو أبى وزوجى، فلما دفن عمر معهم ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر.

ومما ورد فى شعور الميت، وفى توصيته - وهو ميت - بتنفيذ بعض ما يريد ما رواه ابن حبان فى كتاب الوصايا، وأبو عبد الله الحاكم فى المستدرک والبيهقى فى دلائل النبوة عن عطاء الخراسانى أنه قال :

(حدثنى ابنة ثابت بن قيس بن شماس أن ثابتاً رضى الله عنه قتل يوم اليمامة، وعليه درع نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها.

فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أنه ثابت فى منامه فقال له أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إني لما قتلت أمس مرى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس، وعند خباته فرس يستن فى طوله ، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد ^(١) فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى عليه وسلم يعنى أبا بكر رضى الله عنه فقل إن على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان.

فأتى الرجل خالدأ فأخبره ، فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحدث أبا بكر الصديق برؤياه فأجاز وصيته.

ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضى الله عنه).

ومما حدث لبعض أقاربى أن ابن خالتي والد زوجتي رحمه الله كان عضواً فى إحدى الشركات بالقيروان وكان عليه مال للشركة، ولما توفاه الله جاء أحد أعضاء الشركة إلى زوجته يطلب منها ذلك المال وكان مقداره ذا أهمية، فقالت المرأة: إني على علم بالمال، كما أنى على علم بأن زوجى قد أدى ما عليه للشركة وتسلم وثائق تثبت دفعه لأقساط ذلك المال.

قال الرجل هات تلك الوثائق.

فما كان من المرأة إلا أن أخذت تبحث فى ما خلف الميت من أوراق فلم تعثر على أى أثر للوثائق مع أنها متأكدة من رؤية تلك الوثائق قبل وفاة زوجها.

بكت المرأة كثيراً، وجزعت من أنها ستغرم ذلك المال من تركته فألهمها الله أن تزور القاضى الشرعى بالقيروان فى منزله وهو الشيخ محمد العلاتى رحمه الله

(١) كان خالد رضى الله عنه قائد معركة اليمامة وهى التى قضى فيها على مدعى النبوة مسيلمة الكذاب

واستشهد فيها كثير من حفاظ القرآن.

الموصوف لدى أهل القيروان بقاضى الجنة، وعرضت عليه أطوار الحادثة فقال لها -رحمه الله- :

زورى قبره صباح يوم السبت قبل شروق الشمس، وقصى عليه كل ما حدث وانتظرى .

فعلت المرأة ما أشار به الشيخ القاضى فرأت زوجها فى المنام يقول لها :
الوثائق فى البيت، وضعتها فوق الدولاب فتسللت وسقطت خلف الدولاب
وستجدينها بين الحائط والدولاب.

فاستيقظت المرأة من نومها، وأيقظت أخت الميت وقصت عليها ما رأت وما قال
أخوها ثم تعاونت معها لرحلة الدولاب وإبعاده عن الحائط فسقطت كل الوثائق
وأبرأ الله ذمتها ولله المنة والحمد.

قال ابن القيم قد شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته أن يسلموا على أهل
القبور سلام من يخاطبون من يسمع ويعقل.
وقال رحمه الله :

الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور، وسمع كلامه، وأنس
به ورد سلامه عليه.

وقال الشيخ محمد حسين مخلوف رحمه الله :

اعلم أن للأرواح فى عالم البرزخ مع أبدانها نشأة أخرى غير هذه النشأة المحسوسة،
فقد ورد أن الروح قد تكون فى الرفيق الأعلى فى أعلى عليين ولها اتصال بالبدن،
بحيث إذا سلم المسلم على الميت رُدَّ عليه روحه، فترد على المسلم السلام وهى فى الملأ
الأعلى أو تحضر إلى القبر إما بذاتها أو بمثلها أسرع من البرق والضوء حسبما يؤذن
لها.

وقد علمت أن الروح فى عالمها ليست من جنس ما يعهد فى عالم
الأجسام بحيث إذا شغلت مكانا لا يمكن أن تتصل بغيره على أى نحو من أنحاء
الاتصال، بل الروح تكون فوق السماوات وتتصل بأبدانها فى القبور وترد
السلام، وتعلم بالمسلم، وتسمع كلامه، ولا يحجبها حاجب فى عالم الملك أو

عالم الملكوت، كما ورد بذلك صحيح الأخبار فيجب الإيمان به ومعناه ما علمت. (١)

مشاهد من التعازي

التعزية مواساة لأقارب الميت، وتذكير لهم بعزة سلطان الله، وبقدرته المطلقة على التصرف في ملكه، وترغيبهم في الصبر للفوز بعظيم الأجر، ولاستحضار كون البقاء لله وحده، إذ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢) وما قيل في شأن التعزية:

كُنِ الْمُعَزَّى لَا الْمُعَزَّى بِهِ إِذْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنَ الْوَاحِدِ
لَا بَدَّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقَدَ هِيَهَاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالِدِ

والتعزية من عناصر التراحم والتلاحم بين المسلمين، وقد رغبت السنة فيها، وبشرت المعزين بالثواب الجزيل.

روى الترمذی وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ).

كما روى ابن ماجه عن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ حُلِّ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).
وقد استحَب العلماء أن يعزى جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار من الرجال والنساء، إلا أن تكون المرأة شابة فلا يعزىها إلا محارمها، وتعزية الضعفاء عن احتمال المصيبة أوكد.

ويبدأ وقت التعزية عند الموت، وينتهي بعد ثلاثة أيام، حتى لا يجدد الحزن لأهل الميت بعد ثلاثة، إلا إذا كان المعزى أو المعزى غائباً ورجع بعد الثلاثة وقد قيل أن التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة .
وما ينبغى في التعزية أن تكون مختصرة الكلمات، حادثة على الصبر مذكرة بعظيم الأجر والرضا بقدر الله والتسليم لأمره، مشتملة على الدعاء للميت والمصاب وقد تتضمن - عند الاقتضاء - أن الجزع لا يرد القضاء.

(١) من المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها ص ٩٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

وإليك نماذج من تعازي السلف:

أحسن التعازي ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها :
(أَجْرَكُمْ اللهُ فِي مَصِيبَتِكُمْ، وَأَعْقَبَكُمْ اللهُ خَيْراً مِنْهَا، إِنْ أَلَلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).
وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفاه الله سمعوا صوتاً من جانب البيت يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك، وعوضاً من كل فائت فبالله فثقلوا وإليه فارجعوا فإن المصاب من حرم الثواب.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا عزى رجلاً قال :
ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة، الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله
اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغره مصيبتكم وأعظم الله أجركم^(١).
وعزى على بن أبي طالب رضي الله عنه الأشعث بن قيس في ولده فقال:
إن تحزن فقد استُحقت منك الرحم ، وإن تصبر ففي الله خلف من ابنك، إنك إن
صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت
مأزور.^(٢)

وكان محمد بن سيرين إذا عزى قال :
أعظم الله أجرك، وجبر مصيبتك وأحسن عزاءك عنها، وأعقبك عقبا نافعا لدنياك
وأخراك.^(٣)

وكان مكحول يقول:
أعظم الله أجرك وأحسن عقباك وغفر لمتوفاك.^(٤)
وعزى الإمام الشافعي عبد الرحمن بن مهدي لما مات ولده وجزع عليه جزعا
شديداً بعث إليه قائلاً:

يا أخى عز نفسك بما تُعزى به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل
غيرك، واعلم أن آخر المصائب فقد سرور، وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعاً مع
اكتساب وزر، فتناول حظك يا أخى إذا قرب منك، قبل أن تطلبه وقد نأى عنك،
ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً وكتب إليه :
إِنِّي مُعْزِيكَ لَا أُنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سَنَةُ الدِّينِ

(١-٢) من حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٢٠ ومعنى مأزور آثم.

(٣-٤) من مواهب الجليل ج ٢ ص ٢٢٩ .

فَمَا الْمُعْزَى بَيَّاقٌ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعْزَى وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِينٍ (١)
ولما مات ابن لعباض بن عقبة الفهري يقال له يحيى، قال رجل عندما أنزل يحيى
فى قبره:

والله إن كان لسيد الجيش فعليك باحتسابه.
فقال عياض: وما يمنعنى أن أحتسبه، وقد كان أمس من زينة الحياة الدنيا وهو اليوم
من الباقيات الصالحات. (٢)

ولما احتضر عبد الله ولد الشيخ أبى إسحاق الجبنيانى كان أبوه يلتقنه حتى مات
فأغمضه، ثم استرجع على المصيبة ودعا له، ثم قال لوالدة عبد الله:
احمدى الله واشكره فقد مات عبد الله على الإسلام وجعل فى صحيفتك فإن
كان عندك طيب فتطيبى وتجملى لنعم الله. وأخرج الشيخ متزرا عنده تجمل به وركع،
ثم جلس للناس، والبشر ظاهر عليه. (٣)

واستحسن ابن حبيب أن يقال فى التعزية:
أعظم الله أجرك على مصيبتك، وأحسن عزاءك عنها وعقبك منها، غفر الله لميتك
ورحمه، وجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه. (٤)

وعزى بعضهم رجلا فى زوجته فقال:
إن أحكام الله تعالى لا تجربى على مراد المخلوقين لكنه سبحانه يختار لعباده
المؤمنين ما هو خير لهم فى العاجلة، وما هو أبقى لهم فى الآجلة.
اختار الله لك - فى قبضها إليه، وقدمها عليه - ما هو أنفع لها وأولى بها وجعل
القبر كفوا لها.

وكتب بعضهم لصديق يعزيه بآبائه قائلا:
أما بعد، فإن الولد على والده - ما عاش - حزن وفتنة، فإذا قدمه فصلاة ورحمة،
فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله عز وجل من صلاته
ورحمته. (٥)

(١) الفتح الربانى ج ٨ ص ٩٢ وقوله (سنة الدين) يريد أن التعزية سنة الإسلام.

(٢) رياض النفوس ج ٢ ص ١٣٣.

(٣) ترتيب المدارك ج ٦ ص ٢٤٧.

(٤) مواهب الجليل ج ٢ ص ٢٢٩.

(٥) الفتح الربانى ج ٨ ص ٩٢.

ومن ألفاظ التعازي:

لا جرعك الله مصيبة غيرها، ولا أنالك قارعة سواها.
جعل الله مصيبتك أدبا، ولا جعلها غضبا.
لقاك الله الصبر، ووقاك ما يحبط الأجر.
لا أنساك الله المصيبة بأعظم منها، ووهب لك عمراً طويلاً، وأجراً جزيلاً، وصبراً
جميلاً. (١)

وقال بعضهم:

تأمل إذا الأحزانُ فيكَ تكاثفتُ أعاشَ رسولُ الله أم ضمَّهُ القبرُ؟

الجمع بين التهتهة والتعزية:

لما مات هارون الرشيد دخل الشعراء على ولده الأمين ليعزوه بالرشيد ويهتئوه
بالخلافة، وكان أول من فتح الباب للشعراء في الجمع بين التعزية والتهتهة أبو نواس،
بحيث أنشد بين يدي الأمين قوله:

جَرَتْ جَوَارٍ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ فَالنَّاسُ فِي وَخْشَةٍ وَفِي أَنْسٍ
وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالسِّنُّ ضَاحِكَةٌ فَتَنَحْنُ فِي مَاتَمٍّ وَفِي عُرْسٍ
يُضْحِكُهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيَبْكِيهَا وَفَاةُ الرَّشِيدِ بِالْأَمْسِ (٢)

تعزية النفس

ووقفت أعرابية على قبر أبيها فعزت نفسها ودعت له بكلام بليغ قائلة يا أبت إن
في الله عوضاً عن فقدك وفي رسول الله أسوة في مصيبتك. اللهم نزل بك عبدك
خالياً، مقفراً من الزاد، محشوش المهاد، غنيا عما في أيدي العباد، فقير إلى ما في يدك
يا جواد وأنت أي رب خير من نزل به المرملون، واستغنى بفضله المقلون، وولج في
سعة رحمته المذنبون، اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك، ومهاد جنتك ثم بكت
وانصرفت. (٣)

روى أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحْتَسِبُ
مصيبتى فأجرني فيها، وأبدلني خيراً منها).

(١) محاضرات الادباء ج ٤ ص ٥١٤ .

(٢) الكشكول ج ٢ ص ٢٤١ .

(٣) الكشكول ج ١ ص ٩٤ .

ونظر رجل بالبصرة إلى امرأة فقال :

ما رأيت مثل هذه النظارة : وما ذلك إلا من قلة الحزن.

فقالت : ما حزن كحزنى ذبح زوجى شاة، ولى صبيان يلعبان فقال أحدهما للآخر
تعال أريك كيف ذبح أبى الشاة، فذبحه ثم خاف فهرب إلى الجبل فرهقه ذئب فافترسه
وخرج زوجى فى طلبه فاشتد عليه الحر فمات عطشا.

فقال لها الرجل: كيف صبرت؟

فقالت : لو وجدت فى الحزن دركا ما اخترت عليه . (١)

من تعازى الحمقاء :

أصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول عبد الملك بن مروان فقال ليت أنى
وجدت إنسانا يخفف عنى مصيبتى .

فقال الرجل : أقول ؟

قال الحجاج : قل .

فقال الرجل : كل إنسان يفارق صاحبه يموت أو يصلب أو يقع من فوق البيت، أو
يقع البيت عليه، أو يسقط فى بئر أو يغشى عليه ، أو يكون شئ آخر لا يعرفه .

فضحك الحجاج وقال : مصيبتى فى أمير المؤمنين أعظم، حيث وجه بمثلك

رسولا . (٢)

ولما مات ولد صغير لعبد الملك بن مروان جاءه ابنه الوليد فعزاه، فقال له يا بنى

مصيبتى فىك أفدح فى بدنى من مصيبتى بأخيك ومتى رأيت ابناً عزى أباه .

فقال : يا أمير المؤمنين أمى أمرتنى بذلك .

فقال عبد الملك : والله لتعزيتك إياى أهون على من قبولك مشورة النساء . (٣)

ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه عمر جزعا شديداً فقال ذات

يوم لمن حضره :

هل من منشد شعرا أتعزى به، أو واعظ يخفف عنى فأتعزى وأتسلى ؟

فقال رجل من أهل الشام :

(١) محاضرات الأدباء ج ٤ ص ٥١٠ .

(٢) المحاسن والمساوىء ص ٣٤٥ .

(٣) مما ألف الناس أن الأقارب الأقربين من الميت لا يعزى بعضهم بعضا لاشتراكهم فى الإحساس

بالمصاب إحساسا متساويا أو متقاربا .

يا أمير المؤمنين : كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب إلى مكان .
فتبسم عمر رحمه الله وقال:
مصيتى فيك زادتنى مصيبة. (١)

مشاهد رؤى الأحياء لبعض الأموات

كثيرا ما يرى الأحياء فى المنام بعض الأحوال التى صار إليها الأموات بعد انتقالهم إلى العالم الآخر:
وفى تلك الرؤى تلتقى أرواح الأحياء بأرواح الأموات فيتحدث الحى مع الميت، ويتذاكران أو يتساءلان .

ولا تخلو تلك اللقاءات الروحية من عبر، ومن إرشاد، ومن بشائر مختلفة الأنواع.
ولقد تواطأت رؤى الأحياء الصادقين لكثير من الأموات فكانوا ينقلون عنهم -
أحيانا - من الأخبار ما لا يعلمه الأحياء ، ثم يتبين الأمر كما أخبروا.
فمن ذلك أن الصحابييين الجليلين : الصعب بن جثامة وعوف بن مالك رضى الله
عنهما كانا متواخين وقال الصعب لعوف:

أى أخى أينما مات قبل صاحبه فليترأى له.

قال عوف : أو يكون ذلك ؟

قال : نعم.

فمات الصعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه ، قال :

قلت: أى أخى .

قال : نعم.

قلت : ما فعل الله بكم؟

قال : غفر لنا بعد المصاعب.

قال عوف: ورأيت لمعة سوداء فى عنقه ، قلت أى أخى ما هذا؟

قال : عشرة دنائير استلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرنى. (٢)

فأعطوه إياها، واعلم أى أخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق

بى خبره، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام ، فاستوصوا
بها معروفا.

(١) المحاسن والمساوىء ص ٣٤٥ .

(٢) القرن بفتح الراء جعبة من جلد ، وفيها يضع المحارب السهام.

قال عوف : فلما أصبحت قلت إن في هذا معلماً فأتيته أهله.
فقالوا: مرحباً بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم ؟ لم تقربنا منذ مات صعب.
قال : فاعتللت بما يعتل به الناس، فنظرت إلى القرن فأنزلته ، فانتثلت ما فيه ،
فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلى اليهودى فقلت: فهل كان لك على
صعب شيء؟

قال: رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له.
قلت: لتخبرتنى .
قال : نعم أسلفته عشرة دنانير.
قال عوف : فنبذتها إليه.
فقال : هى والله بأعيانها.
قال عوف : قلت هذه واحدة ثم قلت لأهله : هل حدث فيكم حدث بعد موت
صعب؟

قالوا نعم : حدث فينا كذا ، حدث فينا كذا.
قلت اذكروا ، فما زالوا يذكرون وقالوا:
نعم هرة ماتت منذ أيام .
فقلت هاتان اثنتان، ثم قلت : أين ابنة أخى ؟ قالوا : هى تلعب فأتونى بها،
فمستتها فإذا هى محمولة، فقلت استوصوا بها معروفاً فماتت لسته أيام. (١).
إن رؤى الأحياء للأموات هى أكثر من أن تحصى لأنها لا تنقطع ما دام الأحياء
أحياء.

وإن بعض الرؤى قد تكون مفزعة، وأكثرها يكون ساراً ومبشراً.
وإليك نماذج منهما.

فمن الرؤى المفزعة : رؤيا تتعلق بأبى الحسين أحمد بن منير الطرابلسى.
هو من طرابلس لبنان، كان رافضياً، كثير الهجاء ، خبيث اللسان ولما كثر ذلك منه
سجنه بورى أتاك طفتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه، ثم شفع فيه
يوسف بن فيروز الحاجب فنفاه.
ثم لما ولى إسماعيل بن بورى عزم على صلبه ففر، واستقر به التطواف فى حلب ،
وبها مات.

(١) نقل السيوطى عن ابن الجوزى هذه الرؤيا فى شرح الصدور ص ١١٢ .

قال ابن عساكر فى تاريخ دمشق:

حدث الخطيب السديد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماه فقال :
رأيت أبا الحسن بن منير الطرابلسى فى المنام بعد موته وأنا على قرنة بستان مرتفعة ،
فسألته عن حاله ، وقلت له اصعد إلى عندى فقال : ما أقدر من رائحتى . فقلت :
تشرب الخمر؟ فقال: شر من الخمر يا خطيب. فقلت : ما هو ؟ قال تدرى ما جرى
على من هذه القصائد التى قلتها فى مثالب الناس ؟

فقلت: ما جرى عليك منها؟ فقال : لسانى قد طال ، وثخن وصار مد البصر ،
وكلما قرأت قصيدة منها قد صارت كلابا يتعلق فى لسانى .

قال : وأبصرته حافيا عليه ثياب رثة إلى الغاية ، وسمعت قارئاً يقرأ من فوقه ﴿لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ - سورة الزمر آية ١٦ - ثم انتبهت مرعوباً .
من (الوافى بالوفيات ج ٨ ص ١٩٣)

ورؤيا تتعلق بإبراهيم بن همشك:

كان إبراهيم بن همشك رومى الأصل ملك فى الفتنة جيان وسقورة وكثيراً من
أعمال غرب الأندلس .

قال ابن الأبار:

كان إبراهيم يعذب خلق الله بالتعليق والتحريق ، ولا يتناهى عن منكر فعله ، من
رميهم بالمجانيق ودهدهتهم كالحجارة من أعالى النيق .

حكى ابن صاحب الصلاة عن بعض الصالحين أنه رآه فى النوم فقال له : كيف
حالك؟ وما لقيت من ربك ؟ فأشدد بيتين لم يسمعهما من قبل :

مَنْ سَرَّهُ الْعَيْثُ فِي الدُّنْيَا بَخْلَقَةٍ مَنْ يَصُورُ الْخَلْقَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ
فَلْيُحْزَنْ الْيَوْمَ حُزْنًا قَبْلَ سَطْوَتِهِ مُعَلًّا يَمْتَطِي جَمْرَ الْغَضَا فُرْشًا

من (الوافى بالوفيات ج ١ ص ٢١٤)

ورؤيا تتعلق بكثير بن أفلح:

روى ابن أبى شيبه عن محمد بن سيرين أنه قال : رأيت أفلح أو قال كثير بن أفلح
فى المنام ، وكان قتل يوم الحرة ، فقلت : ألسنت قد قتلت؟ قال : بلى ، قلت: فما
صنعت؟ قال : خيراً ، قلت : الشهداء أنتم؟ قال : لا ، إن المسلمين إذا اقتتلوا فقتل بينهم
قتلى فليسوا بشهداء ، ولكننا ندماء .

أما رؤيا من لَقَاهُمْ ربهمْ نضرة وسرورا فهي كثيرة جداً، وإليك مجموعة منها:
قال عبد الله بن مغيث الشكري: حدثتني أمينة بنت أبي معاوية عمران بن مسلم أن
أباها كان قد عاهد الله ألا ينام بليل أبداً إلا مستغلباً، وقال إنني حبيب إلى طاعة الله
تعالى طول الحياة، ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت ألا أعيش في الدنيا
فوقاً (يعنى زمناً قصيراً).

قلت: فلم يزل مجهوداً على ذلك حتى مات رحمه الله، فرأيته في منامي، فقلت :
ياأبت إنه لا عهد لي بك منذ فارقتنا. قال : يا بنية، وكيف تعهدين من فارق الحياة
وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟ فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير
حال، بوئنا المنال، ومهدت لنا المضاجع، ونحن هاهنا يغدى علينا ويرزقنا من
الجنة، قلت: فما الذي بلغك هذا؟ قال : الصبر الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله
تعالى.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٣١٣)

وقال مسمع بن عاصم حدثني رجل من آل عاصم الجحدري فقال : رأيت عاصماً
الجحدري بعد موته بستين فقلت : ألسنت قد مت ؟ قال : بلى، فقلت: أين أنت؟ قال
: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة
وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني، فتتلاقى في أخباركم .
قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟

قال : هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح.

قال إبراهيم بن عيسى: كان بكر بن عبد الله المزني يقول: من مثلك يا ابن آدم؟
خُلِّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل ، ليس بينك
وبينه ترجمان.

من (صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٤٩)

وكان أبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الواعظ الحنبلي قد مات شاباً، وجاوز
العشرين .

قال محب الدين بن النجار: رأيته في المنام وعليه ثياب فاخرة، قميص فوط جديد،
وبقيار أبيض مليح، فسألته ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ، وقليل العمل ينفع عند
الله.

وسألته عن عذاب القبر أحق هو؟ قال : لا. فقلت له مرة ثانية عذاب القبر حق؟
وجذبتة جذبه شديدة كالمنكر عليه، فقال لي: أنا ما رأيته.

فقلت له: منكر ونكير؟ قال: أى والله حق، نزلا على وسألانى.
توفى - رحمه الله - سنة إحدى وستمئة.

من (الوفى بالوفيات ج ٧ ص ٤٥)
وكان محمد بن مصفى بن بهلول القرشى الحمصى قد روى عنه أبو داود والنسائى وابن ماجه ثم اعتل بالجحفة ومات بمنى.
قال: محمد بن عوف رأيتَه فى المنام، فقلت: يا أبا عبد الله أليس قد مت؟ إلام صرت؟

قال: إلى خير، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين.
فقلت يا أبا عبد الله، صاحب سنة فى الدنيا والآخرة، فتبسم لى.
توفى - رحمه الله - سنة ست وأربعين ومائتين.

من (الوفى بالوفيات ج ٥ ص ٣٣)
قلت: وقول ابن عوف (صاحب سنة فى الدنيا والآخرة) هو إشارة إلى عقيدة أهل السنة، وهى أن السعداء يرون ربهم بعد الموت، وقد خالفهم المعتزلة فى اعتقاد الرؤية، وأولوا ماورد فى شأنها من نصوص قطعية الثبوت.
وروى ابن خلكان عن الوزير أبى القاسم بن المغربى أنه قال:
رأيت الخطيب ابن نباتة صاحب الخطب المشهورة، رأيتَه بعد وفاته، فقلت له: ما فعل الله بك؟

فقال: دفع لى ورقة فيها سطران بالأحمر، وهما:
قد كان لك أمن من قَبْلِ ذَا واليوم أضحي لك أمنان
والصفح لا يحسن عن محسن وأنما يحسن عن جان
قال: فانتبهت من النوم، وأنا أكررهما.
وقد توفى ابن نباتة الفارقى فى سنة أربع وسبعين وثلاثمئة بميفارقين ودفن بها رحمه الله.

من (وفيات الأعيان ج ص)

قال ابن خلكان:
ومن غرائب الأخبار أن زوجة المُحسن ابن أبى الحسن بن الفرات أرادت أن تختن ابنها بعد قتل أبيه، فرأت المحسن فى منامها، فذكرت له تعذر النفقة.
فقال لها: إن لى عند فلان عشرة آلاف دينار، أودعته إياها.
فانتبهت، وأخبرت أهلها، فسألوا الرجل فاعترف، وحمل المال عن آخره.
من (وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٢٤)

ونقل السيوطى عن ابن أبى الدنيا أنه روى عن سفيان بن عيينة أنه قال :
رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته ، فقلت أوصنى قال : أقلّ من مخالطة
الناس ، قلت : زدنى قال : سترد فتعلم .

من (شرح الصدور ص ١١٨)

كما نقل عنه أنه روى عن رجل من أهل الكوفة أنه قال :
رأيت سويد بن عمرو الكلبى فى النوم بعدما مات فى حالة حسنة ، قلت : يا سويد
ما هذه الحالة الحسنة ؟ قال : إنى كنت أكثر من قول لا إله إلا الله فأكثر منها .

من (شرح الصدور ص ١١٦)

ونقل عن ابن عساكر أنه روى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
رأيت أبى فى المنام بعد موته فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟
قال : الاستغفار يا بنى .

من (شرح الصدور ص ١٢٠)

ونقل عن ابن عساكر أنه روى عن أبى الفرج غيث بن على أنه قال :
رأيت أبا الحسن العاقولى المقرئ فى النوم فى هيئة صالحة ، فسألته عن حاله فذكر
خيرا . قلت : أليس قد مت ؟ قال : بلى ، قلت : كيف رأيت الموت ؟ قال : حسن أو قال :
جيد ، وهو مستبشر . قلت : غفر لك ودخلت الجنة ؟ قال : نعم . قلت : فأى الأعمال
أنفع ؟

قال : ما ثم شىء أنفع من الاستغفار ، أكثر منه .

من (شرح الصدور ص ١٢٢)

قال الحافظ أبو محمد :

ويذكر عن الفضل بن الموفق أنه قال : كنت أتى قبر أبى المرة بعد المرة ، فأكثر
من ذلك ، فشهدت يوما جنازة فى المقبرة التى دُفِنَ فيها ، فتعجلت لحاجتى ولم آت ،
فلما كان من الليل رأيت فى المنام ، فقال لى : يا بنى لم لا تأتيني ؟ قلت له : يا أبت
وإنك لتعلم بى إذا أتيتك ؟ قال : إى والله يا بنى ، لا أزال أطلع عليك حين تطلع من
القنطرة ، حتى تصل إلى وتقع عندى ثم تقوم ، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

من (كتاب الروح ص ١٦)

قال يعقوب القارىء :

رأيت فى منامى رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : أويس

القرنى، فاتَّبَعته فقلت : أوصنى يرحمك الله، فكلح فى وجهى. فقلت : مسترشد فأرشدنى رحمك الله ، فأقبل علىّ فقال : ابتغ رحمة الله عند محبته واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك منه خلال ذلك ثم ولى وتركنى .

من (كتاب الروح ص ٣٤)

وقال أبو بكر بن أبى مريم : رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت : ما فعلت يا وفاء؟ قال : لنجوت بعد كل جهد . قلت : فأى الأعمال وجدتموها أفضل ؟ قال : البكاء من خشية الله عز وجل .

من (كتاب الروح ص ٣٥)

وقال يزيد بن نعمة:

هلكت جارية فى طاعون الجارف، فلقيها أبوها بعد موتها فى النوم فقال لها : يا بنية أخبرينى عن الآخرة ، قالت : يابأت قدمننا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسييحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة عملى أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها.

من (كتاب الروح ص ٣٥)

وقال أبو عمرو هشام بن مسرور.

سافرت نحو المغرب فلما صرت فى بعض المناهل ونام الناس طلبت النوم فلم يجتنى منه شىء، فلما تهادى بى السهر رأيت أن لا يذهب ليلى خسارة فتأهبت للصلاة، وقمت فأخذت فى الصلاة ، فطابت لى القراءة فختمت القرآن كله ، فلما حسن ذلك عندى جعلت ثواب تلك الختمة لأبى.

فلما قدمت أثنى ابن أبى حميد - وكان رجلا صالحا - فقال لى : رأيت أباك فى النوم فقال لى اشكر ابنى هاشما وقل له : جزاك الله عز وجل عنى من ولد خيرا فلقد أجزتنى بالختمة التى كانت فى سفرك عقبة عظيمة.

من (رياض النفوس ج ١ ص ١٥٠)

وكان أبو محمد عوان بن على الضرير المقرئ البغدادى من فضلاء القراء موصوفا بالديانة وحسن الطريقة، قرأ القرآن بالروايات على عدة من شيوخ القراء، وختم خلقا كثيرا كتاب الله تعالى .

توفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

ورىء بعد موته بخمس وعشرين سنة فى المنام، وعليه ثياب شديدة البياض وعمامة

بيضاء مليحة ووجهه عليه نور، فأخذ بيد الرائي ومشيا إلى صلاة الجمعة فقال له :

يا سيدى ما فعل الله بك ؟

قال : عرضت على الله خمسين مرة، فقال : ايش عملت؟

فقلت له : قرأت القرآن وأقرأته.

فقال لى : أنا أتولاك، أنا أتولاك.

من (الوفى بالوفيات ج ١٤ ص ١٨)

وكنت أنا رأيت فى المنام مؤدى الشيخ على بن محمد بن غانم الحضرمى
القيروانى، وهو الذى أقرأنى القرآن حتى حفظته بحمد الله على يديه، رأيت رحمته الله
جالسا فى مدخل سوق الغرابلية فقلت له (كالمستغرب): أنت ها هنا ؟
فأجابنى : أنا عندما أريد أن آتى إلى الأرض آتيها.

وبعدما سمعت قوله هذا تبين لى أنى أمشى معه فى نهج المر أمام كتاب الإمام
الشاطبى.

فقلت له : ما هى حال سى محمد النجار؟

وكان الحاج محمد النجار بن محمود - رحمه الله - ممن متعهم الله بالورع
والسخاء وحب القرآن وتعظيم جناب الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صاحب
كشوفات صادقة.

فقال لى مؤدى : ذلك كلما يتمنى شيئا على الله يعطيه إياه.

فقلت له : أريد أن أسألك عن أشياء.

وعزمت فى نفسى أن أسأله عما يتعلق بما عليه الأمر من الموت وما بعده من دقائق
الأحوال .

فقال لى : أسأل.

وقبل أن أتوجه اليه بالسؤال الأول التفت إليه ، وكنت أماشيه وأنا إلى جنبه، فما
كان بأسرع من أنى لم أجده حين التفت إليه .

فانتبهت من الرؤيا ، وأدركت أن ما كنت سأسأله عنه من الدقائق ، ما هو إلا من
أسرار الله التى لا تكشف للأحياء ، والله أعلم.

من أضواء مشاهد رؤى الأموات

إن المشاهد المتقدمة تنير السبيل إلى إدراك مجموعة من الحقائق ، وكان من تلك
الحقائق ما يدعو إلى مزيد من البيان وهى الأربع التالية:

الحقيقة الأولى :

تتعلق بصحة تلك الرؤى:

قال شمس الدين ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فى كتاب الروح:
والرؤيا الصحيحة أقسام فذكر بعضها ثم ، قال : ومنها التقاء النائم بأرواح الموتى
من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم.

وقال وهذا باب طويل جداً ، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات ،
وهى غير معصومة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبره بمال دفنه أو حذره
من أمر يقع ، أو بشره بأمر يوجد فوق كما قال ، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض
أهله الى كذا وكذا فيقع كما أخبر ، وأخبره بخصب أو حذب أو عدو أو نازلة أو
مرض أو بغيره له ، فوقع كما أخبره . والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله والناس
مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب .

وأبطل (١) من قال أن هذه كلها علوم وعقائد فى النفس تظهر لصاحبها عند
انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال ، فإن النفس لم
يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التى يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة
عليها ولا أمانة بوجه ما ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك . (٢)

الحقيقة الثانية :

هى أن الروح لا تفنى بالموت كما يفنى الجسد ، وقد دلت الآيات والأحاديث
الصحيحة على نعيم بعض الأرواح وعلى عذاب بعضها فى البرزخ حتى يبعث الله
عباده يوم القيامة ، فيرجع بقدرته الأرواح فى الأجساد.

فالشهداء قد ذاقوا أجسادهم الموت، ولكن الله تعالى قد قال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (٣)

(١) أى قال قولاً من الباطل .

(٢) كتاب الروح ص ٤١ وقوله قد يقع كذلك أى يقع أحياناً كما قال المبطل .

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١٦٩ - ١٧٠ .

وَأَلْ فَرَعُونَ قَالَ اللّٰهُ فِى شَأْنِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ : ﴿ فَوْقَاهُ اللّٰهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بَالُ فَرَعُونَ سُوءَ الْعَذَابِ . النَّارُ يَغْرُضُونَ عَلَيْهَا غَدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فَرَعُونَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (١)

وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ قَدْ أَكَّدَتْ بَقَاءَ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، مِنْهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ لَهُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللّٰهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

كَمَا وَرَدَ أَنَّ هَذَا الْعَرَضُ يَكُونُ بَعْدَ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَلَكُ .

الحقيقة الثالثة:

تتمثل فى تنوع أحوال الموتى .

لقد تبين فى كثير من رؤى الأموات أَنَّ مَا نَالُوهُ مِنْ كَرَمِ اللّٰهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَكُنْ مُتَرَتِّبًا عَلَى طَاعَةٍ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ اشْتَرَكَ فِيهِ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مَعَ سَائِرِ الْأَمْوَاتِ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ يَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرٍ .

لقد كان شأنهم فيما بعد الحياة الدنيا كشأنهم فى الحياة الدنيا ، إِذْ إِنَّهُ سَبِّحَانَهُ قَدْ جَعَلَ بِفَضْلِهِ مُرْتَزَقَ عِبَادِهِ هُنَا مُتَنَوِّعًا ، هَذَا يَرْتَزِقُ مِنَ الْفَلَاحَةِ ، وَذَاكَ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَآخَرُ مِنَ التِّجَارَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَيَادِينِ الْارْتِزَاقِ كَمَا جَعَلَ بِفَضْلِهِ سَعَادَتَهُمْ هُنَاكَ مِنْ مَغْفَرَتِهِ لَهُمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ مُتَنَوِّعَ الْأَسْبَابِ تَنْوَعًا شَاسِعًا ، فَهَذَا سَعِدَ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللّٰهِ وَذَاكَ بِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ، وَآخَرُ بِكَثْرَةِ الْاسْتِغْفَارِ وَرَابِعُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وربما يتقارب اثنان فى المرتبة الواحدة من ألوان السعادة ، ولكنهما يختلفان فى ما يفيض الله من فضله على كل منهما ، كما يتقارب الرجلان فى الدنيا من أصحاب الصناعة الواحدة ، ولا يتماثلان التماثل المطلق فيها .

فَإِذَا أَدْخَلَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ كَانَتْ دَرَجَاتُهُمْ هُنَاكَ تَبْعًا لِمَا أَسْلَفُوهُ هُنَا ، وَقَدْ

(١) سورة غافر الآيتان ٤٥ - ٤٦

وردت الإشارة إلى ذلك فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(يُقَالُ لِمَا حَبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَأَرْقَ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ مَنَزَلَتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرُوهَا) .
الحقيقة الرابعة:

تتعلق بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت.
قال شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح :
وأما قراءة القرآن وإهداؤها (للميت) تطوعا بغير أجره ، فهذا يصل الثواب إليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

فإن قيل فهذا لم يكن معروفا فى السلف ، ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير ، ولا أرشدهم النبى صلى الله عليه وسلم إليه وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام ، فلو كان ثواب القراء يصل لأرشدهم إليه ولكانوا يفعلونه .

فالجواب هو أن مورد هذا السؤال إن كان معترفا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار ، قيل له ما هذه الخاصية التى منعت وصول ثواب القرآن ، واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال ؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع .

... ثم يقال لهذا القائل : لو كلفت أن تنقل عن واحد من السلف أنه قال : اللهم اجعل ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت ، فإن القوم كانوا أحرص شىء على كتمان أعمال البر فلم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها إلى أمواتهم .
فإن قيل فرسول الله صلى الله عليه وسلم أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج دون القراءة .

قيل هو صلى الله عليه وسلم لم يبتدئهم بذلك ، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم ، فهذا سأله عن الحج عن ميتة ، فأذن له ، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له ، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له ، ولم يمنعه مما سوى ذلك .

وأى فرق بين وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر ؟

والقائل أن أحدا من السلف لم يفعل ذلك ، قائل مالا علم له به ، فإن هذه شهادة

على نفى مالم يعلمه، فما يدرى أن السلف كانوا يفعلون ذلك، ولا يشهدون من حضرهم عليه، بل يكفي إطلاع علام الغيوب على نياتهم لا سيما والتلفظ بنية الإهداء لا يشترط.

وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل، فإذا تبرع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذى خص من هذا الثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه، وهذا عمل سائر الناس حتى المنكرين فى سائر الأعصار والامصار من غير نكير من العلماء. (١)

قال ابن القيم :

وذكر الخلال عن الشعبي أنه قال : كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن ، قال : وأخبرنى أبو يحيى الناقد أنه قال سمعت الحسن بن الجروى يقول : مررت على قبر أخت لى فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها ، فجاءنى رجل فقال : إنى رأيت أختك فى المنام تقول جزى الله أبا على خيرا، فقد انتفعت بما قرأ. (٢)

ومع بيان ابن القيم فى هذه المسألة -رحمه الله- وقفت على بيتين لابن الرومى - عفا الله عنا وعنه - يهجو بهما شخصا كان طبيبا وكحالا (٣) وقد تعرض ابن الرومى فى البيتين إلى قراءة القرآن على الأموات الذين قتلهم ذلك الطبيب حسب ادعاء ابن الرومى وهما قوله :

أَفْنَى وَأَعْمَى ذَا الطَّبِيبُ بَطْبُهُ وَبَكُّهُلِ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
فَإِذَا نَظَرْتُ رَأَيْتُ مِنْ عُمَيَّانَه أُمَّمَا عَلَى أَمْوَاتِهِ قُرَاءَ

فقد سجل لنا فى هذين البيتين ان قراءة القرآن على الأموات كانت متداولة فى أيامه ومنتشرة بين الناس والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل.

مشهد مرض وموت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٤).

وقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ، وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (٥).

(١) من كتاب الروح صفحات ٢١١ - ٢١٣ .

(٢) من كتاب الروح ص ١٤ .

(٣) الكحال : طبيب العيون .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

(٥) سورة الزمر الآيتان ٣٠ - ٣١ .

وقال : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١)
كان صلى الله عليه وسلم قد ابتدأ به صدام في بيت عائشة رضي الله عنها وقالت -
تحدث عن ذلك - دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي بدى فيه
(وجعه) فقلت :
وارأساه .

فقال : بل أنا وارأساه .
ثم اشتد أمره في بيت ميمونة ، واستأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة ، فأذن له
(وكانت مدة علته إثني عشر يوما ، وقيل أربعة عشر) .
قال عبيد الله بن عبد الله :
دخلت على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقلت : بلى ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
أصلى الناس ؟

فقلت : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .
فقال : ضعوا لى ماء فى المخضب (وهو إِجَانَّة تغسل فيها الثياب) .
ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء (يتهض) فأغمى عليه ، ثم افاق ، فقال : أصلى
الناس ؟
فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله .

قالت : والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله لصلاة العشاء فأرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر أن يصلى بالناس ، وكان أبو بكر رجلا
رقيقا ، فقال : يا عمر صل بالناس ، فقال عمر : انت احق بذلك فصلى بهم أبو بكر
تلك الأيام .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة ، فخرج بين رجلين أحدهما
العباس لصلاة الظهر ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأوما إليه أن لا تتأخر وأمرهما
فأجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلى قائما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى قاعدا .

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

قال عبيد الله بن عبد الله:

فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال هات.

فحدثته، فما أنكر منه شيئا ، غير أنه قال : سمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت : لا ، قال هو على . (١)

قال ابن حبيب الهاشمي :

صلى أبو بكر بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة صلاة ويقال ثلاثة أيام.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر كان يصلى بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجر ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأرشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخی الستر فتوفى في يومه (٢)

وعن عائشة رضى الله عنها كانت تقول :

إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى في بيتي وفي يومى، وبين سحرى (فؤادى) ونحرى وإن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته دخل على عبد الرحمن (بن أبي بكر) وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فليتنه فأخذه فأمره وبين يديه ركوة أو علبه - يشك أبو عمرو - فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده صلى الله عليه وسلم (٣).

من (صفة صفوة ج ١ ص ٢١٨ - ٢٢٣)

(١) هذا الحديث رواه البخارى مختصرا فى باب (مرض الرسول ووفاته) وروى صلاة أى بكر بالناس فى باب (حد المريض إن شهد الجماعة).

(٢) هذا الحديث رواه الشيخان، وليس فى البخارى قوله (فتوفى في يومه)

(٣) قال القسطلانى يريد بقوله (فى الرفيق الأعلى) اللهم أدخلنى فى الرفيق الأعلى أى مرافقة الملائكة أو الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين والحديث رواه البخارى.

وروى الطبراني في المعجم الكبير - ورجاله محتج بهم في الصحيح عن سهل بن سعد رضى الله عنه أنه قال :

كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير وضعها عند عائشة رضى الله عنها، فلما كان عند مرضه قال :

يا عائشة ابعثي بالذهب إلى على .

ثم أغمى عليه، وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مراراً، كل ذلك يغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغل عائشة ما به، فبعث إلى على فتصدق بها، وأمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديد الموت ليلة الاثنين ، فأرسلت عائشة رضى الله عنها بمصباح لها إلى امرأة من نساؤها فقالت: اهدى لنا فى مصباحنا من عُمَّتِكَ السَّمن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسى فى حديد الموت.

وروى احمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه.

يا عائشة ما فعلت بالذهب؟ فجاءت بما بين الخمسة إلى السبعة أو الثمانية أو التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول :

ما ظن محمد بالله عز وجل لو لقيه وهذه عنده.. أنفقيها.

وروى أحمد عن أبى بردة رضى الله عنه أنه قال : أخرجت إلينا عائشة رضى الله عنها كساء ملبداً، وإزاراً غليظاً وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين.

مشهد وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه

تكرر فى الكتاب بعض هذا المشهد فى وصاياه، قصدا لا عن سهو.

روى أبو عبد الله الحاكم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

كان أول بدء مرض أبى بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة.

وروى ابن سعد عن أبى السفر أنه قال:

دخلوا على أبى بكر فى مرضه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟

قال : قد نظر إلىّ .

فقالوا : ما قال لك ؟

قال : قال إني فعال لما أريد.

وروى الواقدي من عدة طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني . فقال أبو بكر : وإن . فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه. ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرنا به. فقال على ذلك : اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحُضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن. ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر : بالله تخوفني أقول : اللهم اني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من وراءك ثم دعا عثمان فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلها فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وأياكم خيرا ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه وقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرا وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته.

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال : أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت لأبيها : استأجره. والعزيز حين نفرس في يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه.

وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال: لما ثقل ابو بكر أشرف على الناس من كوة فقال: أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به؟ فقال الناس رضيينا يا خليفة رسول الله فقام على فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر. قال : فإنه عمر.

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال :
أى يوم هذا؟ قالوا : يوم الاثنين . قال : فإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى لغد فإن أحب
الأيام والليالى إلى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأخرج مالك عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر نحلها جداد (١) عشرين وسقا
من ماله بالغابة (٢) .

فلما حضرته الوفاة قال : يا بنية والله ما من الناس أحد أحب إلى غنى منك ولا أعز
على فقرا بعدى منك وانى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا ، فلو كنت جدته
واحترزته كان لك وإنما هو اليوم مال وأرث وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على
كتاب الله فقالت : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته وإنما هى أسماء فمن الأخرى
قال : ذو بطن ابنة خارجة أراها جارية .

وأخرجه ابن سعد وقال فى آخره قال : ذات بطن ابنة خارجة قد ألقى فى روعى
أنها جارية فاستوصى بها خيرا فولدت أم كلثوم .

وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله وقال : آخذ من مالى ما
أخذ الله من فىء المسلمين .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : لئن أوصى بالخمس أحب إلى من أن أوصى بالربع
وأن أوصى بالربع أحب إلى من أن أوصى بالثلث ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئا .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن الضحاك أن أبا بكر وعليها أوصيا بالخمس
من أموالهما لمن لا يرث من ذوى قرابتهما .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :
والله ما ترك أبو بكر دينارا ولا درهما ضرب الله سكته .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل أبو بكر تمثلت
بهذا البيت .

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ (٣) بَوْمًا وَصَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

(١) الجداد بالفتح والكسر: صرام النخل وهو قطع ثمرتها، والسق بفتح الواو وسكون السين . ستون
صاعا وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق .

(٢) الغابة هى موضع قريب من المدينة من عواليها .

(٣) الحشرجة الغرغرة عند الموت وتردد النفس .

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ولكن قولى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت.

وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت على أبى بكر وهو فى الموت فقلت:

مَنْ لَا يَزَالُ دَمْعُهُ مُقَنَّعًا فَإِنَّهُ فِي مَرَّةٍ مَّذْفُوقٌ

فقال : لا تقولى هذا ولكن قولى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ ثم قال : فى أى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: يوم الاثنين قال : أرجو فيما بينى وبين الليل . فتوفى ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن بكر بن عبد الله المزنى قال: لما احتضر أبو بكر قعدت عائشة رضى الله عنها عند رأسه فقالت:

وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ يَوْمًا مُورِدَهَا وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ لَا بَدَ مَسْلُوبٌ

ففهمها أبو بكر فقال: ليس كذلك يا ابتاه ولكنه كما قال الله ﴿وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يَقْضِي:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بَوَاجِهِهِ ثَمَالُ (١) الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

فقال أبو بكر: ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن عبادة بن قيس قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة اغسلى ثوبى هذين وكفنينى بهما فانما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة وإما مسلوب أسوأ السلب.

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبى بكر.

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن عمر رضى الله عنه صلى على أبى بكر بين القبر والمنبر وكبر عليه أربعاً.

وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله

(١) الثمال بكسر التاء المثلثة الملبأ والغياث، وقيل : هو المطعم فى الشدة ويروى هذا البيت لأبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم من قصيد مدح به الرسول .

صلى الله عليه وسلم وألصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأخرج عن ابن عمر قال : نزل في حفرة أبي بكر عمر . وطلحة وعثمان وعبد
الرحمن بن أبي بكر .
وأخرج من طرق عدة أنه دفن ليلاً (١) .

مشهد وفاة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تكرر بعض هذا المشهد في وصاياه قصدا لا عن سهواً أيضاً .
قال عمرو بن ميمون :

إنى لقائم ما بينى وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين
الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خلا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو
النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعت
يقول قتلنى أو أكلنى الكلب حين طعنه، وطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على
أحد يميننا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة فلما رأى
ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه .
وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه (للمصلاة بالناس) .

فمن (كان) يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون ،
غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله .

فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال عمر : يا ابن
عباس انظر من قتلنى؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة .

قال عمر الصنع؟ (يقال رجل صنع إذا كان يعمل بيديه ويكسب بهما)
قال ابن عباس : نعم

قال عمر : قاتله الله لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل
يدعى الإسلام، فقد كنت انت وأبوك تحبان أن يكشر العلوج بالمدينة - وكان العباس
أكثرهم رقيقاً .

فقال ابن عباس : ان شئت فعلت أى قتلناهم، قال عمر : كذبت بعدما تكلموا
بلسانكم، وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم .

فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه ، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل
يقول لا بأس، وقاتل يقول أخاف عليه، فأتى بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه ، ثم أتى

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحات ٥٥ - ٥٨ .

بلبن فشربه ، فخرج من جرحه ، فعرفوا أنه ميت فدخلنا عليه ، وجاء الناس يشنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة . فقال عمر : وددت أن ذلك كان كفافاً لا على ولا لى .

فلما أدبر اذا ازاره يمس الأرض قال عمر : ردوا على الغلام فردوه فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك ، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك .

ثم قال يا عبد الله بن عمر انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه سبعة وثمانين ألفاً ونحوه (وفى صحيح البخارى ستة وثمانين) قال : إن وفاه مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عنى هذا المال .

ثم قال : انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تنقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً ، قل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه .

فمضى فسلم ، واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال يقرأ عليك عمر السلام ، يقول لك يستأذن أن يدفن مع صاحبيه .

فقال : كنت أريده لنفسى ولأوثرته اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال ارفعونى فأسنده رجل إليه ، فقال : ما لديك ؟ قال الذى تحب يا أمير المؤمنين .. أذنت .

قال الحمد لله ، ما كان شئ أهم إلى من ذلك ، فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فادخلونى وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها ، فلما رأيناها قمنا فوجلت عليه ، فبكت عنه ساعة فاستأذن الرجال فوجلت داخلا لهم ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا به فسلم عبد الله بن عمر ، وقال يستأذن عمر . قالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه . (١)

(١) رواء البخارى فى مناقب عثمان كاملاً ، وأخرج طرفاً منه فى الجنائز (باب ما جاء فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهم)

قال عثمان بن عفان :

أنا آخركم عهدا بعمر، دخلت عليه و رأسه فى حجر ابنه عبد الله، فقال له : ضع خدى بالأرض.

قال عبد الله : فهل فخذى والأرض الا سواء؟

قال عمر ضع خدى بالأرض لا أم لك فى الثانية أو الثالثة.

قال عثمان:

وسمعتة يقول : ويلى ويلى أمى إن لم تغفر لى حتى فاضت نفسه.

قال سعد بن أبى وقاص.

طعن عمر يوم الأربعاء لآل بقاء من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم .

من (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٩١)

مشهد وفاة سيدنا عثمان رضى الله عنه

تكرر بعض هذا المشهد فى وصاياه ، قصدا لا عن سهو .

روى ابن عساکر عن الزهرى أنه قال :

قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان؟ وما كان شأن

الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟

فقال ابن المسيب : قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا.

فقلت : كيف كان ذلك؟ قال: إن عثمان لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة لأن عثمان

كان يحب قومه فولى الناس اثنتى عشرة سنة ، وكان كثيرا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن

له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة، فكان يجىء من أمرائه ما ينكره

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وكان عثمان يستعذب فيهم فلا يعزلهم وذلك

فى سنة خمس وثلاثين ، فلما كان فى الست الأواخر استأثر بنى عمه فولاهم وما

أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله ، فولى عبد الله بن أبى سرح مصر، فمكث عليها سنين

فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد

الله، بن مسعود. وأبى ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما

فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لأبى ذر فى قلوبهم ما

فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر، وجاء أهل مصر

يشكون من ابن أبى سرح، فكتب إليه كتابا يتهده فيه فأبى ابن أبى سرح أن يقبل ما

نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد، وأرسلت عائشة رضى الله عنها إليه فقالت : تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت؟ فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه على بن أبي طالب فقال: إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم : اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر . فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصو وابن أبي سرح ، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام اسود على بغير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يُطلب . فقال له أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما قصتك وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب ، فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر. فقال له رجل : هذا عامل مصر. قال: ليس هذا أريد، وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث فى طلبه رجلا فأخذه فجاء به إليه فقال: غلام من انت؟ فأقبل مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول: أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ قال: برسالة . قال : معك كتاب؟ قال: لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه أداة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج. فشقوا الأداة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه، إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتلّ فى قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأى واحبس من يجىء إلى يتظلم منك ليأتيك رأى فى ذلك إن شاء الله تعالى، فلما قرءوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير، وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام واقراءهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبى ذر وعمار بن ياسر حنقا وغيفا . وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلاحقوا

بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب . وحاصر الناس عثمان سنة خمس وثلاثين وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بنى تيم وغيرهم، فلما رأى ذلك على بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير . فقال له على : هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم . قال : والبعير بعيرك؟ قال: نعم . قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال : لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لى به . قال له على : فإخاتم خاتمك . قال : نعم . قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا فى أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده فى الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا فى أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا : لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبخسه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق؟ فان يكن عثمان كتبه عزلناه، وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا فى أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم، مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان، ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفياكم على؟ فقالوا: لا . قال : أفياكم سعد؟ قالوا: لا . فسكت ثم قال : ألا أحد يبلغ عليا به فيسقيناه ماء؟ فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوء ماءً فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله . فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ، فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابهِ وأصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشيخ قنبر مولى على فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسور محمد وصاحبه من دار رجل

من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد : مكانكما فإن معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتَوَجَّاهُ حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى فتراخت يده ، ودخل الرجلان عليه فتَوَجَّاهُ حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امراته فلم يسمع صراخها لما كان فى الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً وبلغ الخبر علماً وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا، فاسترجعوا وقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشم محمد بن طلحة وعبد الله ابن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له: نبايعك فمد يدك فلا بد من أمير فقال على : ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر. فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا له : ما نرى أحدا أحق بها منك ؟ مد يدك نبايعك فبايعوه، وهرب مروان وولده وجاء على إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان ؟ قالت: لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبى بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع محمد فدعا على محمد فأسأله عما ذكرت امرأة عثمان؟ فقال محمد: لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرنى أبى فقممت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأته : صدق . ولكنه أدخلهما (١).

مشهد وفاة سيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه

تكرر بعض هذا المشهد فى وصاياه، قصدا لا عن سهواً أيضاً .
نقل الطبرى فى (الرياض النضرة) عن الزبير بن بكار أنه قال :
كان من بقى من الخوارج (الذين خرجوا عن على) قد تعاقدوا على قتل على، ومعاوية، وعمر بن العاص (رضى الله عنهم) فخرج لذلك ثلاثة.
فكان عبد الرحمن بن ملجم هو الذى التزم لهم قتل على، فدخل الكوفة عازماً على ذلك، واشترى سيقا لذلك بألف، وسقاه السم فيما زعموا.
وكان فى خلال ذلك يأتى عليا يسأله ويستحمله فيحمله، إلى أن وقعت عينه على (قطام) وهى امرأة رائعة جميلة، كانت ترى رأى الخوارج وكان على قد قتل أباه

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى صفحات ١٠٦ - ١٠٩ .

وإخوتها بالنهروان، فخطبها ابن ملجم، فقالت له : أنا لا أتزوج إلا على مهر، لا أريد سواه، فقال : وما هو ؟ قالت : ثلاثة آلاف دينار، وقتل على، قال : والله لقد قصدت قتل على والفتك به، وما أقدمنى هذا المصر غير ذلك، ولكنى لما رأيتك أثرت تزوجك، فقالت : إلا الذى قلت لك، قال : وما يغنيك أو يغينى منك قتل على وأنا أعلم أنى إن قتلت عليا لم أفلت؟ فقالت : إن قتلته ونجوت فهو الذى أردت ، فتبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها.

فقال لها : لك ما اشترطت.

فقالت له : سألتمس لك من يشد ظهرك.

فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد، فأجابها، ولقى ابن ملجم شبيب بن نجرة الأشجعى، فقال له : يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال : وما هو؟ قال : تساعدنى على قتل على بن أبى طالب، قال : نكلك أمك، لقد جئت شيئا إداً، كيف تقدر على ذلك؟ قال إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفرداً، دون من يحرسه، فنكمن له فى المسجد ، فإذا خرج الى الصلاة قتلناه، فإذا نجونا نجونا لنجونا، وأن قتلنا سعدنا بالذكر فى الدنيا والجنة فى الآخرة .

فقال : ويلك إن عليا ذو سابقة فى الإسلام مع النبى صلى الله عليه وسلم والله ما تشرح نفسى لقتله، قال ابن ملجم : ويلك، إنه حكّم الرجال فى دين الله عز وجل، وقتل إخواننا الصالحين، فنقتله ببعض من قتل، ولا تشكن فى دينك. فأجابه، وأقبل حتى دخلا على (قطام) وهى معتكفة فى المسجد الأعظم فى قبة ضربتها لنفسها فدعت لهم، وأخذوا أسياهم، وجلسوا قبالة السدة التى يخرج منها على .

فخرج على إلى صلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطاه، وضربه ابن ملجم على رأسه وقال : الحكم لله يا على، لا لك، ولا لأصحابك.

فقال على : لا يفوتكم الكلب، فشد الناس عليه من كل جانب ليأخذوه، وهرب شبيب خارجاً من باب كندة فلما أخذ ابن ملجم قال على :

احبسوه، فإن مت فاقتلوه، ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلى فى العفو والقصاص. (١)

وروى الطبرى عن هشيم مولى الفضل أنه قال :

لما قتل ابن ملجم عليا قال (وهو محتضر) للحسن والحسين عزمت عليكم لما حبستم الرجل، فإن مت فاقتلوه، ولا تمثلوا به.

فلما مات قام إليه حسين ومحمد وقطعا وحرقاه. (٢)

(١) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢٣٨ .

ونقل الطبرى عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له :
(يَا عَلَى ، أَتَدْرِى مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ ؟)

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : (الذى عَقَرَ نَاقَةَ صَالِحِ) .

ثم قال : (أَتَدْرِى مَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ ؟)

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : (الذى يضربك على هذه) وأشار إلى يافوخه (فَيُبَلِّغُ هَذِهِ) وأخذ بلحية على . (١)

كما روى عن عبد الله بن سبع أنه قال : خطبنا على فقال :

والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، لتخضبن هذه من هذه ، فقال الناس أعلمنا من هو

لنبيره ، أو لنبيير عشيرته .

قال أنشدكم بالله ألا يقتل بى غير قاتلى .

قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف .

قال : لا ، ولكن أكلكم إلى من وكلكم رسول الله . (٢)

كان مقتله رضى الله عنه صبيحة يوم سبع عشرة من رمضان سنة أربعين .

ولقد قيل فى هذه الفاجعة شعر كثير ، ومنه :

فَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ (قَطَامٍ) مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَعْبَدَ وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلَى بِالْحَسَامِ الْمَصَّمِ

فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلَىٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مَلْجَمِ

وهذه الأبيات نسبها السيوطى للفرزدق فى تاريخ الخلفاء ، ونسبها الطبرى فى

تاريخ الرسل والملوك إلى أبى مياس المرادى ، والأمر لله وحده .

وصلوات الله التامات المباركات على سيد محمد الذى ختم الله به النبيين المرسلين ،

وعلى آله الطاهرين الطيبين ، وعلى صحابته الكرام أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين

(١) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢٣٨ .

(٢) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢٣٣ .

حياة المؤلف في سطور

- ولد بالقيروان في ٥ شعبان ١٣٣٥ / ٢٧ مايو ١٩١٧ .
- وأكمل حفظ القرآن سنة ١٩٣١ .
- التحق بالزيتونة سنة ١٩٣٢ .
- أحرز من الزيتونة على الشهادات التالية :
- الأهلية سنة ١٩٣٦ .
- التحصيل في علم القراءات سنة ١٩٣٨ .
- التحصيل في العلوم سنة ١٩٤٠ .
- العالمية في القراءات سنة ١٩٤٢ .
- العالمية في الآداب العربية سنة ١٩٤٤ .
- نجح في مناظرة الإجازة للتدريس بالزيتونة في نفس السنة ١٩٤٤ .
- تحول للتدريس بالفرع الزيتوني في القيروان سنة ١٩٥٢ .
- سمى خطيباً بجامع عقبة بن نافع بالقيروان سنة ١٩٥٥ .
- تولى إدارة الفرع الزيتوني بالقيروان سنة ١٩٥٦ .
- انتدب لخطة مفتش للتربية الإسلامية سنة ١٩٦٨ .
- انتدب لتدريس القراءات (دراية) بالكلية الزيتونية سنة ١٩٧٧ .
- حاضر في الفقه وأصوله بالمركز الاسلامي في بروكسل سنتي ١٩٨٢ و ١٩٨٣ .
- سمى عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى بتونس سنة ١٩٨٨ .
- انتخب عضواً بمجلس النواب بتونس سنة ١٩٨٩ .
- شارك في عدة ملتقيات ودورات لتدريب الأئمة والدعاة - بإشراف رابطة العالم الإسلامي في أندونيسيا وجزر القمر وجزر المالديف وكل من فرنسا، وبلجيكا، وهولندا ، وفي ندوات إسلامية بكل من مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

كتب للمؤلف

صدر للمؤلف

- ١- (كيف تكون خطيباً؟) طبع بالسعودية للمرة الأولى ثم فى لبنان .
 - ٢- (أين حظ الإسلام من لغة القرآن ؟) طبع بالكويت للمرة الأولى.
 - ٣- (ترتيب مناسك الحج) طبع بتونس.
 - ٤- (آفاق الصيام فى الإسلام) طبع بتونس .
 - ٥- (التربية من الكتاب والسنة) بمشاركة أستاذين، طبع بالعراق، وقرر للتدريس بتونس.
 - ٦- (العقيدة والسلوك) بمشاركة أستاذين ، طبع بتونس، وقرر للتدريس بتونس.
 - ٧- (مشاهد الناس عند الموت)
- كتاب يجمع بين المئات من أقوال المحتضرين وأحوالهم، ويبين صلة تلك المشاهد المؤثرة بتعاليم الإسلام.
- ٨- مشاهد الناس بعد الموت (سيصدر بعد الذى قبله إن شاء الله)

الفهرس

مقدمة الكتاب	٥
الموت نهاية حياتنا الأولى	٩
الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالإكثار من ذكر الموت	
الاستعداد للموت	١٠
ما يعين على ذكر الموت	١١
من مشاهد الذاكرين لحتمية الموت	١١
الموت مخوف ومكروه	١٢
ما أعجب عشق الروح للجسد	١٥
مشهد عنف النزاع للأرواح	١٦
من الذى يتوفى الأنفس ؟	١٩
مشاهد الناس قبل نزول الموت	٢١
الحقيقة المنسية	٢٦
مشاهد من أحوال المرضى	٢٧
عيادة المرضى	٣٣
آداب العيادة	٣٥
ما ينبغى اجتنابه فى العيادة	٣٦
النهى عن تمني الموت	٣٧
مشاهد من سئوا الحياة	٣٩
لا موت إلا عند حلول الأجل	٤٠
مشهد من مات من غمة القبر	٤٢
مشاهد من ألهمهم الله بأحوال مماتهم .	٤٢
مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوحى الله إليه بقرب وفاته	٤٤
مشهد من مريض فأخبر أنه لا يموت فى تلك المروضة .	٤٦
مشهد رجل صحيح أخبر أنه سيموت فى يومه فمات فيه	٤٦
مشهدان عجيبان من ميت وغاسل .	٤٦

مشهد من أخبر أنه سيموت غدا فمات كما أخبر	٤٧
مشهد من عبّر رؤيا له بموته فمات كما عبّر	٤٧
مشهد من أخبر أنه سيموت قبل الفجر من يوم الأحد	٤٨
مشهد من سمع هاتفا يخبره بامتداد حياته ثلاثين سنة أخرى	٤٨
مشهد من سمع هاتفا يخبره بوقت وفاته	٤٩
مشهد من نعى فى منامه بالشعر.	٤٩
مشهد من زار مدفنه قبل موته بيوم أو يومين	٥٠
مشهد من شعر بقرب دخول ملائكة الوفاة عليه	٥٠
مشهد من قال لا يكون موتى بالأوجاع، فكان موته كما قال	٥٠
مشهد من رجّأ أن لا يتألم بسكرات الموت	٥١
مشهد من ألهم أنه سيعيش كعمُر أبيه.	٥١
مشهد من ألهم أنه سيعيش كعمُر جده	٥٢
مشهد من ألهم أن أجله كأجل ثلاثة سبقوه	٥٢
مشهد من رأى أنه بنى سبعين درجة ثم تدهورت فعاش مثلها	٥٣
مشهد من قال إنه لا يصوم رمضان المقبل فمات فى آخر شعبان	٥٣
مشهد رجل صحيح أخبر أنه لن يستكمل يومه فمات فى نفس اليوم	٥٣
مشهد من ألهم أنه لا يستكمل ستين سنة	٥٤
مشهد من قال لا يصلى عليه إلا من حلف أنه لن يصلى عليه	٥٤
مشهد من أخبر بوفاته ووفاة أصحابه على ترتيب محدود	٥٤
مشهد من استعجل السفر، وأعدّ كفنّه فمات	٥٥
مشهد من ردّ زواجا عرض عليه، وقال إنه سيزف بعد خمس فمات بعدها	٥٥
مشهد من قال منيتى قريت، ولغير هذا المكان قدّرت فكانت كما قال	٥٦
مشهد من طُلب لولاية القضاء فأخبر فى سفره أنه سيموت ولا يتولى	٥٦
مشهد من جمع أصحابه ليلة وفاته، وأعلمهم بساعة انتقاله	٥٧
مشهد من نظر إلى مقبرة وقال إن لنا هنا حبسة طويلة فكان كما قال	٥٧
مشهد من قال إنه سيموت بعد يومين	٥٨
مشهد من ألهم أنه بقى من أجله شهران	٥٨

مشهد من قال سمعا وطاعة ، واستقبل القبلة ومات	٥٩
مشهد من ألهم أنه سيقبر فى وضع محدد	٥٩
مشهد من استنبط وفاته من آية لها صلة برؤيا .	٥٩
مشهد من سأل الله عمرا فوق السبعين فلم يجبه لذلك	٦٠
مشهد من ألهم أنه سينقل من قبره فكان الأمر كما قال	٦٠
مشهد من قيل له فى رؤيا قد فرغنا من بناء دارك إلى سبعة أيام	٦١
مشهد من قال اختموا لى ختمة فقد قرب أمرى فمات ساعة الختم	٦١
مشاهد الخائفين لا سيما عند الاحتضار	٦٢
مشهد خائف من لقاء الله	٦٣
مشهد خائف من رد طاعته عليه	٦٣
مشهدان لخائفين غلب عليهما الحياء من الله	٦٤
مشهد خائف من أن يلقي الله متداويا بالحرام	٦٤
مشاهد الخائفين من النار	٦٥
مشهد خائف مما بعد الموت	٦٨
مشهد من ظهر عليه السرور بعد خوف طويل	٦٨
مشهد من قضى القاضى بأنه فى النار	٦٩
من أضواء هذا المشهد .	٦٩
مشاهد الراغبين فى الانفراد عند النزع	٧١
البكاء عند الموت	٧٣
مشاهد الباكين عند الموت	٧٥
مشهد من بكى لتوقعه قُرب موته	٧٥
مشاهد بكاء المحتضرين	٧٦
مشاهد البكاء على المحتضرين	٨١
مشاهد الصابرين عند موتهم صبراً عجيباً	٨٤
الصبر أحب إلى المؤمن أو الشكى	٨٨
مشاهد من فزعوا من أمر فماتوا	٨٨
مشاهد من تأثروا بالمواعظ فماتوا	٩٢
مشاهد الواعظين لغيرهم وهم فى سياق الموت	٩٩

مشاهد من شعروا بدنو آجالهم فأوصوا	١٠٢
الوصية سنة من سنن الإسلام إلا بما لا يحل	١٠٢
مشهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى مرضه وهو يوصى بالأنصار	١٠٥
مشاهد من وصايا أبى بكر رضى الله عنه	١٠٦
مشاهد من وصايا عمر رضى الله عنه	١٠٩
مشاهد من وصايا عثمان رضى الله عنه	١١١
مشاهد من وصايا على رضى الله عنه	١١٢
مشاهد من الوصايا المختلفة لبعض الصحابة وغيرهم	١١٤
مشهد من أوصى أن توضع فى فمه شعرات من شعر الرسول صلى الله عليه وسلم	١٢٢
من أضواء هذا المشهد	١٢٣
مشهد من وصايا بعض المجاهدين	١٢٤
من أضواء مشهدين السابقين	١٢٥
مشهد من أوصى بدفن شهادة معه	١٢٦
من أضواء هذا المشهد	١٢٨
مشاهد من أوصوا أن يكفنوا فى ثياب معينة	١٢٩
مشهد من أوصى بذكر لا إله إلا الله سبعين ألف مرة	١٣١
من أضواء هذا المشهد	١٣١
مشهد من أوصى بما فى الكتاب والسنة	١٣٣
مشهد من أوصى بالاستعداد للموت	١٣٣
مشهد من أوصى بثلاثة أمور	١٣٢
مشهد من أوصى بإغراق كتبه إذا لم يكتب لها القبول	١٣٤
مشهد من أوصى أبناءه بعدم التفرق	١٣٥
مشهد من أوصى بإخراج ما نواه من الصدقة	١٣٥
مشهد من أوصى لا يجهز بجهاز يبعث به الأمير	١٣٦
مشهد من أوصى أن يصلى عليه شخص بعينه	١٣٦
مشهد من أوصى بتقريع عدوه	١٣٧
مشهد سلطان أوصى ولده بأمور السلطنة	١٣٧

مشهد ملك أوصى بوصية جامعة	١٣٨
مشهد من أوصى وصية مختصرة	١٣٩
مشهد أب يحرم ولده من ماله	١٣٩
مشهد وصية من أروع الوصايا	١٤٠
مشهد من حذر من مخالفة وصيته	١٤١
مشاهد من ختمت أعمارهم بإحدى الطاعات	١٤١
من أفضل الأحوال أن يموت المرء وهو قائم بإحدى الطاعات	١٤١
مشهد من مات عقب وضوئه للصلاة	١٤٣
مشهد من ختم الله عمره عقب صلاة	١٤٤
مشهد من ختم الله عمره فى الصلاة	١٤٤
مشهد من ختم الله عمره بعد أن أدى الصلاتين جمعا	١٤٦
مشهد من لم يزل يصلى بعسر حتى قبض	١٤٦
مشهد من ختم الله عمره وهو قائم فى الصلاة	١٤٧
مشهد من أحب أن تختتم حياته بالصلاة	١٤٧
مشهد من أحب أن يصلى قبيل موته	١٤٨
مشهد من أحب ختم حياته بالصيام	١٤٨
مشهد من أحب أن تختتم حياته وهو صائم	١٤٨
مشاهد من ختمت حياتهم بالتضرع إلى الله	١٥١
مشهد من ختم الله عمره بعد قيامه بصلاة الاستسقاء	١٥٢
مشهد من ختم الله عمره وهو يتلو الفاتحة فى الصلاة	١٥٢
مشهد من ختمت حياته بالصدقات	١٥٣
مشهد من ختمت حياته بالصدقة وعق الممالك	١٥٣
مشهد من ختمت حياته وهو يسرد الصوم	١٥٣
مشهد من مات وهو يستنبط معانى القرآن	١٥٤
مشهد من ختم الله حياته وهو يتلو القرآن العظيم	١٥٥
مشهد من ختم الله عمره وهو يكتب المصحف	١٥٥
مشهد من توفاه الله وهو يكتب الحديث الشريف	١٥٥
مشهد من ختم الله حياته بكلمة التوحيد	١٥٥

مشهد من تشهد فمات	١٥٦
مشهد من جعل يكرر التشهد حتى مات	١٥٦
مشهد من ختم الله حياته بالشهادة فى سبيله	١٥٦
مشهد من استطال عمره قبل الظفر بالشهادة	١٥٨
مشهد من رجا أن يستشهد وأن يمثل به فتم له ها رجا	١٥٨
مشهد شيخين من الصحابة رغبا فى الشهادة ففازا بها	١٥٩
مشهد قاضٍ قاد جيش المسلمين فانتصر ثم استشهد	١٦٠
مشهد من كان يتمنى الشهادة ففازا بها	١٦٠
مشهد من أحب أن تختتم حياته بالجهاد	١٦١
مشهد قاضٍ تعلق بأستار الكعبة وسأل الله الشهادة فنالها	١٦١
مشهد قاضٍ أندلسى جاهد فاستشهد	١٦٢
مشهد قاضٍ مدرس مجاهد شهيد	١٦٢
من أضاء مشاهد الشهادة	١٦٣
مشاهد المرتاحين لأحوالهم عند الموت	١٦٧
مشاهد من ظهرت عليهم آيات التكريم	١٦٨
مشهد من مات وعليه دين	١٧٥
نظرة الاسلام إلى الاستدانة	١٧٥
مشهد من تخرج عند وفاته من الدين الذى عليه	١٧٩
مشهد من تخرج بعد وفاته من الدين الذى كان عليه	١٧٩
مشاهد من استشهدوا لثباتهم على الحق	١٨٠
مشاهد المجادلين لقاتليهم	١٨٣
مشاهد من قتلتهم أقوالهم	١٩٣
مشاهد المعتذرين لقاتليهم	١٩٥
مشاهد من صلوا ركعتين عند قتلهم	١٩٩
بيان ما للصلاة من أثر عند أخرج المواقف	١٩٩
مشهدان من أفطع أحوال الموت قتلا	٢٠١
مشهد قتل لا أفطع منه	٢٠٢
من أضاء هذا المشهد	٢٠٢

مشاهد من أسوأ أحوال الموت	٢٠٤
مشهد من كانت وفاته عبرة	٢٠٦
من أضواء هذا المشهد	٢٠٧
مشاهد من جرى القدر بموتهم عند الدعاء عليهم الله يستجيب لدعاء المظلومين	٢٠٨
مشهد من شتم عليا فدعا عليه سعد فمات فى الحال	٢٠٩
مشهد مصرع جرى يتصرف بلا نظر للدين	٢١٠
مشهد مصرع حاكم حكم الله عليه	٢١٠
مشهد مصرع من نوى سحق طرابلس الغرب .	٢١١
مشهد من دعا مفوضاً أمره وأمر خصمه إلى الله	٢١١
مشهد مصرع ظالم دعا عليه الجبنيانى.	٢١٢
مشهد مصرع ظالم سكبر دعا عليه أبو إسحاق	٢١٢
مشهد من هدد السبائى فدعا عليه فاماته الله	٢١٣
مشهد ظالم دعا عليه السبائى فأماته الله	٢١٣
مشهد من سقط فانتشر دماغه وقد دعا عليه القابسى	٢١٣
مشهد من طيرت دماغه سارية وقد دعا عليه ابن مضاء	٢١٤
مشهد هلاك مفترٍ دعا عليه ابن التبان	٢١٥
مشهد من ضربته حية فمات وقد دعا عليه أبو جعفر	٢١٥
مشهد من تلا القرآن تعريضا ببيحى بن عمر فدعا عليه فمات	٢١٧
من أضواء هذا المشهد وقضية مسجد السبت بالقيروان	٢١٨
مشاهد من جرى القدر بموتهم عند الدعاء على أنفسهم	٢١٩
ما معنى الزيادة فى العمى ونقصه؟	٢١٩
مشهد من دعا على نفسه أن يموت بالطاعون	٢٢٠
مشهد من دعا أن يموت هو وأهله بالطاعون	٢٢١
مشهد من دعا على نفسه مخافة الفتنة فمات	٢٢١
مشهد من أحب لقاء الله فدعا على نفسه فمات	٢٢٢
مشهد من دعا الله أن يخرج من دار الفتن	٢٢٢
مشهد قاض دعا على نفسه فمات	٢٢٣

مشهد من خشى الإكراه على تولي القضاء فدعا فمات	٢٢٣
مشهد من فزع الى الله مخافة تولي القضاء فمات	٢٢٤
مشهد من فرّ من تولي القضاء فتوفاه الله بعد ثلاث	٢٢٤
مشهد من ثبت على تمنعه من تولي القضاء إلى أن مات	٢٢٤
أضواء على التمتع من تولي القضاء	٢٢٥
آراء العلماء في الأكفاء الممتنعين من تولي القضاء	٢٢٦
سبب خوف العلماء من تولي القضاء	٢٢٦
مشاهد من موت بعض المبطلين بالمعاصي	٢٢٩
مشاهد من اشتبهوا أشياء عند وفاتهم	٢٢٢
مشاهد الناطقين بالشعر عند الموت فترجموا عن طرائف المشاعر وأدقها وأعمقها	٢٣٣
مشاهد من أوصوا أن تكتب أبيات على قبورهم	٢٤٣
مشهد من أوصى أن تكتب أبيات على كفيه	٢٤٧
مشهد من نطق بالشعر في المنام	٢٤٨
مشاهد من ماتوا غرباء	٢٤٩
مشاهد من ماتوا منتحرين	٢٥١
مشهد من قتل وصلب لادعائه النبوة	٢٥٤
مشهد ما يزعم أنه موت رحيم	٢٥٥
مشاهد تلقين المحتضرين وتنوع ردودهم	٢٥٨
على الملقن أن يراعى آداب التلقين	٢٦٣
مشاهد من فتنة الشيطان للمحتضر	٢٦٥
تنوع ردود المحتضرين عند التلقين	٢٦٦
مشاهد من نطقوا بالشهادة تلقائيا عند احتضارهم	٢٦٧
مشاهد من لقنوا الشهادة فردوا ردًا حسنا	٢٦٧
مشهد من لقن الشهادة فلم يستطع أن ينطق بها	٢٦٩
مشاهد من لقنوا الشهادة فردوا ردًا سيئا	٢٧٠
مشاهد مختلفة من احوال المحتضرين	٢٧١
مشهد من غاب عليه الرجاء	٢٧٢

مشهد من لا يستريح إلا إذا وضع المصحف على صدره	٢٧٢
مشهد من غلب عليه الرجاء من أجل تلاوة القرآن	٢٧٢
ومنهم من بشره الله بالمغفرة قبيل موته	٢٧٣
ومنهم من جمع بين الاستبشار والوعظ	٢٧٣
ومنهم من رجا المغفرة لما كان عليه من اتباع رضا الله	٢٧٤
ومنهم من رجا عفو الله لمحبتة أهل الطاعة في الله	٢٧٤
ومنهم من حاول أن لا يموت إلا وهو يحسن الظن بالله	٢٧٥
ومنهم من غلب عليه حسن الظن بربه	٢٧٥
ومنهم من غلب عليه الرجاء لعفته	٢٧٥
ومنهم من أعد عفو الله لساعة احتضاره	٢٧٦
ومنهم من كان قد رجا الله لكبر سنه	٢٧٦
ومنهم من مات يرجو عفو الله رغم إراقتة للدماء	٢٧٧
من أضواء هذه المشاهد	٢٧٨
ما ينبغي فعله بالمحتضرين	٢٨٠
غسل الميت	٢٨٣
ما ورد في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٨٥
ما ورد في غسل ابنته أم كلثوم	٢٨٦
ما ورد في غسل المحرم وكفنه	٢٨٦
كيف يجهز الميت بعد غسله	٢٨٦
البكاء على الأموات	٢٨٩
البكاء المحمود والبكاء المذموم	٢٩٠
هل يعذب الميت بالبكاء عليه	٢٩٤
ما أعجب أن يبكي المرء وهو في غفلة	٢٩٥
لعل بكاء العين يعقب راحة	٢٩٦
بكاء سليمان بن عبد الملك على ابنه	٢٩٦
مشاهد الجزعين من فقد الأعزة عليهم	٢٩٧
مشهد جزع من فقد والده	٢٩٨
مشهد جزع من فقد ولده	٢٩٨

مشهد جزع من فقد خليلته	٢٩٩
مشهد جزع من فقد مجموعة من الأقارب	٢٩٩
مشهد جزع من فقد إحدى الجوارى	٢٩٩
مشهد جزع أبى الحسن التهامى من موت طفل	٣٠٠
مشهد من الجزع المضحك	٣٠١
مشهد من حمله الجزع على إساءة الأدب مع الخالق سبحانه	٣٠١
من أضواء هذا المشهد	٣٠٢
مشاهد الصابرين على فقد الأعزة عليهم	٣٠٢
مشهد صبر السيدة صفية بنت عبد المطلب	٣٠٢
مشهد صبر السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها	٣٠٣
مشهد صبر السيدة أم سليم رضى الله عنها	٣٠٤
مشهد صبر المسلمين على موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٣٠٥
مشهد صبر معاذ بن جبل رضى الله عنه	٣٠٥
مشهد صبر عروة بن الزبير رضى الله عنهما	٣٠٦
مشهد صبر أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما	٣٠٧
من أضواء مشاهد الصابرين	٣٠٨
الصلاة على الميت وما يرجى فيها من الخير للميت ولمن يصلى عليه	٣٠٩
كيفية الصلاة على الميت	٣١٠
لعل من الأموات من يتحسر عند الصلاة عليه	٣١٤
ما شرع الله للبشر فى دفن الأموات	٣١٤
الأحوال العشرة المتعلقة بالميت بعد دفنه	٣١٧
أولا: سؤال الملكين للميت إثر دفنه	٣١٩
واليك ثمانى نقط تتعلق بسؤال الملكين	٣٢٢
ثانيا: الاستغفار للميت وسؤال الله أن يثبته عند السؤال	٣٢٤
ثالثا: من لا يسألون فى القبور	٣٢٥
رابعا: ضغطة القبر للميت	٣٢٦
خامسا: ما يلاقى بعض الموتى من العذاب فى القبر	٣٢٨
من أسباب عذاب القبر	٣٢٩

سادسا: ما يدفع الله به عذاب القبر	٣٣٢
سابعا: من لم تقبل الأرض جسده من الأموات	٣٣٥
ثامنا: آداب دفن الموتى فى الإسلام	٣٣٦
كيف كان قبر النبى صلى الله عليه وسلم	٣٣٧
اختيار مكان القبر	٣٣٨
تعميق القبر والبناء عليه	٣٣٨
وضع العلامة المميزة للقبر	٣٣٩
الأدب المطلوب عند الدفن وكيفية وضع الميت فى مدفنه	٣٣٩
ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دفن ابنته أم كلثوم.	٣٤١
ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دفنه لذى البجادين	٣٤١
كيف يدفن أكثر من واحد فى قبر واحد	٣٤٢
أوقات الدفن	٣٤٢
بقاء المشيعين تأنيسا للميت	٣٤٢
تجهيز الميت ودفنه واجب على المسلمين	٣٤٢
تاسعا: محذورات القبور	٣٤٣
نقل الميت قبل الدفن وبعده	٣٤٣
اتخاذ القبور مساجد	٣٤٤
الجلوس على القبر	٣٤٦
كسر عظام الموتى	٣٤٦
دفن الكتابية الحامل من مسلم	٣٤٧
فتح الأبواب على المقبرة	٣٤٨
عاشرا: زيارة المقابر	٣٤٨
مدافن الموتى فى عقائد البشر	٣٥٢
أضواء الإسلام الكاشفة عن شعور الموتى وسماعهم الخطاب	٣٥٤
مشاهد من التعازى	٣٥٨
وإليك نماذج من تعازى السلف	٣٥٩
ومن ألفاظ التعازى	٣٦٠
الجمع بين التهنئة والتعزية	٣٦١

تعزية النفس	٣٦١
من تعازى أهل الحماقة	٣٦٢
مشاهد رؤى الأحياء لبعض الأموات	٣٦٣
من الرؤى المفزعة	٣٦٤
من أضواء رؤى الأموات	٣٧٠
مشهد مرض وموت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٧٤
مشهد وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه	٣٧٧
مشهد وفاة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٣٨١
مشهد وفاة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه	٣٨٣
مشهد وفاة سيدنا على رضى الله عنه	٣٨٦
حياة المؤلف فى سطور	٣٨٩
كتب للمؤلف	٣٩٠
الفهرست	٣٩١



هذا الكتاب

■ الحياة هبة من صنع الله (الذى أحسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
ملهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع
والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون) السجدة ٧٠. ٨٠. ٩٠
وانقضاء الحياة الأولى بالموت لا يكون إلا بإذنه سبحانه،
(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتبنا مؤجلا) آل
عمران ١٤٥.

فإذا تعطلت بإرادة الله . بنية الحياة الجسدية وانقطع ما
كان بين الروح والجسد من صلات فإن الوفاة تحدث وتنقل
الروح بالموت إلى مقر الأرواح، ثم تتلاشى
أجزاء الجسد فى الأرض إلى أن ينشئها
الله النشأة الأخرى، فيخرجها من الأرض
بالبعث للحساب، تبعا للمراحل المقررة فى
سابق علمه، والمحددة فى قوله: (منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة أخرى) طه ٥٥.

ولما كان الموت قضاء حتميا، ومرحلة من مراحل الوجود
الإنسانى . حسن أن يهتم المرء بمعرفة هذه السبل التى لا بد أن
يعبرها، وحسن أن يطالع على ما لاقى بعض الناس من الموت،
ليعتبر بأحوالهم ويستعد لملاقاة ما لاقى كل البشر من قبله
(قل إن الموت الذى تضررون منه فإنه ملائكم)، ثم تردون إلى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) الجمعة ٨.
ولقيمة الموت عند الله ذكرت فى القرآن العظيم كلمة الموت
وما اشتق منها أكثر من أمانه وسبعين مرة .
أما الأحاديث النبوية فقد استوعبت بالبيان كل ما ينبغى أن
يعلمه الإنسان عن الموت وعمما بعد الموت، وسرى الكثير
مفصلا فى هذا الكتاب إن شاء الله